سعيد حوى

من أجل خطوة إلى الأمام
على طريق الجهاد المبارك

يطلب من
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة - ت: ٩٢٣٧٤٧٠

الطبعـة الثـانية

رمضان ١٣٩٩ هـ ــ أغسطس ١٩٧٩ م

مطابع دار التراث العربي
ت ٩٣٦١٤٥ - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

ان قصورا كبيرا قد طـرأ على التصـورات العامة للمسلم فى شان الاسـلام وصلته به وقـد انعكس هذا القصور الكبير على كل مواقف المسـلم ومواقعه نتيجـة لذلك فأصبحت له تصـورات عجيبة غريبة ومواقف ومواقع كذلك لا تنسـجم أدنى انسـجام مع أية نظرة صحيحة للاسلام ولا مع أى فهم صحيح لمركز الانسـان فى هذا الكون •

ان الاسلام الذى هو الاجابة الصحيحة على كل سؤال للانسان ، وان الاسـلام الذى يصوغ الانسان صياغة صحيحة فى عقله وقلبه ونفسه وعمله وسلوكه قد انحسر فى قلب المسـلم انحسارا هائلا ترتب عليه خلل كبير فى كل شىء وهو موضوع سترى مظاهره مرة بعد مرة ويكفى هنا أن نقول :

ان من مظاهر هذا الوضع المريض أنك تجـد البعض ممن يعتبرون أنفسهم مسلمين بحكم الارث ينحرفون عن الاسـلام فى شأنهم كله فيكون وضعهم كله منحـرفا بل يصل بهم الأمر الى أن يتبنوا كل ما هو كافر وضال وتجدهم يحاربون الله ورسوله صلى الله عليه وسـلم فى كل شىء ، ومع ذلك فانهم يريدون من الله عز وجل أن يكون تحت أمرهم وبتصرفهم ويسـبون ويكفرون اذا لم يهيىء لهم الله عز وجل كل الأمور كما يريدون فكأن الله عز وجل هو العبد والانسان هو الرب •

ومن مظاهر هذا الوضـع المريض أنك تجـد بعض خطباء المسلمين وعلمائهم يقولون بعد كل هزيمة وكارثة : أيها الناس •• تجب العـودة الى الله والتوبة اليه ثم يسـكتون عما تنبغى التوبة منه وكيف تكون العودة الا القليل وحتى هـذا القليل فانه يفسر فى دوائر دون دوائر ،

أما أن يوجد من يقول للناس : ان التوبة تعنى الكفــر بالطاغوت والفرار من الشرك والكفــر والبعد عن مفاهيم الجاهلية وقيمها وترك كل عقيدة ومنهج يخالفـان منهج الاســلام وعقيدته والعودة الى الالتزام الكامل بالاسلام عقيدة وعباده وشعائر وشرائع فهذا نادرا ما يكون •

ومن مظاهر هــذا الوضع المريض أنك تجد الشــكوى من الداء والبعد عن الدواء • فمثلا تجــد الكلام كثيرا والشكوى كبيرة عن الفرار من الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم والشكوى كثيرة من أمراض الفرقة والخلاف والتشتت ولكن نادرا ما تجد من يشرح المرض ويعرف أبعاده ويوضح الطريق الى الشــفاء منه ويحاول أن يوجد كل الظروف المناسبة للتخلص منه • وهكذا تجــد وضعا مستمرا على غاية من الســوء ومن ثم كان لابد من مســح شامل وفهم شامل من أجل صياغة جديدة للمســلم وللأمة المسلمة ومن أجل انطلاقة جديدة للحركة الاســلامية ومن أجل تحرك اســلامى معاصر ســليم ومكافىء ، اذ بقــدر ما تجد شكوى مريرة من كل شىء ، وبقــدر ما تجد رغبة صحيحة فى التغيير وبقدر ما تجــد اندفاعات عاطفية فى الطرق الخاطئة الكثيرة ، وبقــدر ما تجد محاولات للركوب على متن أى ريح لتغيير أوضاع الذلة والتخلف ، بقــدر هذا كله تجــد عمى عن الرؤية الواضحة والمســح الكامل لمـا تنبغى معرفته مع انعــدام التحرك الشامل على ضــوء ذلك • تجد مســلما تتضح لديه ضرورة قضية ما ، وآخــر يفطن لقضية أخرى ، وآخــر يفطن لجانب ، والمسلمون يحتاجون لهذا وهذا وذاك ومثله ومثله ، ولكن ما محــل ذلك كله فى مجموع المراد ومن الذى ينســق بين الجميع ؟ ومن الذى يضع الأمور فى مواضعها ؟ والحركة الاسلامية تحتــاج الى الاجابة عن آلاف الأسئلة لتحقيق أهدافها وتحتــاج الى أمور كثيرة حتى تصبح هذه الأهداف موضع التطبيق والتحقيق • وكل ذلك يقتضى رؤية واضحة ومسحا كاملا وحركة شاملة صحيحة ومستقيمة على ضوء ذلك •

وقد ابتليت منطقتنا بثقل الحركة الصهيونية وآثارها ، كما ابتليت كل منطقة اسلامية بعقــدة من العقد وما أكثرها ، وفى كل عقدة ابتليت بها هذه الأمة تظهر شــدة الخبث والدهاء عند الخصــوم وتظهر القدرة الكبيرة لدينا على التخريب • فالحركة الصهيونية مثلا التى استطاعت أن تجمع بين الاشتراكية والديمقراطية وبين وحدة الشعب الواحــد

وتفجير طاقاته من خلال الوكالة اليهودية والهيستدروت مع وجود تعدد الأحزاب يقابلها عندنا أعمال لا حصر لها من كبت طاقات شعبنا وقتل روحه ، وفى وضع كهذا تكثر ردود الفعل الخاطئة وقصيرة النظر كما يكثر تعلق الأعين بالسراب والأوهام ، ولكن ما ان يخط واحد على الطريق خطوات حتى يكتشف كثافة الوهم الذى غرق فيه فتتمزق حجب الوهم عن عين بصيرته فاما أن ييأس واما أن ينحرف الى طريق آخر مسدود ، وقليل هم الذين يدركون أنه لابد من الحل الشامل الذى بدايته السير فى الطريق الصحيح ولو كان طويلا ، ويدركون أن هذا السير ليس أمامنا خيار فيه فاما أن نبدأ الآن واما أن نبدأه فى المستقبل القريب أو البعيد .

والمشكلة العظمى أن هذه الأوضاع السيئة تصاب بها الأمة المسلمة التى تملك وحدها تقديم صيغة الحق الوحيدة للعالم ، ويصاب بها المسلم الذى يملك وحده شفاء أمراض هذا العالم ومن ثم فان المفارقة فى غاية البشاعة ، فالمسلم الذى ينبغى أن يقدم للآخرين الحق والشفاء أصبح محل تلق للباطل والأمراض وأصبح غيره يقدم له الباطل على أنه حق ، والمرض على أنه شفاء ، وأصبح هو يصدق ذلك .

ومع كل ما مر ، فهناك رغبة ملحة عند أعداء الاسلام فى استئصال الاسلام وعدم اعطائه أى فرصة فى الظهور ، حتى انك لتجد تناقضات عجيبة على مسرح حياة هذه الأمة وخذ على ذلك هذه الأمثلة :

١ — ان هناك دعوات قومية وصلت الى الحكم وأوجدت جبهات تحكم من خلالها ، ومن العجب أن كل كافر عندها يمكن أن يكون شريكا فى الحكم وكل فئة يمكن أن تكون حليفا الا الاسلام والمسلمين ، ولو افترضنا أن المانع من اشراك الحركات الاسلامية فى الحكم هو أمميتها فلماذا يشرك الشيوعيون وهم أمميون وعملاء بنفس الوقت ، وهذه مجرد ملاحظة والا فالحركة الاسلامية تأبى أن تساوم على الاسلام كما تأنف أن تقارن بالشيوعية أو غيرها من دعوات الكفر أممية كانت أو قومية أو اقليمية .

٢ — من خلال الصحف القومية توجد حملات عنيفة على كل ميزة للغة العربية حتى ان المزايا تصبح عند هؤلاء نقائص فهم يدعون

لاجتثاثها ، فكيف يجمعون بين ايمانهم بالقومية وبين مثل هـذا ؟ ولكنه الكفر ليس غير .

٣ — وفى العـالم الاسلامى كله تقريبا لا تجد نظام حكم يسمح للمسلمين باقامة أحزاب سياسية اسلامية مع أن أوروبا نفسـها وهى العلمانية فى جوهر أنظمة حكمها لا تجد فيهـا بلدا تقريبا الا وفيه حزب سياسى مسيحى . هذا مع أن المسيحية لا تتكلم الا فى جوانب قليلة مما يقرره الاسلام .

كل هذا يدلك على أن هناك رغبة ملحة عند المخططين العالميين وعملائهم لاستئصال الاسلام على هذه الأرض ، وأمام هذا فلابد من ادراك ووعى لمـا ينبغى فعله .

فاذا عرفنا أن هناك قصورا فى التصورات وقصورا فى العلاج وقصورا فى الرؤية الشـاملة وقصورا فى الحركة على ضوئها . وعرفنا ما يراد بنا ولنا نحن المسلمين ، اذا عرفنا ذلك كله وأدركنا أن هذا كله يقتضى منا ما يقابله وما يكافؤه ، وأن بداية ذلك كله اتقـان البناء واحسانه ندرك بعض الأسباب الحاملة لنا على اصدار هذه السلسة « فى البناء » التى تشكل هذه الرسالة جزءا من أجزائها .

ولقد حاولنا فى هذه السلسلة أصلا أن تكون كل رسالة منها تخـدم غرضا فى قضية البناء أو تحقق هدفا مرحليا أو شاملا ، وهذه الرسالة لا تخرج عن ذلك ونترك تفسير ذلك الى رسائل أخرى .

وقد بدأت الرسالة بالبديهيات مارة بعرض الصـفات المشتركة للدعوات الكافرة والصفات الرائعة لدعوة الأنبياء وتبيـان جوانب المرض المعاصرة فى أمتنا ونقطة البداية فى ازالتها متحدثة عن الواقع المـر لهـذه الأمة مبينة أهم الملاحظات التى ينبغى أن تلاحظهـا الحركة الاسلامية .

وانا لنطمح أن تؤدى هذه السلسلة فى أجزائها الأحد عشر :

١ — جند الله ثقافة وأخلاقا .
٢ — المدخـل .
٣ — فقه التكوين والعمل .
٤ — فقه التنظيم والتنفيذ .
٥ — جولات فى الفقهين الكبير والأكبر .
٦ — الحياة الروحية والسلوكية لجند الله .

٧ — القواعد فى البناء •
٨ — على طريق الجهاد الأصعب الأطهر •
٩ — برسم التنفيذ •
١٠ — هذه الرسالة •
١١ — نظريتنا الأمنية ودروس الأمن •

انا لنطمح أن تؤدى هذه السلسلة دورها فى اقامة دولة الله ونصرة شريعة الله ، واحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوحيد أمة الله ، واقامة الجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا فى العالمين ولتكون كلمة الذين كفروا هى السفلى باذن الله •

هذا ونحب أن نقول لكل الكافرين والمنافقين والفاسقين فى العالم : اننا لواثقون برغم كل الظروف الصعبة القاسية التى نمر بها أن دولة عالمية للاسلام ستقوم وسيرى العالم هذا كله حقيقة قائمة باذن الله وسنعمل لاقامة هذه الدولة بثبات وعميق ادراك لتكون خطواتنا دائما الى الأمام ، وان معركة يدبر لأهلها رب العالمين لا شك أن أهلها منصورون اذا أدوا حق الله عليهم • ونقول لكل الكافرين :

« ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون »(١) •

كما نحب أن نقول منذ الابتداء لثلاثة أصناف من أبناء المسلمين كلمة صريحة ، هذه الأصناف الثلاثة هى :

— المسلم الذى يحرص على أن يحتفظ بلقب شرف مزعوم يخلعه عليه الكافرون — والمسلم الذى يحرص على الدنيا من خلال الانخراط تحت ألوية الكفر وكأن الدنيا ليست الا للكافرين — والمسلم الذى يصدق الخونة والكاذبين عندما يتهمون المسلمين الأمناء الصادقين •

نقول للأول : أنت يا صاح •• كما قال القرآن من طبقة : **« سماعون للكذب أكالون للسحت »**(٢) وأنت كما قال الله عز وجل : **« مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء »**(٣) • وأنت كما قال الله عز وجل : **« ويقولون للذين كفروا** (أى عن الذين كفروا) **هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا »**(٤) • ان المسلم لا يحتاج الى لقب شرف من كافر لأن

---

(١) هود : ٣٨ •
(٢) المائدة : ٤٢ •
(٣) النساء : ١٤٣ •
(٤) النساء : ٥١ — ٥٢ •

الكافرين فى العالم كله أخس من الحيوانات • قال تعالى : **« ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا »**[1] •

ونقول للثانى : ان الله عــز وجل يقول : **« من كان يريد ثواب الدنيــا فعنــد الله ثواب الدنيــا والآخــرة »**[2] • ويقول : **« من كان يريد حرث الآخــرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيــا نؤته منها وما له فى الآخــرة من نصيب »**[3] • والله عز وجل يقول : **« من كان يريد العاجلة عجلنا له فيهــا ما نشــاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحــورا ، ومن أراد الآخــرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا »**[4] • والله عز وجل يقول : **« وعــد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصــالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا »**[5] •

ونقول للثالث : أيها الانســان •• أين أنت من قول الله تعــالى : **« يا أيها الذين آمنــوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين »**[6] فاذا كان الفاسق لا يصدق فى أمر المسلمين فكيف نصدق كافرا أو منافقا فى شأن مســلم ؟ انك وقعت فيما ذكره الحديث الشريف : (ان بين يدى الســاعة سنين خداعة يؤتمن فيها الخائن ويخــون الأمين ، ويصــدق فيها الكاذب ، ويكذب فيها الصادق) والى الله المشتكى •

ولنبدأ عرض أبحاث الرسالة •

* * *

---

(١) الفرقان : ٤٤ •
(٢) النساء : ١٣٤ •
(٣) الشــورى : ٢٠ •
(٤) الاسراء : ١٨ ـ ١٩ •
(٥) النور : ٥٥ •
(٦) الحجرات : ٦ •

الباب الأول

البديهيات الأولى

كثيرا ما يحدث أنك تجد مسلما يحب الاسلام ويلتزم ببعض شعائره حتى اذا طرحت عليه موضوعا من الموضوعات البديهية فى الاسلام استغربه واستنكره ، ومن ثم تبقى بين المسلمين هوات هائلة اذ كيف يتم تفاهم ولقاء والبديهيات منقوضة ؟ وكثيرا ما يحدث نتيجة لذلك أن تجد مسلما يسلم نفسه للعمل تحت ألوية الكفر ولا يشعر أن ذلك يتناقض مع الاسلام وكثيرا ما تجد مرتدا عن الاسلام قد فاء الى الاسلام ولكنك عندما تدارسه أو تناقشه أو تسمع أفكاره تجده قد انتقل من كفر كلى الى كفر جزئى بسبب غيابه عن البديهيات ، وأحيانا تجد مسلمين مقبلين اقبالا عظيما على الاسلام علما وعملا وسلوكا، ومع هذا تغيب عنهم بعض البديهيات فتراهم فى جانب فى القمة وفى الجانب الآخر فى فراغ . وأحيانا تجد مسلما لا تغيب عنه بديهيات الاسلام ولكنه لا يبنى على ما تستلزمه ، وهذا كله يترك آثاره السيئة على وضع المسلمين فيستنفد طاقات ويهدر أوقاتا ، ويحدث مصادمات ويجعل مردود الجهد الاسلامى صغيرا أحيانا ومعدوما أحيانا ، ومن ثم كان الابتداء بذكر هذه البديهيات التى نعتبرها أمهات من الضرورة فى المكان الأول .

ان الادراك الصحيح لموضوع هذه البديهيات والتفاعل معها واللقاء عليها هو نقطة البداية الصحيحة لسير سليم للمسلمين فى كل قطر وعلى كل مستوى ، أما اذا غاب الادراك الصحيح لواحدة من هذه البديهيات فلابد أن ينعكس ذلك انعكاسا سيئا على المسلمين عامة ومن ثم كان لابد من تفصيل ، ونحب أن نقرر هنا أن هذه البديهيات تشكل جزءا مما يعبر عنه علماؤنا بالأمور المعلومة من الدين بالضرورة والتى يعتبر جحود أحدها كفرا والتى يفترض أن يعرفها العام والخاص من

المسلمين ، وما كانت كذلك الا لكثرة النصوص فيهـا ووضوحها ولعل بعض طلاب العلم يسـارعون فينكرون أن يكون بعض ما نذكره هنا من هذه البديهيات ، والذى نقوله لهؤلاء : تأنوا قليلا وتأملوا ما نقول وعودوا الى الكتاب والسنة ثم عودوا الى المفاهيم العامة للمسلمين قبل سقوط الخلافة العثمانية ثم تأملوا الواقع الذى يترتب على غياب هذه البديهية فانكم سترون أنكم تسرعتم فى الانكار بل أصبحتم به على شفا خطـر ، وليس من أدبنا أن نسارع فى التكفير فذلك نفس خارجى ، ولكن القاعدة العامة أن الانكار القطعى بعـد البيان كفر باجماع المسلمين فالأمر جد ودين الله عز وجل أعظم الجد ولنبدأ بعرض هذه البديهيات .

*** البديهية الأولى :**

الاسلام هو النظام الوحيد المكلفة به الانسانية كلها شرقها وغربها ، شمالها وجنوبها ، أصفرها وأحمرها ، وأبيضـها وأسودها . وأجناسها كلها ، وهو الذى لا يقبل الله عز وجل من أحد دينـا غيره ، قال تعالى : **« ان الدين عند الله الاسـلام »**(١) وقال : **« ومن يبتغ غير الاسـلام دينا فلن يقبل منه »**(٢) .

والمراد بالاسلام هنا الدين الذى أنزله الله عز وجل على محمـد صلى الله عليه وسلم فهو الصيغة الناسخة لكل دين سبق والخاتمة لكل رسالات الله عز وجل ، والانسانية مكلفة به حتى قيام السـاعة وكل من بلغه هـذا الدين ولم يؤمن به فهو من أصحاب النار عند الله عز وجل . قال عليه السلام :

(والذى نفسى بيده لا يسـمع بى أحد من هذه الأمة يهـودى ولا نصرانى ثم لم يؤمن بالذى أرسلت به الا كان من أصحاب النار) .

*** البديهية الثانية :**

هذا الاسلام هو الاجابة الوحيدة والصافية والحق على كل تساؤل للانسـان اذ هو التغطية الكاملة للحياة البشرية فى الاعتقاد والعبادات والشرائع والشعائر ، وهو الضابط الوحيد لكل شىء فى حياة الانسان كفرد والانسانية كلها على كل مستوى ، فعنه تنبثق الهداية الصحيحة والسليمة والمستقيمة فى كل شأن . قال الله تعالى واصفا كتابه :

---

(١) آل عمران : ١٩ . (٢) آل عمـران : ٨٥ .

« **ونزلنا عليك الكتــاب تبيانا لكل شىء وهــدى ورحمة وبشرى للمسلمين** »[1] وقال تعالى عن القرآن : « **ما كان حديثــا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون** »[2] ٠
وانما كان الكتاب تبيانا لكل شىء اما بنصــوصه أو بمــا أحالت عليه نصوصه من سنة أو قياس أو اجمــاع أو استحسان أو استصحاب أو استصلاح أو عرف أو بما اعتمدته من أحكام عقلية أو شرعية أو عادية وبما حددته لهذا كله من مدى ضابط ومنضبط فأطلقت بذلك للعقل مداه وللتجربة مداها ٠

* **البديهية الثالثة :**

ان الدخول فى الاســلام يعنى الاستسلام المطلق لله تعــالى فى كل شىء ، وكون الاسلام يغطى كل شىء ، ان ما له علاقة فى النفس وفى العقــل أو فى القلب أو فى الروح ، وأن ما له علاقة فى العواطف والمشاعر أو ما له علاقة بالعمليات والعقلانيات وأن ما له علاقة فى العقائد أو العبادات أو ما يدخل تحت اسم المبادىء الدستورية أو ما يدخل تحت اسم القوانين الحاكمة لكل معانى الحيــاة أو ما يدخل تحت باب الأخلاق والآداب ٠ ان كون الاســلام كذلك يعنىأن الاسلام لا يقبل الشركة لا فى التلقى ولا فى التبنى قال الله عز وجل : « **ادخــلوا فى الســلم كافة** »[3] أى فى الاســلام جميعا ، وقال الله عز وجل : « **فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى** »[4] التى هى الاسلام ٠

* **البديهية الرابعــة :**

والعقلية التجريبية هى احدى مظاهر التكوين الاســلامى للشخصية الاسلامية ومن ثم فكل ما وصل اليه العقل التجريبى الحكيم هو مقبول من وجهة النظــر الاسلامية ويعتمد أصلا ٠ ومن ثم كانت القاعدة العامة : الحكمة ضالة المؤمن فأينما وجــدها فهو أحق بها ، ومن ثم اعتمد عمــر نظام الدواوين الفارسى وهو من باب الاداريات التى توصل اليها تجربة لصــالح الانسان ، وعلى هذا فالاســلام لا يعنى الانغلاق عن العالم بل يعنى الانفتاح على العــالم والأخذ منه فى

---

(١) النحــل : ٨٩ ٠ (٢) يوسف : ١١١ ٠
(٣) البقــرة : ٢٠٨ ٠ (٤) البقــرة : ٢٥٦ ٠

الأطر التى يوصـــل اليها ما اعتمده الاســـلام من طرائق ، فالاسلام اذا أمر بالتفكر وأمر بالتعلم وأمر بالنظـــر فى ملكوت السموات والأرض وأمر بالنظـــر فى كيفية نشـــأة الحياة ، واعتمد المصالح المرسلة ــ قد فتح لنا آفاق الأخـــذ السليم لكل نتيجة صحيحة أوصل اليها ما أمرنا باعتماده ولو كان الواصلون لذلك غيرنا على أنه اذا صبغه غيرنا بفكره وطرائق حياته وما يعتمده من عقائد فعلينا أن نجـــرده من ذلك ونصبغه صبغة اسلامية صافية .

*** البديهية الخامســـة :**

ان كون الاسلام نظاما « كاملا » شاملا فهو بالتالى نظام سياسى ، وكما أنه نظام سياسى فهو نظام اجتماعى واقتصادى واخلاقى ومن ثم فاغفال أى جزء منه تعطيـــل له واقامة أى عمل سياسى على غير أساسه تعطيل له وتعارض معه ودخول فى صراع مع أهله ومن ثم فان الذين يدعـــون الى عزلة الاســـلام عن العمل السياسى انما يدعون الى تعطيل الاسلام والى خلعه عن مركزه الصحيح الذى أراده الله عز وجلّ ، وكذلك كل عمل يتبنى جزءا منه ويهمـــل أجـــزاء أو يتبنى بعض أحكامه ويغفل أحكامه الأخـــرى ، ومن ثم كانت كل التكتلات والتجمعات السياسية التى لا تتبنى الاسلام كله معارضة للاســـلام ومحاربة له ولأهله فى النهاية وهى داخلة اما فى قوله تعالى : **« أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفـــرون ببعض فما جـــزاء من يفعـــل ذلك منكم الا خـــزى فى الحيـــاة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشـــد العذاب وما الله بغافل عما تعملون »**(١) . أو فى قوله تعالى : **« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون »**(٢).

انه من العجيب ألا تقبل الشيوعية معها شريكا وألا يفصل الشيوعى بين المـــاركسية كنظام سياسى وبين أرضيتها وخلفيتها الفكرية مع أنها نظام باطل فى أصـــله وعرفه . ثم أن يتصـــور متصـــور أن الاسلام يرضى شريكا أو يرضى أن ينفصـــل كعقائد وعبادات عن كونه نظام حياة شاملا سياسة واقتصادا واجتماعا ، ومن الحديث الصحيح الذى يقول فيه عليه الســـلام : « ان الاسلام بنى على خمس .. » ندرك أن فوق هذه الخمس بناء يشمل كل شىء فى الحياة البشرية .

---

(١) البقرة : ٨٥ .   (٢) المـــائدة : ٤٤ .

* **البديهية الســادسة :**

ان المسلمين مكلفون أن تكون كلمة الله هى العليـا قال تعـالى : **« وجعــل كلمة الذين كفــروا السفلى وكلمة الله هى العليــا »**(١)
وقال عليه الســلام : « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليـا فهو فى سبيل الله » فاذا كان هذا تكليفا عاما للمسلمين على مستوى البشرية كلها فكيف لا يكون ذلك تكليفا للمسلمين فى أقطارهم ؟ ولا تكون كلمة الله هى العليا فى قطــر الا اذا كان المســلمون يحكمون هذا القطــر بالاسلام أما اذا حكم القطــر بغير الاسلام فان كلمة الله لا تكون هى العليا بل يكون الاستعلاء لكلمة الكفــر ونظامه ، واذا لم يكن المســلمون هم الحاكمين فان العــزة لا تكون لأهل الايمان والاسلام وهذا تناقضه كبير مع الوضع السليم الذى قال الله عز وجل عنه : **« ولله العــزة ولرســوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعــلمون »**(٢)
ومن ثم ندرك مباشرة أنه عندما لا يكون دين الدولة هو الاســلام فى قطــر وعندما لا يكون رئيس الدولة مســلما فان ذلك تناقضه كامل مع كل أصول الاســلام ويستحيل أن يسلم المسلمون بذلك ، بل واجبهم الجهاد مع مثل هذه الأنظمة حتى تسقط ، وهذا أدنى مظاهر العزة وأدنى مظاهر أن تكون كلمة الله هى العليا .

* **البديهية الســابعة :**

والمسلمون فى القطــر الواحد بل فى العالم كله يجب أن يكونوا كتلة واحدة وجماعة واحدة هذه الكتلة كتلة ايمانية كما هى كتلة سياسية وكل فصــل ما بين هــذا وهــذا مغالطة كفرية وتضليل كبير ، هذه الكتلة يجب أن يكون لها امام واحد وهى قضية لا تحتمــل فى منطق الاسلام نقاشا ولا تأخيرا ولا تأجيلا حتى ان الصحابة قدموا انتخــاب الخليفة على دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحتى ان عمــر أمر بقتل من يخالف أكثرية الستة من الستة فى شأن امام المســلمين لأن وحدة القيادة مقدمة على كل شــأن ومن ثم فالمســلمون فى القطــر الواحد يجب أن يكونوا جماعة واحدة وكتلة واحدة وكذلكهم فى العالم . ويجب أن تكون لهذه الجماعة فى كل قطر السلطة الكاملة غير منقوصة .

---

(١) التوبة : ٤٠ .
(٢) المنافقون : ٨ .

وليس فيما ذكرناه ما يخيف مواطنينا من غير المسلمين وليس هذا شيئا لا يحتمله العصر كما يزعمون وتفصيل ذلك فيما يلى :

(أ) ان الاسلام أمر المسلمين ألا يكرهوا غير المسلمين على الدخول فى الاسلام الا وثنيا عربيا فهذا لا يقر على وثنيته وقد ثبت تاريخيا أن المسلمين وحدهم هم المؤتمنون على دينهم وعلى حرية غيرهم فى الاستمرار على دينه بدليل أن المسلمين حكموا بلاد الشام فاستمرت بها الأديان هذه القرون الطويلة كلها ، فلو أن غير المسلمين كانوا يضطهدون أو تغتال حريتهم الدينية لما استمروا ، وهذا موجود فى كل مكان بينما نجد أن المسلمين حيث سيطر غيرهم يستأصلون وهذا يشير الى أن المسلمين هم وحدهم المؤتمنون على دينهم وعلى أديان غيرهم .

(ب) ان الاسلام يأمرنا أن نقدم للمواطنين غير المسلمين على أرضنا البر والعدل ما وفوا لنا بشروطهم وما لم يحاولوا قتالنا واخراجنا من ديارنا . قال تعالى : « **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين** »[1] فنحن مأمورون أن نقدم لهم مع العدل البر ، واذا عرفنا أن الاسلام بالنسبة لهؤلاء مذهب سياسى فان أى حكم فى العالم لا يقدم لغير المؤمنين بالحكم ونظامه ما يقدمه المسلمون لغيرهم على أرضهم . أن أقصى ما يحلم به أى انسان لا يؤمن بنظام أن يقدم له هذا النظام العدل الحقيقى أما أن يقدم له البر الكامل مع العدل الحقيقى فهذا لا يصل اليه أى نظام فى العالم على مثل هذا المستوى الشامل .

(جـ) ان الاسلام بالنسبة لغير المسلمين نظام سياسى يتعامل معهم بحسب الميثاق الذى يتفقون عليه ومن رغب فى أن يدخل فى الاسلام بمحض اختياره فان له ذلك ويعطى مباشرة من الحقوق ما لكل مسلم على أنه اذا ارتد عن الاسلام بعد ما دخل فيه بمحض اختياره قتل كما هى الحال بالنسبة للمسلم وتنطبق عليه فى حالات المخالفة أو الخيانة أحكام الاسلام التى تنطبق على المسلمين عامة .

(د) ان الاسلام فى الأصل يخير الناس بين القتال أو الاسلام

---

(1) الممتحنة : ٨ .

او اعطاء الجزية وذلك فرض فرضـــه الله على المسلمين أن يفعلوه لاعلاء كلمته فى الأرض ، والمســـلمون هم المنفذون لأمر الله فى هـــذا الشأن ؛ ولا مجال لأن يقارن الاســـلام بغيره فى هـــذا الموضوع لأن الاسلام حق وغيره باطل ، ولأن الاسلام دين الله خالق الانسان الذى وحده يعطى الحقوق ، وقد أعطى المسلمين حق القتال والقتل ، فقتالهم كل كفـــر هو عدل وحق ، وسيطرتهم على العـــالم لمصلحة هذا العالم .

ان الجماعة الاسلامية الحق اذا حكمت هـــذا العـــالم فانها هى وحدها تحمل هـــذا العالم على صيغة العـــدل الكامل فى اطار الحق الشامل وعندئذ فلا شعب يستغل شعبا ولا غنى يتحكم بفقير ولا مترف يســـتغل اضطرار الانســـان ولا قوة تحكم حقا ، العدل يحكم الجميع والحق فوق الجميع ويربط بين الجميع رباط الرحمة الحقيقية بالانسان .

وما عدا ذلك فان العـــالم سيبقى محكوما بدوائر من الظـــلم والاستغلال والتحكم والقهر الحاقد والتناقض الواضح بين الشعارات والواقع .

(هـ) ان الجزية التى رضيها الاسلام من غير المسلمين ذات مضمون تغيب عن الكثيرين آفاقه :

١ ــ ان الجزية هى رمز القبول للخضوع لســـلطان الاســـلام والمسلمين فمتى قبل غير المسلمين بهذا الخضـــوع مبدئيا لســـلطان الاسلام والمسلمين أصبحت هناك قابلية للاتفاق معهم على أنواع من التعايش تحددها الاتفاقات .

٢ ــ هذه الاتفاقات يمكن أن تكون ذات صيغ متعـــددة ، يظهر ذلك من مجموع الاتفاقات التى عقـــدها الصحابة والمسلمون من بعدهم مع غير المسلمين فى كل قطر .

٣ ــ يمكن أن تعـــدل هذه الاتفاقات على حسب المصلحة العامة للمسلمين بما لا يزيد من أثقال غير المسلمين بل بما يخففها .

٤ ــ من حيث المبـــدأ ان الجزية كضريبة مالية تسقط عن غير المسلم اذا رغب هـــذا أن يشارك فى القتال مع المسلمين ، ومن حيث المبدأ يمكن أن يسلم غير المسلمين وظائف تنفيذية من الوزارة فما دون ، ومن حيث المبدأ فان لغير المسلمين ما للمسلمين من الحقوق وعليهم ما عليهم فى قضايا المعاملات واذا شاء غير المسلمين أن يحتكموا لبعضهم ولشريعتهم فى شئون بعضهم فذلك جائز ، وان شاءوا أن يحتكموا الينـــا نحكم بينهم

بشريعتنا ، وفى القضايا المشتركة الحكم الاسلامى هو الذى يخضع له الجميع .

٥ — ان موضوع الجزية هو اذن بمثابة بدل عسكرى فالمسيحى أو اليهودى أو البوذى أو غير ذلك مخير بين الخدمة العسكرية أو البدل العسكرى السنوى الذى لا يرهقه ، ومما يؤكد أن الجزية بدل عسكرى أنها لا تؤخذ من غير القادرين على القتال أصلا أو الذين لا يقاتلون ولذلك فانها لا تؤخذ من المرأة ولا من الصبى ولا من الشيخ الكبير ولا من رجال الدين كما يؤكد أنها كذلك أن المسلمين أسقطوها عمن كان يشارك فى الحرب مع المسلمين وقد كان المسلمون يأخذون الجزية (٤٨) درهما من الأغنياء و (٢٤) درهما من المتوسطى الغنى و (١٢) درهما من الفقراء ، وهو مبلغ زهيد اذ معدل الدرهم حوالى ثلاثة أرباع (الليرة السورية) ولو أن أى انسان فى بلادنا خير بين دفع هذا البدل العسكرى أو أكثر منه خمسة أضعاف سنويا مقابل اعفائه من الخدمة العسكرية لفضله على هذه الخدمة ، والحقيقة أن من عدل الاسلام أن قبل الجزية كبديل عن القتال ، اذ القتال فى الاسلام عبادة من العبادات ، فاذا كلف الاسلام غير المسلمين بالقتال فكأنه أكرههم على عبادة اسلامية كيف وقد يكون القتال ضد أبناء دينهم ؟ !

(و) ونحب هنا أن نقرر ما يلى :

اذا رفض غير المسلمين فى أى قطر اسلامى أن يكون دين الدولة الاسلام فانهم بذلك ينقضون كل العهود السابقة بيننا وبينهم والواقع أنهم أعلنوا رفضهم لهذا المبدأ فى كثير من الأقطار وهذا يجعل كل عهد بيننا وبينهم لاغيا وبالتالى فان هذا يجعلنا فى حل من كل التزام سابق بيننا وبينهم ويعطينا حرية واسعة فى التصرف من وجهة النظر الاسلامية على أننا ونحن دعوة رحمة **« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين »**[1] نعرض على مواطنينا فى أرضنا أن يلتقوا معنا على صيغة ضمن الأسس التالية :

١ — لابد من قبول مبدأ أن دين الدولة الاسلام وأن رئيس الدولة الأعلى ينبغى أن يكون مسلما .

---

(١) الأنبياء : ١٠٧ .

٢ — فى موضوع الخدمة العسكرية غير المسلم مخير بين دفع بدل عسكرى سنوى أو المشاركة فى الخدمة العسكرية •

٣ — يمكن أن يعطى لغير المسلمين من وزارات الدولة بنسبة عددهم لمجموع سكان القطر •

٤ — يمكن أن يعطى لغير المسلمين فى مجلس النواب بنسبة عددهم لمجموع سكان القطر •

٥ — يستقل غير المسلمين باختيار ممثليهم الى مجلس النواب ورئيس الدولة يستقل باختيار من يشاء منهم للوزارات •

٦ — يحق لغير المسلمين انشاء مدارس خاصة بهم باذن عام من الدولة وتحت اشرافها •

٧ — كل ما كان جزءا من دينهم يستطيعون أن يمارسوه وأن يوجدوا الأطر التنظيمية له على ألا يخل ذلك بالأصل العام •

٨ — يحظر على غير المسلمين اقامة التنظيمات المسلحة أو العسكرية أو شبه العسكرية •

ضمن هذه الصيغة أو ما يقاربها يمكن أن يتم تفاهم جديد وعقد جديد والا فان الأمر من جديد يمكن أن يعود الى الحرب والقتال ليقرر القتال بعد ذلك الصيغة النهائية من التعامل ونرجو الا نصل الى مثل هذا • والأمر جد يجب أن يعرفه الكبير والصغير ، ومن حيث المبدأ فان أى انسان على أرضنا اذا انتسب الى حزب علمانى يرفض مبدأ أن يكون دين الدولة الاسلام يعرض نفسه وأهله وماله للعقوبة المقررة لذلك اسلاميا •

(ز) وأخيرا نقرر أنه لا حرية على الأرض الاسلامية للالحاد ولا حرية سياسية لغير المسلمين الا على ضوء المعاهدات التى تربطنا معهم ، ولا حرية سياسية لمسلم الا على ضوء الاسلام • وعلى ضوء الاسلام يمكن أن يقوم أكثر من تنظيم سياسى فى القطر الواحد أو على امتداد هذه الأمة على أن يلتزم الجميع بحكم الاسلام ثم بالشورى كأساس ينبثق عنه الحكم • ان فيما يعتمد من قواعد أو فيما ينبثق عن هذه القواعد من قيادات •

وبالتالى فانه لا حرية سياسية لمن يرغب أن يحتكم الى القوة على الأرض الاسلامية ما دام الاسلام قائما والقيادات مسلمة ملتزمة والشورى يلتزم بها الجميع •

ان وضع الأمور فى مواضعها هو الحل الحاسم من أجل انطلاقة جديدة للأمة الاسلامية وللمسلمين وعلى كل مسلم ان يعرف أننا نراعى الرأى العام محليا وعالميا فيما لا تتعطل فيه الأحكام أخذا من قوله عليه السلام لعائشة : « لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لهدمت البيت وبنيته على قواعد ابراهيم » كما أننا نراعى الرأى العام اذا لم يكن ظالما أخذا من قوله تعالى : « **لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم** »[1] • أما ما عدا ذلك فاننا كما قال الله تعالى : « **يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم** »[2] •

*** البديهية الثامنة :**

فى حالة تهدم السلطان السياسى للاسلام والمسلمين فى قطر ما أو فى عامة الأقطار فواجب على المسلمين مباشرة نصب امام والبدء بالقتال بالشكل المناسب أو الاعداد للقتال بالشكل المناسب أو الاعداد الصحيح لاختيار الأمير ثم القتال • وعلى كل المسألة تبقى ضمن هذه الأطر والله تعالى يقول : « **كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين** »[3] • وفى هذا المقام توجد مجموعة أغلاط يجب أن تصحح ، ومن ثم نحب أن نتحدث فى هذه البديهية عن مجموعة أمور :

١ — كثيرون من جهلة المشايخ يعتبرون المعارضة لأى نظام سياسى نوعا من البغى والخارجية ويعتبرون ذلك خطأ دينيا ، ولا شك أن هذا من أفظع الجهل لأنه ان صح كلامهم فان موسى وابراهيم عليهما السلام يكونان مخطئين اذ دخلا فى صراع مع فرعون ونمرود ، واذن فليست كل معارضة بغيا أو خارجية • لقد عرف فقهاء الحنفية البغاة والخوارج بأنهم الخارجون على الامام الحق بغير الحق واذن فالخروج بالحق على الامام غير الحق لا يعتبر خارجية ، والخروج على الامام غير الحق لا يعتبر خارجية ، فكيف اذا كان الخروج بالحق على الامام غير الحق ؟ فهل يسمى هذا أحد خارجية وبغيا إلا اذا كان من أجهل الجاهلين ، والرسول عليه السلام حدد متى تجب الطاعة ومتى يجب القتال فقال : « اسمعوا وأطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله »

(١) البقرة : ١٥٠ •

(٢) المائدة : ٥٤ •

(٣) البقرة : ٢٤٩ •

رواه البخارى • ولما سأله الصحابة عن قتال نوع من الأئمة بقولهم : أفلا ننابذهم ؟ قال : « لا •• ما أقاموا فيكم الصلاة •• » فاذا أصبحت السمة الظاهرة لكل أنواع الحكم فى العالم الاسلامى ترك الصلاة وعدم اقامة كتاب الله فهل تعتبر المعارضة هنا خارجية والرسول صلى الله عليه وسلم يقول فى الحديث الصحيح عن الخلوف الذين يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون : « من جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل » أليس عجبا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتبر عدم جهاد هؤلاء علامة على عدم الايمان ، وبعض جهلة المتصدرين للعلم يعتبرون ذلك بغيا وخارجية •

٢ — يتجاذب الكثير من المسلمين فى كل شىء وخاصة فى قضايا السياسة والحكم اتجاهان : اتجاه يلغى الأسباب بحجة التوكل على الله واتجاه يحسب كل شىء بمنطق الأسباب المادية ويلغى قضية التوكل وينسى القوانين الربانية الخاصة اذا وجد الايمان وأهله والذى نقوله : ان الله عز وجل أمرنا أن نعمل ضمن عالم الأسباب والقوانين وأمرنا أن نبذل جهدنا فى اعداد كل ما يلزم ، وأمرنا مع هذا كله بالتوكل الكامل عليه ، وعلمنا أن له تعالى تأييداته الخاصة للمسلم وللمسلمين اذا توفرت فيهم خصائص محددة فما لم يع المسلم هذه الأمور مجتمعة يكون على خطأ عظيم وخذ أدلة هذه المعانى :

— قال عليه الصلاة والسلام : « ولن يغلب اثنا عشر ألفا من قلة » فهنا ذكر العدد وهو من عالم الأسباب ويفهم من الحديث أن غير القلة يمكن أن يكون سببا فى الخذلان ومن ذلك عدم التحقق بالخصائص التى وعد الله عز وجل أهلها بالنصر من مثل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واقامة الصلاة وايتاء الزكاة« **ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز • الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر** »(١) •

— قال الله جل جلاله : « **ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وان يكن منكم مئة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون • الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم**

(١) الحج : ٤٠ ، ٤١ •

فئة صابرة يغلبــوا مئتين وان يكن منكم ألف يغلبــوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين »(١) ٠

من هاتين الآيتين ندرك أن المســلم كان مكلفا بأن يقابل عشرة ويحــرم عليه الفرار منهم ، ثم أصبح مكلفا بأن يقابل اثنين ، فالأسباب اذن غير ملغية ولكن فى الصراع بين الكفــر والايمان هنــاك قوانين فعندما يكون صراع بين كفر وكفر فالقوانين المــادية تعمل عملها بارادة الله والتفــوق المــادى يعمل عمله بارادة الله ، ولكن للصراع بين الكفــر والايمان قوانين خاصة قال تعالى : **« كم من فئة قليــلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين »**(٢) ٠

ـــ قال تعالى : **« وأعــدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيــل ترهبون به عــدو الله وعــدوكم وآخــرين من دونهم »**(٣) فههنا أمر الله باعــداد ما استطعنا من وســائل الرمى وأدواته لأن فى ذلك ذروة القــوة قال عليه الســلام : « ألا وان القوة الرمى » وأمرنا كذلك باعداد ما يركب للمعركة ٠ انك لا تســتطيع أن تقابل البندقية بصدرك فى قتال الا أن تحتــال ٠ ولا نريد أن نغفــل حب الاستشهاد ولكن الله عز وجل أمرنا أن نعــد والاعــداد يحتاج الى تدريب ومران ونظام ، ودخول المعركة يحتاج الى تخطيط ودراســة ، وكل ذلك مطلوب ، ومطلوب معه أيضا عدم الاعتماد عليه بل المطلوب معه التوكل على الله وحده قال تعالى : **« ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا »**(٤) وقال تعالى : **« وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين »**(٥) وقال تعالى : **« اذكروا نعمة الله عليــكم اذ هم قوم أن يبســطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم ٠٠٠ »**(٦) ٠

فالمطلوب أخذ بالأسباب المــادية وتوكل على الله على أن يكون القرار ملاحظا فيه الصراع بين الكفــر والايمان له قوانينه الخاصة اذا وجدت خصائص أهل الايمان كما سنراها ٠

٣ـــ يعتبر كثير من المســلمين ويغلب هــذا حتى على العلماء

---

(١) الأنفال : ٦٥ ، ٦٦ ٠ (٢) البقرة : ٢٤٩ ٠
(٣) الأنفال : ٦٠ ٠ (٤) التوبة : ٢٥ ٠
(٥) المائدة : ٢٣ ٠ (٦) المائدة : ١١ ٠

أن الابتلاء فى حالة الصراع مع الدولة أو النظام علامة خطأ على السير ، وبعضهم يعمم ذلك حتى على الصراع مع الدولة الكافرة القائمة ، وذلك ضلال ما بعده ضلال لأن ذلك معارضة صريحة لنصوص القرآن فالله عز وجل يقول : **« ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم »**[1] • ان هذه الآية تبين أن الذين يقتلون النبيين ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس مجرمون يستحقون العذاب الأليم ، وكثيرون من مسلمى عصرنا يعتبرون الذى يأمر بالقسط هو المخطىء اذا ابتلى يشمتون به فأى ضلال أكبر ؟! ثم ان كثيرين من جهلة عصرنا يعتبرون القتل فى سبيل الله نقصا عن الدرجة العليا فى الولاية وينسون أن عليا قتل ، وأن عمر قتل وأن عثمان قتل وأن كثيرا من الأنبياء والرسل قتلوا ، هذا زكريا وهذا يحيى وقد قال تعالى كما فى قراءة ورش : **« وكأى من نبى قتل •• »** (بالضم) [2] فقرآءة ورش تقف على (قتل) مما يدل على أن أنبياء كثيرين قتلوا والله عز وجل أنب بنى اسرائيل بقوله : **« أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون »**[3] • وان القرآن الكريم يعتبر مجرد التصور أن ادعاء الايمان بلا امتحان غلط عظيم قال تعالى : **« أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين »**[4] •

٤ — يغلط كثير من المسلمين غلطين • الأول : أنهم لا يتصورون أن اقامة الدولة الاسلامية التى تحكم بالاسلام فرض ، ويغلطون اذ يعتبرون ذلك من فروض الكفايات حتى لو لم تقم فيغلطون مرة ثانية فى تصورهم العام لفرض العين ولفرض الكفاية ولتصحيح هذا الغلط نقول :

— ان الله عز وجل قال : **« كتب عليكم القصاص »**[5] وقال :

---

(١) آل عمران : ٢١ •
(٢) آل عمران : ١٤٦ •
(٣) البقرة : ٨٧ •
(٤) العنكبوت : ٢ ، ٣ •
(٥) البقرة : ١٧٨ ،

« ســـورة أنزلناها وفرضناها »(١) • فكيف تقام هذه الفرائض بدون حكومة اسلامية ، والقاعدة العامة أن ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب • ان اقامة الدولة الاسلامية فريضة اذ كيف تكون العـــزة للمسلمين بدون ذلك • ثم ان العمل المكافىء لتحقيق ذلك فريضة ، وكثيرون من الناس يغلطون فى فهم بعض النصوص الواردة فى حالة وجـــود الدولة المسلمة التى فيها خلل ما كالدولة الأموية أو العباسية أو العثمانية التى كانت تؤمن بالاسلام وتطبق الاسلام على خلل فى التطبيق وخلل فى نظام الخلافة •

ان القاعدة العامة أن فرض الكفاية يبقى فرض عين حتى يقوم • وفرض الكفاية لا يسقط حتى يقيمه بعض المكلفين فاذا كانت الدولة الاسلامية لم تقم فان المطالبة العامة باقامتها تشـــمل الجميع ، صحيح أن الفرض فى حق بعض الناس أكثر منه فى حق البعض الآخر ولكن الجميع آثمون اذا لم يعملوا ، ويزداد الاثم على الذين هم مرشحون وحدهم للتخطيط والاقناع والتنفيذ ثم يقصرون •

※ البديهية التاســـعة :

ان لزوم جماعة المســـلمين وامامهم هو أحد الفروض العظمى فى الاسلام وهو فرض لا يســـع المســـلم أن يتخلى عنه الا فى حالة واحدة وهى عندما لا يوجـــد للمسلمين جماعة ولا امام فعندئذ يعتزل فرق الضلال كلها ويكون فى هذه الحالة هو الجماعة قال تعالى : **« ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا »**(٢) • ولكن هل تخـــلو الأرض من جماعة للمسلمين وامام ؟ الأصل : لا • قال عليه السلام : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الســـاعة » • وقال الامام على رضى الله عنه : « ولا تخلو الأرض من ولى قائم لله بحجة » • ومن ثم فان أحـــدا الا نادرا لا يجد نفســـه فى هذا العالم وحيـــدا دون أن يكون له من يتعاطف معهم من المســـلمين ويلتزم بهم وحتى فى حالة فقـــدان ســـلطان الخلافة السياسى قال فقهـــاء الشـــافعية عن هذه الحالة : تنتقل أحكام الخلافة الى أعلم أهل زمانه • فالأمر اذن لا يحتمـــل الا صورة وحيـــدة ،

---

(١) النور : ١ •   (٢) النحـــل : ١٢٠ •

وهو موضوع يقصر فيه أكثر المسلمين مع أنه فى المقام الأعلى من الفروض الاسلامية قال عليه السلام : « من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه ... » وزيادة على ما ذكرناه فان كثيرا من المسلمين يقعون فى أغلاط فى هذا الموضوع وتغيب عنهم أشياء هى فى حكم البديهيات ومن ثم فلابد أن نسجل هنا مجموعة أمور :

(أ) فى الحديث الذى رواه الشيخان وأبو داوود عن حذيفة قال : « كان الناس يسألون النبى صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى ، فقلت يا رسول الله .. انا كنا فى جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : نعم .. قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : نعم .. وفيه دخن(١) ، قلت : وما دخنه يا رسول الله ؟ قال : قوم يستنون بغير سنتى ويهدون بغير هديى تعرف منهم وتنكر ، فقلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : نعم .. دعاة على أبواب جهنم ، من أجابهم قذفوه فيها ، فقلت : يا رسول الله .. فما ترى ان أدركنى ذلك ؟ قال : تلزم جماعة المسلمين وامامهم ، قلت : فان لم يكن لهم جماعة ولا امام ؟ قال : فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك » .

هذا الحديث هو فتوى العصور فلنلاحظ فيه :

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا عما يجرى على هذه الأمة وما يحدث فيها : فيذكر مرحلة الخيرية الأولى ثم مرحلة الشر تأتى بعد ذلك ثم مرحلة من الخير تأتى وفيها دخن مع تعريف فى الحديث لهذا الدخن ثم مرحلة من الشر جديدة ذات خصائص جديدة محددة فى الحديث .

ويبدو — والله أعلم — أن مرحلة الخير الذى فيه دخن هى المرحلة السابقة على مرحلتنا الحاضرة فانظر الى واقع الارث الاسلامى الذى نرثه فانك تجد تصوفا معاصرا موروثا وفيه دخن والفقه خالطه شىء من الدخن وقل مثل ذلك فى أمور كثيرة هى ارث المرحلة السابقة . وانظر كتابنا « جولات .. » .

---

(١) الدخن هنا : تغيير الدين لمخالطة غريب عنه .

ويبدو أن المرحلة اللاحقة لمرحلة الدخن هى مرحلتنا فهى المرحلة التى كثرت فيها الدعوات التى تدعو الى جهنم كالشيوعية والرأسمالية والوجودية وغير ذلك حتى أصبح لأمثال هذه الدعوات من السلطان على أرضنا ما كاد به صوت الاسلام يضيع •

ومن الحديث ندرك أن واجب عصرنا بالنسبة للارث المخالط بالدخن أن نحرره من دخنه ، وبالنسبة لموقفنا من عصرنا أن نعتزل فرق الضلالة من ناحية وأن نلزم جماعة المسلمين وامامهم هذا هو الواجب الأول فان لم يكن للمسلمين جماعة ولا امام فان واجبنا يكون اعتزال فرق الضلالة •

يقول الحديث : « فان لم يكن للمسلمين جماعة ولا امام ؟ قال : اعتزل تلك الفرق كلها » أى الفرق التى تدعو الى جهنم ، واذن فليست العزلة المرادة هنا عزلة حتى عن المسلمين الدعاة الى الله عز وجل •

وصف الرسول صلى الله عليه وسلم دعاة جهنم فى رواية بأنهم قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ، واذن فهم منا ، من بيننا • وما أكثرهم الآن وهم يحسون وليسوا بحاجة الى كثير تعريف •

واضح من الحديث أن لزوم جماعة المسلمين وامامهم هو الواجب الأول والموقف الأول •

وفى هذه السلسلة أثبتنا بما لا يقبل جدلا عند المنصفين أن أحدا لم يضع قدم المسلمين فى هذا العصر فى طريق تحرير الاسلام من الدخن ثم فى الطريق الى جماعة المسلمين وامام تتوافر فيهما الخصائص كحسن البنا رحمه الله والمسألة مسألة دليل •

(ب) ومعنا الحديث الصحيح : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم الى قيام الساعة » وفى احدى الروايات الصحيحة قوله عليه السلام : « وهم فى الشام » فالجماعة اذن موجودة وباستمرار ولزومها واجب ، والكتاب والسنة فصلا فى مواصفاتها ، ومتى عرف الانسان المواصفات بدقة عرف الطريق للتحقق بها وعرف أهلها ، قال الامام على رضى الله عنه « اعرف الحق تعرف أهله » وسنفرد الكلام عن مواصفات الجماعة التى هى مظهر الحق وظهوره فى بديهية مستقلة لأن الكتاب والسنة فصلا فى هذا الشأن تفصيلا كثيرا أعطاه حكم أكثر الأحكام الاسلامية بداهة •

(ج) واضح من قوله عليه السلام فى الحديث الأول : « أن تلزم

جماعة المسلمين وامامهم » ومن قوله عليه السلام فى نفس الحديث : « اعتزل تلك الفرق كلها » أن واجب المسلمين دائما شيئان : اعتزال الضلال وأهله والارتباط الحق بالمسلمين والالتزام بهم ، أما أن تكون طائفة أخرى فى الوسط فهو النفاق قال تعالى : **« مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء »**(١) وقال عليه السلام : « مثل المنافق مثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة » لمسلم والنسائى .

*** البديهية العاشرة :**

ان المسلمين جماعة واحدة وحزب واحد وان التقدم والتأخر فى هذه الجماعة على حسب العلم والخصائص والالتزام . ومن ثم فالمسلمون كلهم منظمون تنظيما عفويا ، ولكنها عفوية تخضع لقواعد صارمة ولا تلغى الاحتياج لتنظيم هادف يحقق غايات ، وان الجماعة الاسلامية بقدر ما تحكمها مبادىء صلبة أعطاها الاسلام مرونة كبيرة فى الحركة وان هذه الجماعة المسلمة التى يعتبر كل مسلم جزءا منها ، لا يصح لمسلم أن يخرج منها أو يخرج عليها أو ينتسب لتنظيم أو جهة ليست منها ، كما لا يجوز أن يتعاطف أو يكثر سواد جهة ضدها ، كما أن على كل مسلم أن يفجر طاقاته كلها فى خدمتها لله عز وجل وفى خدمة دين الله عز وجل ، ولا يجوز له غير ذلك الا بتكليف منها أو بالاتفاق معها كجماعة أو مع أفراد منها لهم مثل هذا الحق .

وسنتكلم فى كل هذه المعانى باختصار ولكن بشكل كاف يدرك فيه أن هذه القضايا من باب البديهيات .

— قال تعالى : **« فما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون . والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون . والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون . وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين . ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل . انما**

---

(١) النساء : ١٤٣ .

السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم • ولمن صبر وغفر فان ذلك لمن عزم الأمور »[1] •

هذه الآيات تحدد خصائص الأمة المسلمة وخصائص جماعتها :

الايمان والتوكل واجتناب الاثم والفواحش وضبط النفس عند الغضب والاستجابة لله فى الشأن كله والصلاة والشورى والانفاق والانتصار من الظلم والعدل فى العقاب • ومن هذه الآيات ندرك أن للجماعة المسلمة خصائص تنفرد بها وتجب التربية عليها منها الشورى فى الأمر ، والانتصار من الظلم •

ـ من خلال النصوص نجد أن فى هذه الجماعة منصبا اسمه منصب الخلافة وفى هذه الجماعة شىء اسمه الولى المرشد أو الوارث الكامل أو العالم العامل وفى هذه الجماعة شىء اسمه النقيب وشىء اسمه المجاهد وشىء اسمه النصير وشىء اسمه الأمير وشىء اسمه أولوا الأمر ولكل من هؤلاء خصائصهم المحددة وفى ذلك كله وفيما قبله ما يشير الى أن المسلمين جماعة واحدة ذات تنظيم تلقائى عفوى ، التقدم فيه والتأخر فيه يخضع لمبدأى الخصائص والشورى ولنر أدلة ذلك :

ـ أما منصب الخلافة فقد قال تعالى : **« يا داوود انا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله »**[2] وفى الحديث الشريف : « اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما » فدل هذا على أنه فى قمة الأمر ينبغى أن يكون خليفة واحد للمسلمين منبثق عن شوراهم ومتوافرة فيه خصائص معينة وقد أحصى القرطبى هذه الخصائص فى تفسيره عند قوله تعالى : **« واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة »**[3] فذكر منها القدرة على ادارة أمور الأمة دينا وسياسة وحربا ، وذكر صفات كثيرة وانما أشرنا فقط الى ذكر هذه الأمور الثلاثة ولكن بعبارة أخرى لأن منصب الخلافة لا يدرك كثيرون من الناس الخصائص العليا التى ينبغى أن يتصف بها ومع توفر الخصائص لابد أن تنبثق الامرة العامة للمسلمين عن شوراهم الكاملة واختيارهم الحر •

---

(١) الشورى : ٣٦ ـ ٤٣ •   (٢) سورة ص : ٢٦ •
(٣) البقرة : ٣٠ •

وأما اسم أولى الأمر فقد ورد فى قوله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم** »[1] فدل ذلك على أن هناك أولياء لأمر المسلمين من المسلمين أنفسهم هم قادتهم وأمراؤهم وعلماؤهم المتوافرة فيهم خصائص معينة .

ومن قوله تعالى : « **ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا** »[2] ومن قوله عليه السلام : « العلماء ورثة الأنبياء » ندرك أن هناك شيئا فى المجتمع الاسلامى اسمه الولى المرشد أو الوارث أو العالم العامل .

ومن قوله تعالى عن بنى اسرائيل : « **وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا** »[3] ومن فعله عليه السلام اذ قال لمن حفظ من بين وفد سورة البقرة : « اذهب فأنت أميرهم » ومن أمره عليه الصلاة والسلام يوم العقبة للأنصار أن يختاروا من بينهم اثنى عشر نقيبا ما يشير الى أن هناك شيئا اسمه النقيب . ومن سيرته عليه السلام اذ كان يجعل على كل عشرة عريفا ما يشير الى أن هناك شيئا اسمه العريف .

ومن قوله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم . انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون . ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون** »[4] .

ندرك أن هناك طبقتين فى حزب الله : طبقة المجاهدين ذات الخصائص المحددة ، وطبقة الأنصار ذات الخصائص المحددة وتأتى بعد ذلك كله فى المجتمع الاسلامى طبقة الفساق والمنافقين فالخصائص هى التى تقدم أو تؤخر داخل هذا المجتمع ومع وجود الخصائص تكون الشورى والطاعة هما الضابطين لهذا المجتمع ومن هذا كله ندرك أن المسلمين منظمون أدق تنظيم بشكل تلقائى لا يلغى احتياجهم لأنواع من التنظيم أخرى تقتضيها طبيعة الدولة أو تقتضيها طبيعة

---

(١) النساء : ٥٩ .

(٢) الكهف : ١٧ .

(٣) المائدة : ١٢ .

(٤) المائدة : ٥٤ ــ ٥٦ .

العمل للدولة فى حالة فقدانها من باب « ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب » •

ومما مر ندرك أنه فى قمة هـذا التنظيم يوجد الخليفة ثم الوارث ثم النقباء ثم المجاهدون ثم الأنصار ثم العامة والدهماء وأن الذى يرفع انسانا من اسم الى اسم هى خصائصه وحدها فى بعض الأحوال أو خصائصه مع الشورى أو خصائصه مع تعيين الخليفة أو نائبه أو الوراث العاملين • واذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا كنتم ثلاثة فى سفر فأمروا أحدكم » فمن باب أولى الا يكون وضع المسلمين كله فوضى ولكن المسلمين فرطوا فى هـذا كله فرطوا فى الخصائص وفرطوا فى التنظيم وفرطوا فى الشورى فأصبحوا غثاء كغثاء السيل أى لا وزن له ولا ثبات كما ورد فى الحديث الشريف : « توشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة الى قصعتها • فقال قائل : من قلة نحن يومئذ ؟ فقال : بل أنتم يومئذ كثيرون ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن فى قلوبكم الوهن » • قيل : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : « حب الدنيا وكراهية الموت » • أخرجه أبو داوود •

ومن ثم فان نقطة البداية فى العمل ارجاع المسلمين الى وزنهم من خلال التربية على خصائصهم ليعود كل شيء الى نصابه وليكرمنا الله عز وجل بنزع الوهن منا •

ومن أفظع ما فرط فيه المسلمون فى عصرنا موضوع الجماعة الواحدة والحزب الواحد فتمزقوا كل ممزق وتشتتوا تحت كل لواء الا اللواء الجامع بحق لهم ، لواء الاسلام ، وفات الكثيرين ما ينبغى فعله للعودة بالمسلمين الى الجماعة الواحدة •

فاتتهم الخصائص والتربية عليها وفاتهم العلم اللازم لقيام الجماعة وفاتهم ضرورة الالتزام وفاتتهم الشروط السابقة أو اللاحقة لتحقيق ذلك كله •

ولا نعلم أنه من بين خلق الله من فطن لهـذا كله ولغيره من شروط قيام أو اقامة جماعة المسلمين كما فطن الى مجموع ما يلزم لتحقيق الجماعة الاسلامية أهدافها على كل مستوى من صياغة المسلم الى اقامة للدولة المسلمة فى كل قطر الى الوصول الى الدولة

الاسلامية العالمية كحسن البنـــا رحمه الله وهذا موضوع سنراه مرة ومرة فى هذه السلسلة مع رؤية الأدلة عليه .

تجد الآن مســلما ليس لديه حظ من علم أو خصائص أو التزام نحو جماعة المســلمين ، وتجد مســلما عنده شىء من علم ويفــرط بعلوم أو عنده علم دون خصائص أو عنده علم وبعض خصائص دون التزام وكل ذلك تفريط يحتـــاج الى علاج ولقد كان فى دعوة الأستاذ البنا العلاج لهذا أو غيره .

ــ والجماعة الاسلامية تخضـــع لقواعد صلبة فى الأخلاقية العامة لها وفى آداب التعامل مع الآخـــرين فالمعاهـــدة معاهدة والغدر لا يجوز وظلم الآخـــرين حرام الا أنه مع هـــذا كله أعطاها الاسلام مرونة كبيرة فى الحركة ونهاية فى موضوع الحـــزم فى عالم كله غـــدر وخسة يظهر ذلك من قوله عليه السلام : « الحرب خدعة » كما يظهر ذلك من أمثلة ثلاثة نختارها من كثيرات مثلها من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم :.

١ ــ لمـــا فتح النبى صلى الله عليه وسلم خيبر قال الحجـــاج ابن علاط : يا رسول الله .. ان لى بمكة مالا وان لى بها أهـــلا وانى أريد أن آتيهم فأنا فى حل ان أنا نلت منك أو قلت شيئا . فأذن له صلى الله عليه وسلم أن يقول ما شاء فأتى امرأته حين قـــدم فقال : اجمعى ما كان عندك فانى أريد أن أشترى من غنائم محمـــد وأصحابه فانهم استبيحوا وأصيبت أموالهم ، وفشـــا ذلك بمكة وانقمع المسلمون وأظهر المشركون فرحا فعقـــر العباس وجعل لا يستطيع أن يقـــوم فأرسل غلامه الى الحجاج فقال : ويلك .. ماذا جئت به وماذا تقول ؟ فما وعـــد الله خير مما جئت به . فقال الحجاج للغـــلام : قل له فليخـــل لى بعض بيوته لآتيه فان الخبر على ما يسره . فلمـــا بلغ الغلام باب الدار قال : أبشر يا أبا الفضـــل .. فوثب العباس فرحا حتى قبل بين عينيه فأخبره ما قال الحجاج فأعتقه . ثم جاء الحجـــاج فأخبره أن النبى صلى الله عليه وسلم فتح خيبر وغنم أموالهم وجرت ســـهام الله فيها واصطفى صفية بنت حيى وخيرها أن يعتقها وتكون زوجته أو تلحق بأهلها فاختارت أن يعتقها وتكون زوجته ؛ ولكنى جئت لمـــال لى هاهنا أردت أن أجمعه فأذهب به فاستأذنت النبى صلى الله عليه وسلم فأذن لى أن أقول ما شئت فأخف عنى ثلاثا ثم قل ما بدا لك ،

فجمعت امرأته ما بدا لها من متـاع وحلى فدفعته اليه ثم سرى به ثم أتى العباس امرأة الحجاج فقال : ما فعل زوجك ؟ فأخبرته أنه ذهب وقالت : لا يحزنك الله أبا الفضـل .. لقد شق علينا الذى بلغك قال : أجل لا يحزننى الا هو ولم يكن بحمـد الله الا ما أحببنـا فتح الله خيبر على رسوله وجرت سـهام الله فى أموالهم واصطفى النبى صلى الله عليه وسلم صفية لنفسـه فان كانت لك حاجة فى زوجك فالحقى به . قالت : ما أظنك والله الا صادقا . قال : فانى صادق والأمـر على ما أخبرتك ثم ذهب حتى أتى مجالس قريش وهم يقولون اذا مر بهم : لا يصيبك الا خير يا أبا الفضل . قال : لم يصبنى الا خـير بحمد الله قد أخبرنى الحجاج بن علاط أن خيبر فتحها الله على رسوله صلى الله عليه وسلم وجرت فيها سـهام الله واصطفى صفية لنفسـه وقد سألنى أن أخفى عنه ثلاثا وانمـا جاء ليأخذ ماله ثم ذهب . فرد الله الكآبة التى كانت بالمسـلمين على المشركين وخرج المسـلمون حتى أتوا العباس فأخبرهم الخبر فسروا » .

٢ ــ ورد فى الحديث عن جابر مرفوعـا قال : « من لكعب ابن الأشرف ؟ فانه قد آذى الله ورسوله » قال محمد بن مسـلمة : يا رسول الله .. أتحب أن أقتله ؟ قال : نعم .. قال : ائذن لى فلأقول . قال : قل . فأتاه فقال له ، وذكر ما بينهم وقال : ان هـذا الرجل قد أراد صدقة فقـد عنانا فلما سمعه قال : وأيضـا والله لتملنه قال : انا قد اتبعناه الآن ونكره أن ندعـه حتى ننظـر الى أى شىء يصير أمره وقد أردت أن تسـلفنى سلفا قال : فما ترهننى ؟ ترهننى نساءكم ؟ قال : أنت أجمل العـرب أنرهنك نساءنا ؟ قال : ترهنونى أولادكم ؟ قال : يسب ابن أحدنا فيقال رهن فى وسقين من تمـر ولكن نرهنك اللامة ــ يعنى السـلاح ــ قال : نعم . ووعده أن يأتيه بالحارث وأبى عبس بن جبر وعباد بن بشر فجاءوا فدعـوه ليلا فنزل اليهم . قالت له امرأته : انى لأسمع صوتا كأنه صوت دم قال : انما هو محمـد ورضيعى أبو نائلة ، ان الكريم لو دعى الى طعنة ليـلا لأجاب . قال محمد : انى اذا جاء فسـوف أمد يدى الى رأسه فاذا استمكنت فدونكم ، فلمـا نزل نزل وهو متوشح فقالوا : نجـد منك ريح الطيب قال : نعم .. تحتى فلانة هى أعطر نساء العرب ، قال : فتأذن لى

أن أشم منه ؟ قال : نعم فشم فتناول ثم قال : أفتأن لي أن أعود ؟ فاستمكن من رأسه ثم قال : دونكم ، فقتلوه » . للشيخين وأبى داوود .

٣ — جاء في الحديث الشريف عن جابر قال : « ان سعد بن معاذ رمى يوم الأحزاب فقطعوا أكحله أو أبجله فحسمه النبى صلى الله عليه وسلم بالنار فانتفخت يده فتركه فنزفه الدم فحسمه أخرى فانتفخت يده فلما رأى ذلك قال : اللهم لا تخرج نفسى حتى تقر عينى من بنى قريظة فاستمسك عرقه فما قطر قطرة حتى نزلوا الى النبى صلى الله عليه وسلم على حكمه فحكم فيهم أن تقتل رجالهم وتستحيا نساؤهم يستعين بهن المسلمون فقال صلى الله عليه وسلم : « أصبت حكم الله فيهم » وكانوا أربعمائة فلما فرغ من قتلهم انفتق عرقه فمات » . للترمذى .

من خلال هذه الأمثلة الثلاثة ندرك أن المرونة فى الحركة والحزم فى العمل لابد من توافرهما فى حركة الجماعة المسلمة وهى تتحرك فى خضم صراعاتها المتعددة الجوانب لتحقيق أهدافها ، فاذا أدركنا هذا كله أدركنا بعضا من قضية الجماعة الاسلامية الواحدة . هذه الجماعة الواحدة يعتبر كل مسلم جزءا منها . قال عليه السلام : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » أخرجه الشيخان . وقال عليه السلام : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا — وشبك بين أصابعه » أخرجه الشيخان والترمذى . من مثل ذلك ندرك مقدار التلاحم بين المسلمين تلاحم لا يفوقه تلاحم قرابة أو حزبية أو عصبية أو أى شىء آخر .

واذا كانت الجماعة هذا شأنها فلا يجوز لمسلم الخروج منها قال عليه السلام : « من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه ... » ، وقال عليه السلام : « يد الله مع الجماعة ومن شذ شذ فى النار وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية » . وقال الله عز وجل : « **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا** »[1] .

---

(١) النساء : ١١٥ .

كما **لا** يجــوز لمســلم الخروج عليها « ومن خرج على أمتى يضرب برها وفاجرها ولا يفى لذى عهــد عهــده فليس منى ولست منه ولا يرد على الحوض » أو كما قال عليه السلام ·

وعلى كل مسلم ألا ينتسب لتنظيم أو جهة ليست من الجمــاعة لأن الطاعة لا تجــوز الا لأولى الأمــر من المسلمين وتحــرم على غيرهم اختيارا قال تعــالى : « **يا أيهــا الذين آمنــوا ان تطيعــوا فريقــا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافــرين** »[1] ·· « **يا أيها الذين آمنــوا ان تطيعوا الذين كفــروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين** »[2] ·· « **ولا تطيعوا أمر المسرفين · الذين يفســدون فى الأرض ولا يصلحون** »[3] ·

وكما حرم الله عز وجل علينــا أن نعطى الطاعة لغيرنا حرم علينــا أن نعطى الولاء لغيرنا قال تعــالى : « **بشر المنافقين بأن لهم عــذابا اليمــا · الذين يتخــذون الكافرين أوليــاء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العــزة فان العــزة لله جميعا** »[4] · وقال تعــالى : « **يا أيها الذين آمنوا لا تتخــذوا الكافرين أوليــاء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعــاوا لله عليكم سلطانا مبينا** »[5] · وقال تعالى : « **لا يتخــذ المؤمنون الكافرين أوليــاء من دون المؤمنين** »[6] · وقال تعــالى : « **لا تتخــذوا اليهــود والنصــارى أوليــاء بعضهم أوليــاء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم** »[7] · وقال : « **والذين كفــروا بعضهم أوليــاء بعض الا تفعــلوه تكن فتنة فى الأرض وفســاد كبير** »[8] · وعلى المسلم ألا يكثر ســواد غير المسلمين فى شأن قال عليه السلام : « من كثر ســواد قوم فهو منهم » وروى الترمذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : « لا تســاكنوا المشركين ولا تجامعوهم فمن ساكنهم أو جامعهم فهو منهم » ·

— ولنتأمل هذه الآية الجامعة : « **لا تجــد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخــر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم**

---

(١) آل عمــران : ١٠٠ ·
(٢) آل عمران : ١٤٩ ·
(٣) الشعــراء : ١٥١ ، ١٥٢ ·
(٤) النســاء : ١٣٨ ، ١٣٩ ·
(٥) النســاء : ١٤٤ ·
(٦) آل عمران : ٢٨ ·
(٧) المــائدة : ٥١ ·
(٨) الأنفال : ٧٣ ·

أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الايمــان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجــرى من تحتها الأنهــار خالدين فيهــا رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون »(١) .

— وعلى المسلم أن يفجــر طاقاته كلها فى خدمة دين الله عز وجل وداخل اطار الجماعة المسلمة ففى الحديث الشريف : « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » .

ونظن أنه بعد كل ما مر وضحت مسائل البديهية العاشرة وعرف أنها كلها من البديهيات وان كان قســم كبير من هذه البديهيات أصبح من المنســيات عند كثير من المسلمين ، هذا ونكتفى بهــذا القــدر من البديهيات فى هذه الرسالة لأن البديهيات الأخرى لا تكاد تغيب الا عن القليل ومحل عرضها فى كتب العقائد . ولعل فيما ذكرناه هنا من بديهيات ما يكفى ليحرر المسلم نفسه من أسر ما حوله ويرجع الى الله عز وجل ليربط مصيره بمصير الاسلام والمسلمين فقد آن للمســلم أن يتذكر بعد أن رأى ما رأى من مآس وطغيان وانحراف وظلم وتسلط سببه نسيانه البديهيات الأولى وكيف لا يفعل وهو الوارث الوحيد لهدى الأنبياء وهو الذى على عاتقه تقع مسئولية احياء تراث الأنبياء .

ولنلاحظ قبل أن نقول كلمة الختام لهذا الباب : اننا لم نرد أن نمس قضية البديهيات فى هذه الرسالة الا مسا رفيقا ولم نرد أن نتوسع وحدة الجماعة الاسلامية وخصائصها ومقوماتها لأن ذلك محله أبحاث أخرى فى هذه السلسلة وانما أردنا هنا فقط أن نذكر بما لا ينبغى أن يختلف فيه اثنان من المسلمين .

وأخيرا نقــــول :

اذا أدرك المســلم هذه البديهيات العشر فانه يدرك حقيقة الاختلاف بين أبنــاء الحركة الاسلامية وبين غيرهم من حمــلة الاسلام والداعين اليه فليس الخلاف بيننا وبين أحد حول ضرورة تصفية القــلوب أو حول ضرورة الأناة أو حول ضرورة التمويه أو حول ضرورة الروح الجهادية أو حول ضرورة استيعاب ساحة المعركة وأبعــادها المحليــة

---

(١) المجادلة : ٢٢ .

والعالمية أو حول ضرورة وجود أبواب مفتوحة آمنة للدعـوة الى الله أو حول أى شىء هو من الاسـلام أو يخدم الاسـلام أو يحتاجه المسلمون • وانما الخلاف حول بديهيات منسـية وحول أهداف مفروضة يغفل بعض المسلمين عن السير لتحقيقها أو لا يعطون هذه الأهداف مجموع احتياجات تحقيقها •

ونقول لاخواننا : ان عليهم أن يكونوا دقيقين جـدا وهم يدعـون أو يناقشـون فلا يفرطون فى القضية الأساسية على حساب قضية فرعية ولا يجعـلون الخلاف بيننا وبين غيرنا حول قضايا نحن فى الأصل لا نختلف مع أحد عليها وفى ذلك ابعاد لنا عن جوهـر المعركة وحجاب بيننا وبين اخواننا المسلمين •

ولكى تكون معركتنا واضحة المعالم وأنها المعركة بين وراث الأنبياء وأعداء الأنبيـاء وأنها الصراع بين هدى الأنبيـاء وباطل أعدائهم ، ولكى تكون معالم هدى الأنبيـاء واضحة وعلامات طريق المجرمين واضحة فان البابين اللاحقين سيكونان فى هاتين القضيتين ليعرف كل الناس ماهية قضيتنا وليدركوا حقنا فى متابعة هـذا الصراع حتى نهايته التى هى اخضاع العالم لكلمة الله انقاذا للانسـان وتحريرا للانسـانية من الطغيان •

***

الباب الثانى

تراث الأنبياء

لم تزل البشرية بكثرتها الكاثرة تقدس الأنبياء وهديهم على دعاوى فى هذا الشأن يدعيها بعض المنتسبين الى بعض الأنبياء فى أنهم وحدهم أصحاب الحق ووراث الهدى . ولم يزل الرافضون لهدى الأنبياء والكافرون بهم يفلسفون هذا الرفض ويزخرفون هذا الكفر وفى خضم الدعاوى والزخرفة الكذوب وجدت غشاوات فى أذهان الكثيرين حول تراث الأنبياء وهذا يقتضى منا جلاء لهذا الموضوع .

والبشرية بحكم أصل الفطرة وأصل الخلقة لم يزل مستقرا فى ضميرها الحرص على أمور والتطلع الى أمور والتقديس لأمور ، فهناك مثلاً حرص عند الانسان على معانى الحرية وتطلع الى العدل وتقديس كل ما هو انسانى وهكذا قل فى أمور كثيرة ، ولكن الملاحظ أن البشرية فى هذا كله وأمثاله تضيع بمعزل عن هدى الأنبياء فهى تتطلع أحيانا الى الشىء وتسير فى الطريق المعاكس وتقدس شيئا وتهتك حرمته عمليا وتحرص على شىء ولكن فى غمار الحرص عليه تغلو فيصبح الدواء داء . فما أكثر دعاوى الانسانية وما أكثر الاغراق فى الحيوانية وما أكثر دعاوى العدل وما أكثر ما يرتكب من ظلم باسمه وما أكثر ما بذلت البشرية للحصول على الحرية وما أكثر ما اغتيلت الحرية باسم الحرية وهكذا قل فى كل الأشياء المستقرة فى الضمير البشرى بحكم أصل الفطرة وهذا يقتضى منا نوع بيان فى حدود هذه الرسالة لمجموعة من الأمور ومحلها ومضمونها فى هدى الأنبياء عليهم السلام .

فلنبدأ عرض مجموعة هذه القضايا :

ما من وحى أنزله الله عز وجل على رسول أو نبى الا وهو اسلام وما من رسول أو نبى الا وهو على الاسلام لأنه ما من نبى ولا رسول

الا وهو مستسلم لأمر الله ونهيه ومؤمن بما أوحاه الله اليه والى غيره من رسل الله وأنبيائه وذلك هو الاسلام ومحل تفصيل ذلك فى كتابنا « الاسلام » من سلسلة الأصول الثلاثة .

هذا الاسلام الذى هو دين الله عز وجل نصوصه الوحيدة الصحيحة الثابتة هى نصوص الوحى الذى أنزله الله عز وجل على محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن ثم فليس عندنا ما نتعرف فيه على وحى الله الذى أنزله على رسله جميعا الا نصوص القرآن والسنة الثابتة ولا ننفى أن توجد نصوص فيما نقل الينا من وحى قديم يمكن أن يكون لها أصل الا أنها نصوص مخلوطة جزما بما ليس وحيا، كما أنها نصوص لا نستطيع الجزم بأصلها والذى يدلنا على أن لها أصلا أولا هى موافقتها لنصوص الكتاب والسنة أولا ، وليس عندنا طريق آخر واذا كان الوحى الذى أنزله الله عز وجل على أنبيائه ورسله السابقين قسم منه ذو طابع محلى أو مرحلى واذا كان الوحى الذى أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ذا صفة عالمية ودائمة ، واذا تضمن الوحى الذى أنزله الله عز وجل على محمد صلى الله عليه وسلم كل الوحى السابق من حيث المضمون ، فقد جعله الله عز وجل ناسخا لكل ما سواه وهو وحده الذى كلف الله عز وجل به البشرية ولا يقبل الله عز وجل دينا سواه . يقول عليه السلام :

« والذى نفسى بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم لم يؤمن بالذى أرسلت به الا كان من أصحاب النار » والأمة فى هذا الحديث أمة الدعوة وهى البشرية جميعا لأن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الى الناس جميعا « **وما أرسلناك الا رحمة للعالمين** »(١) .. « **قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا ..** »(٢).

وها هنا قضايا متعددة لابد أن نتحدث عنها تفصيلا :

أولا : ان نظرة واحدة على كتب العهد القديم وخاصة الأسفار الخمسة الأولى التى تعتبر عند يهود اليوم ونصارى اليوم توراة موسى تريك بما لا يقبل الجدل أنها ليست هى التوراة التى أنزلت على موسى بعينها : أولا للأغلاط العلمية فيها . وثانيا لتناقض كثير من

---

(١) الأنبياء : ١٠٧ .   (٢) الأعراف : ١٥٨ .

نصوصها مع بعضها ، وثالثا لهبوط كثير من نصوصها عن مستوى أن تكون وحيا ، ورابعا لأن فيها ما يدل على أنها كتبت بعد فترات طويلة من وفاة موسى عليه السلام ، وخامسا لأن فيها ما يناقض حقائق تاريخية ، ثم لأن فى كتب العهد القديم نفسها ما يدل على أن قسما من التوراة كان ضائعا وعثر عليه فيما بعد فلما عثروا عليه وجد اليهود أن ثمة تناقضا كبيرا بين ما فيه وبين ما هم عليه هذا ودولتهم قائمة ، فاذا كان هذا شأن التوراة المعتمدة عند اليهود والنصارى اليوم فما بالك بغيرها من كتب العهد القديم ، وحتى لا يكون كلامنا محل تهمة فهذه أدلة ما ذكرناه :

* فى الاصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية ما يلى :

« فمات هناك موسى عبد الرب فى أرض موآب حسب قول الرب ودفن فى الجواء فى أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف انسان قبره الى هذا اليوم » ان هذا النص يدل بما لا يقبل الجدل أن بين كتابة التوراة الحالية وبين نزولها مئات السنين وهذا النص حتما ليس من التوراة لأنه يتحدث عما بعد موسى عليه السلام مما يدل على أن كتاب التوراة لم يحاولوا افرادها عن غيرها •

لا شك أن أى أمة تحرص على معرفة قبر رسولها فأن يضيع قبر موسى فلا يعرف ثم تكتب التوراة بعد ذلك ان هذا يدل على أن بين كتابة هذه التوراة وبين نزولها مئات السنين وهى فترة كافية لأن تغير التوراة الحقيقية خاصة والله عز وجل كلف أهلها أن يحفظوها قال تعالى : « **يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء** »[1] •

* فى الاصحاح الثانى والعشرين من سفر الملوك الثانى هذا النص :

« فقال حلقيا الكاهن العظيم لشافان الكاتب قد وجدت سفر الشريعة فى بيت الرب ، وسلم حلقيا السفر لشافان فقرأه ، وجاء شافان الكاتب الى الملك ورد على الملك جوابا وقال : قد أفرغ عبيدك الفضة الموجودة فى البيت ودفعوها الى يد عاملى الشغل وكلاء بيت الرب • وأخبر شافان الكاتب الملك قائلا : قد أعطانى حلقيا (الكاهن)

---

(١) المائدة : ٤٤ •

ســفرا • وقرأه شافان أمام الملك ، فلمــا سمع الملك كلام سفر الشريعة مزق ثيابه وأمر الملك حلقيا الكاهن وأخيقام بن شافان وعكبور بن ميخا وشافان الكاتب وعسـايا عبد الملك قائلا : اذهبوا اسألوا الرب لأجلي ولأجل الشعب ولأجل كل يهـوذا من جهة كلام هـذا السفر الذى وجد ، لأنه عظيم غضب الرب الذى اشتعل علينا من أجل أن آباءكم لم يسمعوا لكلام هذا السفر ليعلموا حسب كل ما هو مكتوب علينا » •

هذا الاصحاح يتحدث عن الملك يوشـيا الذى حكم بعد سنين كثيرة من حكم سـليمان وداوود عليهما السـلام فاذا كان سفر الشريعة ضائعا ثم وجد ومن يدرى اذا كان مثلا قد عثر عليه ولم يكن قد كتب وقتذاك فكيف ببقية الأسـفار ؟ وواضح من النص أنه حتى المعـانى كانت ضائعة لأنهم عندما قرأوا سـفر الشريعة وجدوا تناقضـا كبيرا بين ما هم فيه وبين ما فى السـفر وهذا كله يشير الى أن التوراة التى أنزلت على عهد موسى ليست هى بعينها الموجودة بأيدينا •

* فى الاصحاح الثالث والثلاثين من سفر الخروج هذا النص :

« وقال — أى الله عز وجل لموسى — لا تقـدر أن ترى وجهى لأن الانسـان لا يرانى ويعيش » وفى الاصحاح الرابع والعشرين من السفر نفسه هـذا النص : « ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ اسرائيل ورأوا اله اسرائيل •• فرأوا الله وأكلوا وشربوا » لاحظ التناقض بين النصين فكيف يمنع موسى من رؤية الله ويقال له : لأن الانسـان لا يرانى ويعيش ثم يرى السبعون مع موسى وهارون الله • ان مثل هذا التناقض وهو كثير فى ما يسمى التوراة الحالية يدلك على أنها ليست هى التوراة الأصلية •

* فى الاصحاح التاسع عشر من سفر التكوين كلام عن زنا بنات لوط بأبيهما دون علمه وفى الاصحاح الخامس والثلاثين من سفر التكوين أن رأوبين زنى بسرية أبيه يعقـوب وأمثال ذلك كثيرة فى التوراة مما يدل على أن هـذا الكتاب المكتوب باسم التوراة يهبط كثيرا عن أن يكون نص بحق وحيا يعرض على الناس حال القدوة من الأنبياء والأوليـاء كما هم فى حقيقة الحال •

* فى الاصحاح الأول من سفر التكوين ما يفيد أن النجوم قد خلقت فى السماء بعد أن أخرجت الأرض عشبها وشجرها وذلك يتناقض مع حقائق العلم المعاصر بينمـا النصوص القرآنية تذكر قضية خلق

السموات والأرض بما لا زال الانسان يكشف بعض أسراره شيئا فشيئا . وهذا مما يدل على أن النص التوراتى قد حرف .

* فى الاصحاح الخامس عشر من سفر الخروج بمناسبة الكلام عن غرق فرعون : « وأجابتهم مريم : رنموا للرب فقد تعظم ، الفرس وراكبه طرحهما فى البحر » ومن المعلوم أن كل من هو مظنة أن يكون فرعون موسى وجدت جثثهم محنطة فى حفريات آثار مصر ويأتى القرآن ليقول : « **فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية** »[1] فالنص القرآنى هو الذى يفسر غرق فرعون ووجود جثته محنطة الآن . من هذه النماذج ندرك أن التوراة لا يمكن أن تكون مظهر وحى الله الخالص ولا يمكن أن يتمثل فيها التراث الصافى للأنبياء . بل هى لا تصلح أن تكون مصدر ثقة للتلقى عنه فى أى أمر .

ثانيا : وان نظرة واحدة على زبور داوود عليه السلام كما هو موجود فى أسفار العهد القديم والمذكور تحت اسم المزامير نجد فيها أن الزبور قد اختلط بما هو قصائد من نسج داوود كما اختلط بما هو قصائد لغيره ، مما يؤكد أنه لم يبق صافيا فمثلا هناك مزامير لآساف ومزامير لسليمان فى نفس القسم الذى يكتبون فى نهايته : تمت صلوات داوود بن يسى ، والملاحظ أنه فى هذا القسم نفسه مزامير تذكر على أنها قصائد لنفس داوود بينما نجد مزامير لا تذكر تحت عنوان كهذا ، وكأن فى ذكر مزامير دون عنوان ما يشير الى أن هذه وحى خالص ، فاذا كان الأمر كذلك بالنسبة لكتاب سماوى فكيف نستطيع توثيق نقل ناس هذا شأنهم فى اهمال وحى الأنبياء .

ومن هنا ندرك احتياج البشرية الى كتاب وحى موثق عن الله عز وجل ، ومن هنا ندرك كيف أن وجود القرآن شىء تقتضيه احتياجات الانسان لمعرفة وحى الله الخالص ودينه الصافى .

ثالثا : وان نظرة واحدة نلقيها على كتب العهد الجديد تدلنا على أن رسالة المسيح منعدمة فيها وأن مجموع كتب العهد الجديد ليست الا آثار مدرسة تتنافى تنافيا كاملا مع مدرسة المسيح عليه السلام وهذا دليل ذلك :

---

(١) يونس : ٩٢ .

انه من الملاحظ أن العهد الجديد كله تقريبـا هو من آثار مدرسة بولس الذى لم يكن من تلاميذ المسيح حتى الأناجيل الأربعة كلها من آثار مدرسة بولس •

والملاحظ أن بين هذه الأناجيل تناقضات كثيرة فى الحـادثة الواحدة مما يدل على أنها ليست وحيـا • كما أن من الملاحظ أن بولس نفسه يذكر فى كثير من رسائله اختلافه مع تلاميذ المسـيح المباشرين أى مع الحواريين أنفسـهم مما يدل على أن اتجاها مغايرا لاتجاه حواريى المسيح الذى هو المدرسـة الحقيقية للمسيح هو الذى استقر فى كتب العهد الجديد وهذا يؤكد أن صراعا ما قد حدث بين اتجاه مدرسة المسيح الحقيقية وبين المنحرفين عنها • فاذا عرفنا أن كل كتب العهد الجديد من آثار مدرسة بولس فهذا يدلنا على أن الاتجاه المنحرف هو الذى تغلب عند النصـارى وبالتالى فان كتب العهـد الجديد كلها ما هى الا المظهر التحريفى لرسـالة المسيح وان حوت فقرات صالحة الا أننا لا نحـكم على صلاحها الا من خلال القـرآن الذى أعطانا الصيغة الكاملة للحق فى كل شىء ولنلاحظ هذه النقول من كتب العهد الجديد :

* فى الاصحاح التاسع عشر من انجيل متى هذا النص :

« واذا واحـد تقدم وقال له أيها المعلم الصـالح أى صلاح أعمل لتكون لى الحيـاة الأبدية فقال له : لمـاذا تدعونى صالحا ، ليس أحد صالحا الا واحد وهو الله ، ولكن ان أردت أن تدخل فى الحيـاة فاحفظ الوصايا » •

من ملاحظة هذا النص تدرك كم هنا من متناقضـات بين مجمـوع معانى كتب العهد الجديد التى تجمع مثل هذا ومثل أن المسيح ابن الله ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا •

* فى الاصحاح الخامس عشر من أعمال الرسل : « فحصـل بينهما مشـاجرة » أى بين برنابا تلميذ المسيح المباشر وبين بولس « مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر » •

* فى الاصحاح السادس عشر من رسالة بولس الى أهل رومية : « وأطلب اليكم أيها الاخوة أن تلاحظـوا الذين يصنعون الشقاقات والعثرات خلافا للتعليم الذى تعلمتموه وأعرضوا عنهم ••• » •

واذن فهناك تعليم ومعلمون على غير أسس بولس •

* فى الاصحاح الخامس عشر من رسالة بولس الأولى الى أهل كورنثوس : «أنا تعبت أكثر منهم جميعا » أى من جميع رسل المسيح عليه السلام وهـذا يشير الى أن بولس كان يؤكد تميزه عن تلاميذ المسيح .

* فى الاصحاح الحادى عشر من رسالة بولس الرسول الثانية الى أهل كورنثوس : « لأن مثل هؤلاء هم رسـل كذبة فعلة ماكرون مغيرون شكلهم الى شبه رسل المسيح » .

* فى الاصحاح الثانى من رسالة بولس الى أهل غلاطية : « ولكن لمـا أتى بطرس (حوارى المسيح الأول) الى أنطاكية قاومته مواجهة لأنه كان ملوما .. وراءى معه باقى اليهود حتى ان برنابا أيضا انقاد الى ريائهم » من هـذا النص ندرك أن مدرسة بولس شىء ومدرسة تلاميذ المسيح شىء آخـر فاذا عرفنا ذلك وعرفنا أن مدرسة بولس وحدها هى التى تغلبت وأن بولس كان يهوديا من أشـد أعداء المسيح ثم ادعى بعـد رفع المسيح بسنين أن المسيح ظهر له ثم بدأ يدعـو الى دعـوة تغتـال تعاليم المسيح وتعاليم تلاميذه المخلصين ، اذا عرفنا ذلك أدركنا أن كتب العهد الجديد لا تصـلح أن تكون مصـدرا موثقا للوحى .

رابعا : من هذه النظـرات السريعة على أهم مصـادر الوحى خلال العصور ندرك أن هذه المصـادر فى وضعها الحالى لم تعـد محل ثقة يمكن أن تقـوم بها حجة . فاذا كان هـذا شأن هذه المصـادر فما بالك بالمصادر الدينية الأخـرى التى تتزل عن هذه . انه لا تقـوم الحجة الكاملة على الانسان كل انسـان الا اذا جاء مصدر يملك كامل الثقة على أنه وحى الله الخالص .

كما أن هذه النظـرات تدلنا على احتياج البشرية الى مصـدر ثقة للوحى يأخذه الانسـان بلا تحفظ يكون مصححا للخطأ وبيانا للانسان وقد كان ذلك هو القـرآن ، وقد جعل الله عز وجل فى هـذا القرآن من ألوان الاعجاز ومن كثرة المعجـزات ما لا يبقى معه شـك أن هذا القـرآن من عند الله ، ومن اعجازه احاطته بكل الوحى السـابق بحيث حوى وحى الأنبياء جميعـا وزاد على ذلك كل ما تحتاجه البشرية فى مسيرتها العالمية الى قيام السـاعة ، وقد وعـد الله عز وجل بحفظـه

من التغيير والتبديل لتبقى الحجية فيه قائمة الى قيام الســاعة ومن ثم فان القــرآن فيه تراث الأنبيــاء كلهم وزيادة ، ومن ثم كان الاسلام هو الصيغة الوحيــدة للحق وهو الصيغة الملزمة للانســان وهــذا يعطى أهله وحملته حقوقا خاصة اذ هم وحدهم المنفذون لأمــر الله عز وجل ولتوضيح هذه القضايا نقول :

ان الله عز وجل قد جعــل فى هــذا القرآن من مظاهر الاعجاز ما لا يحاط به بحيث تقــوم به الحجة على كل انســان وكل مظهــر من مظاهر الاعجاز يستحيل معه أن يكون هــذا القرآن بشرى المصــدر وقد ذكرنا طائفة من ظواهر الاعجاز فى كتابنا « الرسول » أثنــاء الكلام عن المعجزة القرآنية وفصلنا ظواهر الاعجاز فى كتابنا « الأساس فى التفسير » •

هذا القــرآن هو كتاب الاسلام الذى بعث به محمــد صلى الله عليه وسلم والذى هو الصيغة النهائية والخاتمة لرســالات الله والذى هو الصيغة الوحيدة للتكليف الالهى والذى لا يقبل الله عز وجل غيره ، وسنحاول فى الفقــرات التالية أن نذكر بعض ملامح هذا الاسلام ممــا تقتضيه طبيعة هــذه الرسالة لندرك بذلك بعض معانى الارث الضخم الذى ورثته أمتنا ولننتبه من خلال عرض هذه الملامح على كثير من الخطأ الذى يقع فيه بعض الناس •

— هذا القرآن قــد حوى كل ما تحتاجه الحياة البشرية من هداية على مدى العصــور وذكر من قصص الأنبياء الســابقين ومن هديهم ما استوعب كل هدى سابق تحتاجه الحياة البشرية فى مسيرتها •

— صحح القرآن الكريم الأغلاط الموجودة فى نسخ العهد القديم والعهد الجديد كأثر عن التحريف والتبديل والغلط ، بل صحح كل غلط فى كل ارث دينى •

— ولهذا كله فان القرآن وشارحته السنة الثابتة الطاهرة هو وحده التراث الصحيح للأنبيــاء عليهم الصلاة والســلام وهو وحــده الحق الذى لا يخالطه شك ولا لبس ولا باطل ولا غلط ، وبهــذا يتأكد أننا نحن المسلمين وحدنا عندنا تراث الأنبيــاء وذلك لأن الله عز وجل بعد أن ذكر مجموعة من الأنبيــاء فى القرآن قال لرسوله صلى الله عليه وسلم : **« أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده »**(١) •

---

(١) الأنعام : ٩٠ •

— ان رســولنا عليه السلام هو مظهر الوراثة الكاملة لكل الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام سلوكا وعملا • وان الوحى الذى أنزله الله عز وجل عليه فيه تصــديق الوحى الســابق وفيه كمال زائد قال تعــالى : « **وأنزلنا اليك الكتــاب بالحق مصــدقا لمــا بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه** »(١) •

والآن بعد هذه النظرات السريعة والملاحظات الخفيفة فقــد آن أن نتحــدث عن بعض ملامح تراث الأنبيــاء عليهم الصلاة والســلام المتمثل بهذا الاسلام وهى ملامح نعرضــها على الطريقة نفســها التى سرنا بها فى هذه الرســالة اذ نجمل ولا نفصــل فللتفصيل مكانه فى غير هذه الرســالة وسنرى أثناء عرضنا لهذه الملامح أخطــاء نصححها من خلال ذلك وسنرى كذلك كيف أن كل التطلعات العليــا للانسان تتطابق مع هدى الأنبيــاء دون معنى زائد أو معنى منحــرف ، وهــذا وحده يدل على أن خالق الانســان ومنزل الاسلام واحد وهو الله رب العالمين ، واذا أدركنا ذلك أدركنا فظاعة جرم الذين يحــولون دون ظهور هذا الاسلام كما ندرك فظاعة الكارثة فى حق الانسانية كلها اذ نضعف عن حمل هذا الدين حق حمله •

أولا : ان الاسلام معيار لا يســع غيره أى لا يقبل أن ينافسه غيره على النفس البشرية وعلى السيطرة على الحيــاة البشرية فالاسلام يعنى استسلام الفــرد والجماعة والانســانية لله رب العالمين فى كل شىء ومن ثم فلا اسلام بدون هذا الاستسلام •

ان كثيرين يحسرون الاسلام عن الحياة حتى لا يبقى لهذا الاسلام الا دائرة ضيقة وان كثيرين يقيمــون الاسلام من أنفسهم اقامة أقل مما يقيم به أصحاب الدعوات الباطلة دعواتهم ، وان كثيرين يتصورون أن الاسلام يقبل من أتباعه بأقل مما تقبل الدعــوات الأرضية من أتباعها فمثلا : الشيوعيون لا يرضون من الشــيوعى أن تبقى فيه ذرة لغير الشيوعية ، والشيوعى الحقيقى لا يرضى بتعطيل جــزء من النظــرية الشيوعية • هذا والشيوعية لم تجب الا بعض أجوبة خاطئة ، أفيرضى الاسلام من أبنائه وهو الذى أجاب على كل سؤال اجابة صحيحة أن يبقى فى المســلم لغير الاسلام أو يبقى جزء من الاسلام معطلا •

---

(١) المــائدة : ٤٨ •

ان أى دعــوة أرضية لم تغط الا جــزءا من واقع الانسان ومع أن تغطيتها لهــذا الجزء اما باطلة واما قاصرة واما مخلوطة ، ومع ذلك فانها تطالب الانســان بأن تنبثق تصرفاته على ضوئها فهل يقبل الاســلام وهو التغطية الكاملة الصحيحة للحياة الانســانية أن يشاركه غيره أو ينافسه غيره على هذه الذات البشرية ، ان هــذا وهم وقصــور فهم ، كيف والله عز وجل يقول : **« ولا تلبســوا الحق بالباطل »**(١) •

ثانيــا : ان الاسلام هو الصيغة الوحيدة لانســجام العقل مع ذاته ومبادئه ، فمبادىء العقــل : الهوية والسببية والحتمية والغائية والتى يعبر عنها بأن الشىء هو ذاته وأن لكل حادثة ســببا ، وأنه اذا توفرت جملة الظــروف لحادثة فلابد أن تتكرر بشــكل حتمى وأن كل شىء فى هــذا الكون فى وجوده حكمة ما ومن ثم فالبحث وراء الحكمة هدف من أهداف السعى الانســانى • ان الانسان الذى يطبق مبــدأ السببية على حوادث الكون ولا يطبقه على الكون كله ليصــل الى معرفة خالقه انســان معطل للعقل ، والانســان الذى يؤمن بمبدأ الغائية ولا يؤمن بوجــود الله الذى خلق الأشياء على مقتضى الحكمة متناقض مع عقله ، والانســان الذى يرى ظاهرة خرق العــادات اذا وجد الرســل ثم لا يؤمن بالرســل معطل لمبدأ الحتمية ، ومن ثم كان الايمــان بالله ورســله عليهم الصلاة والســلام هو الســلام الحقيقى مع العقــل وأن يؤمن الانســان بالله ورسله ثم لا يتلقى الهداية عنهم فذلك تعطيل كامل للعقــل ومن ثم كان الايمــان بالاسلام هو الســلام الحقيقى للعقل وهو وحده السبيل الوحيد لجعل الانسان لا يتناقض مع هذا العقل •

ثالثا : ان الاســلام هو الصيغة الوحيــدة للعقلية العلمية الشاملة ، فالاسلام أطلق للتفكير عقاله وللتجريب مداه ، ومن ثم فان كل ما يصل اليه الفكر السليم أو التجريب الصحيح معتمــد اسلاميا كيف لا والله عز وجل يقول : **« قل انظــروا ماذا فى الســموات والأرض »**(٢) •• **« قل سيروا فى الأرض فانظــروا كيف بدأ الخلق »**(٣) ولكن الاسلام فى عالم الفكر والتجريب يربط الأشــياء ببعضها والأسباب بما وراءها ، ومن ثم يأخذ على الذين يعرفــون شئون الكون ولا يربطون هذه الأشياء

---

(١) البقرة : ٤٢ • (٢) يونس : ١٠١ •
(٣) العنكبوت : ٢٠ •

بما وراءها قال تعالى : « **فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا • ذلك مبلغهم من العلم** »(١) وقال تعالى واصفا الكافرين : « **يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون** »(٢) فالاسلام هو الصيغة العلمية الشاملة الوحيدة لكل شأن فى أمر الغيب والشهادة والدنيا والآخرة ، فالطريق الموصلة الى معرفة القانون الحياتى معتمدة ، والطريق الموصلة الى معرفة القانون الرياضى معتمدة ، والطريق الموصلة الى معرفة الله معتمدة والطريق الموصلة الى معرفة اليوم الآخر معتمدة ، ولكل ذلك طرق علمية معتمدة لدى العقل السليم الصحيح فبينما غير المسلم يعتمد بعضا ويعطل بعضا فالمسلم وحده يعتمد الطرق العلمية كلها للوصول الى كل الحقائق بطريق ذلك •

ومن أكثر الدعاوى فى عصرنا عنجهية وغرورا دعوى الشيوعيين أنهم وحدهم يملكون القانون العلمى ، وهو موضوع سنناقشه فى الباب القادم حيث نرى نماذج على تعطيلهم للعقل وللعلم فى كثير من الأمور •

وههنا ننبه فقط على قضية فى شأنهم :

انك عندما تقرأ كتبهم تلاحظ أنهم يحشون كتبهم بقوانين علمية يعرفها طلاب المدارس الاعدادية ، ومن خلال هذا العرض لمثل هذه القوانين يريدون أن نقتنع معهم بقانون جديد على أنه هو الحق فمثلهم فى ذلك مثل الذى يضع بين مجموعة أمور صالحة شيئا زائفا لترويجه وذلك لا يمر الا على جاهل أو مغرر به أو متعصب للباطل بسبب هوى ، وكثيرا ما تجدهم يضعونك أمام مثل هذه الصورة : لقد رأينا الشمس وهذا دليل على أن القمر ليس موجودا ، هذه تقريبا خلاصة القضية فى الفكر الشيوعى كله كما سنرى فى الباب القادم ، ومن ثم فهم يدعون العلم وليسوا على علم ، ويدعون العقلانية والعقل ضدهم ، ويدعون البحث عن القانون ويفرون من القانون ، ويعرضون مسيرة التاريخ وكأنه لولاهم لم يكتشف الناس حقيقة كونية فى الوقت الذى لم يكرمهم الله بأن يكتشفوا حقيقة علمية ، فهم فى كل شىء عالة على غيرهم وفى المقابل نجد الفكر الرأسمالى المخلوط بالأهواء والشهوات

---

(١) النجم : ٢٩ ، ٣٠ • (٢) الروم : ٧ •

والأغاليط والموجه بدوائر التوجيه الخفية التى تستخدم العالم لصالح الهوى •

والاسلام فيما بين هذه الدوائر وغيرها يضع كل شىء فى محله : العقل والعلم والقانون العلمى ويدل على الطرق الموصلة لكل حقيقة ويقدرها ويطالبنا باعتمادها والمسلم الحق لا يفر من حقيقة ولا يخشى علما بل يطلبه ، ولا يتناقض مع عقل بل يحكمه ويبحث عن القانون ويسخره فى الطريق الذى يعمر به هذا العالم على منهج الحق الخالص •

رابعا : ان الاسلام هو الصيغة الوحيدة لتفجير طاقات الانسان كلها فى اطارها الصحيح فبينما تجد غير الاسلام يعطل طاقات الانسان أو يفجرها تفجيرا خاطئا فى الطريق الخاطىء ، نجد الاسلام يفجر كل طاقات الانسان فى الطريق الصحيح ، انه ما من طاقة فى الانسان الا ويفجرها الاسلام فى طريقها الصحيح ، فالطاقة العقلية تنطلق ضمن قوانين العقل الشاملة الى حقول التأمل والتجريب وفى اطار من الشمول الذى يسع ظواهر الكون كلها ، والطاقات النفسية تنفجر فى أطرها الأخلاقية كلها بحيث تسع كل جوانب النفس البشرية فلا يبقى خلق للنفس فى وضعها الصحى الا تفجر قاطعا الطريق على التفجر المرضى لأخلاق النفس البشرية ، والطاقة القلبية التى لا يعرفها أصلا الا المسلم تأخذ مداها ، والطاقة الروحية التى لا يحس بها غير المسلم تأخذ مداها ، وطاقات الجسد يفجرها الاسلام فى طريقها الصحيح بحيث لا تنعكس بها على أى جانب من جوانب الحياة آثارا سلبية ، وعند المسلم ، لا توجد طاقة معطلة ، لا طاقة جسدية ولا عقلية ولا روحية ، ولا يوجد عنده تفجير خاطىء لأية طاقة من هذه الطاقات ، بينما غير المسلم نجد طاقته العقلية تتفجر فى جانب دون جانب وطاقته النفسية تتفجر تفجرات مرضية فتنعدم عنده كثير من الأخلاق العليا للنفس البشرية ، وطاقته القلبية معدومة فلا يحس أصلا بشىء اسمه قلب فضلا عن أن يستشعر طاقة القلب ، وطاقته الجسدية يفجرها فى طرق خاطئة سواء أكانت طاقة جنس أم طاقة انتاج أم طاقة نضال أم طاقة حيوية ، ولا يدرك الكثير من الناس هذه المعانى بسبب من قصور كثير فى جوانب انسانيتهم كما أن الكثيرين تغيب عنهم جهلا هذه الأمور • وبمناسبة الكلام عن كون الاسلام هو التفجير الأرقى للطاقات البشرية ، والاسلام كذلك هو

التسخير الأرقى للكون بما يحقق سـلام النفس البشرية فالاسلام يريد من المسلم أن يستفيد من كل ما خلق الله على هذه الأرض قال تعـالى : « **هو أنشـأكم من الارض واسـتعمركم فيهـا** »(١) وقال : « **وهو الذى جعـلكم خلائف الأرض** »(٢) وقال : « **هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعـا** »(٣) وقال : « **ألم تروا أن الله سـخر لكم ما فى السـموات وما فى الأرض** »(٤) ... الآية • من هـذا كله ندرك أن الاسلام أراد أن يستفيد الانسـان من طاقات الكون كلهـا ضمن الاطار الذى حدده الله عز وجل ومن ثم فالمسـلم تتفجـر طاقاته كلها ويفجـر طاقات الكون كلها بتوازن كامل يحقق للكون سـلاما ، وللنفس البشرية سلاما ، ويعالج الظواهر المرضية كلها خلال هـذا التفجير ولا يدرك هـذا المدى الواسع لعملية التفجير هـذه وآثارها فى اتجاه سلام نفسى الا من آتاه الله عز وجل نظـرة شاملة ذات آفاق واسعةأما الذين أحيط بأبصـارهم وبصائرهم فلم يعودوا يرون الا جزء الحقيقة فهؤلاء تغيب عنهم أكبر حقائق الوجود •

خامسـا : ان الاسلام هو وحده الذى يعطى الانسـان وضوح الرؤية فى كل شىء قال تعـالى وآصفا كتابه : « **هذا بصائر للناس** »(٥) وقال : « **قد جاءكم بصائر من ربكم** »(٦) فهـذا القرآن هو وحده الذى يجعل الانسـان يرى الأشياء على حقيقتها ويرى الأمور كما هى ، بينما الكفـر يطمس على القلب فلا يرى الانسـان به شيئا رؤية صحيحة قال تعـالى : « **ومن لم يجعـل الله له نورا فما له من نـور** »(٧) فالكافر يرى الشر خيرا والخير شرا والحق خطأ والخطأ صوابا ، والكبير صغيرا والصغير كبيرا • وكذلك المنافق ، قال تعـالى فى سياق الكلام عن المنـافقين : « **ومن يضـلل الله فلن تجـد له سـبيلا** »(٨) فكما أن الكافر والمنافق لا يريان الأشياء على حقائقها فكذلك تجـد رؤياهم متغيرة وطريقهم ملتبسة فبينما تجده اليوم على رأى تجده بعد ذلك على رأى آخـر وكلا الرأيين خطأ فهما لا يعـرفان الحدود

(١) هود : ٦١ •
(٢) الانعام : ١٦٥ •
(٣) البقـرة : ٢٩ •
(٤) لقمـان : ٢٠ •
(٥) الجاثية : ٢٠ •
(٦) الأنعـام : ١٠٤ •
(٧) النور : ٤٠ •
(٨) النسـاء : ٨٨ •

ولا يعرفان الخطأ من الصواب والصواب من الخطأ فهمـا مبهوران بزخرف من القول لا طائل تحته يمشيان فى ظلام يظنونه نورا وكلمـا تكشف لهم ظلام ما هم عليه بهروا بخطأ آخـر وظلمة أخـرى ثم يتكشف لهم غرور ما هم فيه وهكذا دواليك الى ما لا نهاية له الا النار **« حسبهم جهنم يصـلونها »**(١) على عكس المسـلم الذى يرى الكون مخلوقا ابتداء واستمرارا وانتهاء ، والذى يعرف الله عز وجل حق المعرفة والذى يعرف الانسـان ودوره ومكانته فى هـذا الكون ويعرف الطريق الذى ينبغى أن يسير عليه الانسان ويعرف ما يصـادفه وما سيصادفه ويعرف ما هو الموقف الصحيح فى كل مقام وله رأيه الواضح المنير فى كل شىء حوله وكلما سار زادت رؤيته للأمور وضوحا • فالرؤية اللاحقة تعمق الرؤية السـابقة ولا تلغيها وكلامنا كله فى المسلم المستضىء بنور العلم والتوفيق •

سادسا : والاسلام هو الصيغة الوحيدة للانسـانية العليا فالانسان يشترك مع الحيوان بقدر مشترك لابد منه ولكن ما عـدا هذا القدر فالانسان يتميز عن الحيوان واستعداداته فى هـذا التميز عالية جـدا حتى انه ليستطيع أن يتخلص من مجموعة الأخلاق الحيـوانية السيئة وحتى فيما هو مشترك بينه وبين الحيوان يستطيع أن يرتقى فى طرق الأداء والممارسة الى ما به يتميز من الحيوان ولم تزل البشرية الا اذا ارتكست تنظـر باعجاب الى فكرة الانسـانية المتميزة عن الحيوان ولا تزال فى كل الشعوب كلمة الحيـوان سبة توجه للانسـان ، والاسلام هو الصيغة الوحيدة الشـاملة التى أعطت هذه الانسـانية المتميزة مداها وموازينها فى كل شىء ان فى خصائص النفس أو فى أدب السلوك أو فى الحيـاة اليومية أو فى الحياة العامة حتى فى صلاة المسـلم تجد المسلم يتجنب افتراش الثعلب واقعاء الكلب ونقر الديك • وللحيـاة الزوجية آدابها وللحياة المعاشية آدابها وللطعام والشراب آدابه وللتعامل الاجتمـاعى حدوده وأخلاقه وللمسـلم آدابه فى لباسه ومشـيته وللمسلم آفاقه فى التصورات والمشاعر وكل ذلك يرتقى به الى أعلى آفاق الانسانية قال تعالى : **« والذين كفـروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم »**(٢) •

---

(١) المجادلة : ٨ • (٢) محمد : ١٢ •

وان ابراز هـذا الجانب فى هـذا العصر مهم جـدا اذ انتكست القيمة الانسـانية عند خلق كثير حتى أصبحوا يعتبرون الحيـاة الحيوانية مثلهم الأعلى وفى ذلك من الانتكاس وتخريب نظام العالم ما فيه . وان الذين يفـرون من الاسـلام انما يفـرون من الصيغة الوحيدة للانسانية العليـا الى صيغ من الحيوانية البهيمية لا حدود لها ، ولا نقول هذا ناسين ما يفعله الناس فى القـرن العشرين فى مؤسساتهم الدولية والعامة من أجل تأكيد حقوق الانسـان ورعاية شئونه ولكن هـذا اذا لم يقم على الأساس الأول لانسـانية الانسان وهو معرفة الله وعدم التناقض مع هـذه المعرفة فان هذه الجهود كلها تتعثر وما أكثر ما تخرق مع أنها ليست كافية ولا كاملة .

سابعا : والاسـلام هو الصيغة الوحيدة للحق الخالص فى هـذا العـالم سواء فى ذلك موضوع الربوبية أو موضوع الغيب أو موضوع العالم المحسوس أو فى مكانة الانسـان ، فالاسلام هو الصيغة الوحيدة للحق المطابق للواقع فى هـذه الأمور ، والانسـان وهو مكلف من الله عز وجل بأنواع التكاليف لا يستطيع أن يجد الصيغة الوحيدة المطابقة للواقع فيما كلف به الا بهـذا الاسـلام ، وكل محاولة للبحث عن حق آخـر فيما وراء هـذا الاسـلام انما هى محاولة عابثة لا طائل تحتها ولنلاحظ كلمتنا : « وكل محاولة للبحث عن حق آخـر » اذ أننا لا ننكر أن يبذل الانسـان جهودا للوصـول الى الحق ولكن لا حق وراء الاسـلام فى كل ما ذكرته نصوص الاسـلام ، وما من شىء له علاقة فى هداية الانسـان وتبصيره الا ذكرته هذه النصوص . ومن ثم فان الوصول الى حق آخـر يعارضه الاسلام أو يقابله أو ينقضه شىء مستحيل فى منطق العقـل ومنطق العـلم ومنطق الواقع وههنا يجب أن نسـجل احتراسا فنحن لا ننكر خطأ الفهم للاسـلام ولا خطأ العرض فما أكثر الذين يخطأون فى الفهم ويخطأون فى العرض ، ونحن لا ننكر سوء التطبيق فما أكثر الذين يدعـون ويسيئون التطبيق ، وليس فى ذلك كله مطعن فى الحق نفسـه وليس فى ذلك ما ينقصه أو ينتقص منه فالبشرية فى كل أعصـارها تبتعد كثيرا أو قليلا عما تؤمن به ، فاذا كان الحق هو الموجه فليس فى الابتعـاد عنه مطعن فيه بل مطعن فى المبتعدين ، والحق أقوى من أن يكون نقص المبتعـدين عنه عاملا فى هجرانه ، فالذين يبتعدون عن الاسلام بحجة خطأ الفهم أو سـوء العرض أو

سوء التطبيق يفـــرون الى الباطل فهم يفرون فى هـــذا الى باطل وهوى ، أترى لو أن رواد الفضـــاء والمشتغلين فيه غلطوا فى الحســـاب وترتب على هـــذا الغلط أشياء أيكون ذلك حجة لأحد فى ابطال قانون الجاذبية أو حجة لأحد فى التشـــكيك فيه أو الطعن • ان الحق حق وهو فوق أى اعتبـــار آخـــر وليس أحـــد يعفى من الايمـــان به والتزامه • ان الاسلام بالنسبة الى الانســـان كالبديهية العقلية وكالحقيقة العلمية وكالقانون الرياضى فهو حق خالص لا يعـــذر أحد فى تركه أو ترك الايمـــان به ، ويقابل الحق الباطل ويقابله الضـــلال ، ويقابل اتباع الحق اتباع الهوى ويقابله اتباع الظن • قال تعـــالى : ((**فمـــاذا بعـــد الحق الا الضـــلال**))(١) • وقال : ((**ان يتبعـــون الا الظن وان الظن لا يغنى من الحق شيئا**))(٢) ومن ثم فلا نجـــد انســـانا يفـــر من الاسلام الا الى ضلال والا الى ظنون مهما سمى هـــذا الضلال بأسماء ، ومهما أعطيت هذه الظنون من ألقاب العلمانية والعقلانية والتقدمية وغير ذلك فالواقع شىء وذلك شىء آخـــر ، وأبرز دليـــل على هذا الثمـــار المرة التى تجنيها البشرية فى خبطها وضلالها ، من ذلك تهدم نظام الأسرة والآلام التى ترتبت على ذلك فى الشـــعوب الكافرة ، ومن ذلك آلام الحروب الطاحنة التى رأينا نماذجها وأسبابها وثمارها فى الحربين العالميتين الأولى والثانية ، وكل ذلك أثر اتباع الهوى قال تعـــالى : ((**ولو اتبع الحق أهواءهم لفســـدت الســـموات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون**))(٣) •

ثامنا : والاســـلام هو الصيغة الوحيـــدة للعدل فى الـــحكم أو المعاملة أو التوزيع ، قال تعـــالى : ((**واذا حكمتم بين الناس أن تحكمـــوا بالعدل**))(٤) واذ أمر الله عز وجل بالحكم العدل فقد أنزل صيغة العدل الكاملة التى لا يمكن أن يوجـــد ما يكافؤها فى أى صيغة أخـــرى ، فالاسلام فى نظامه الاقتصـــادى أوجد صيغة العدل الوحيدة ان فى نظام المعاملة أو فى أسلوب تحقيق التوازن العادل فى توزيـــع المـــال بما يحقق أكبر مردود فى الانتاج وأقل قدر من الخصـــومة وأعظم تفجير لطاقات الانســـان وأوسع توزيع لرأسمال الأمة وأخصب جو

(١) يونس : ٣٢ •
(٢) النجم : ٢٨ •
(٣) المؤمنون : ٧١ •
(٤) النساء : ٥٨ •

لنمو الأمة اقتصاديا بما يخدم أهدافها الكبرى وكل ذلك ضمن صيغة تفصيلية لا تجدها فى غيره •

والاسلام فى نظامه الاجتماعى أوجد صيغة العدل الكاملة فى العلاقات بين الأسرة والفرد ، وبين الزوجة والزوج ، وبين الآباء والأبناء ، وبين الفرد وجواره ، وبينه وبين نقابته ودولته وجنسه والانسانية بما لا يدرك حدوده الا من درس هذا النظام تفصيلا ، والاسلام فى نظامه السياسى أوجد صيغة للعدل الشامل ان فى العلاقات بين الشعب والحكومة أو بين غير المسلمين والمسلمين أو فى علاقات الأمة بغيرها بما لا يسبق به المسلمون فى خلق عال ولا فى أدب انسانى •

وعندما ندرس الاسلام فى أوامره الفردية تجد العدل على كماله حتى بين أعضاء الانسان وحواسه فعندما يأمر الرسول صلى الله عليه وسلم الانسان ألا يجلس فى ظل وشمس بآن واحد نجد أمرا فى العدل حتى بين أعضاء الانسان نفسه ، وعندما يأمر الرسول صلى الله عليه وسلم الرجل ألا يستعجل اذا قضى حاجته من زوجته حتى تقضى حاجتها تجد فى ذلك كله صيغا للعدل لا تبقى جانبا من الجوانب الا وصلت اليه •

وتفصيلات صيغة العدل الاسلامى تحتاج الى دراسة شاملة للكتاب والسنة وههنا نحب أن نشير الى أننا فى سلسلتنا « الأساس فى المنهج » أبرزنا كل هذه الجوانب التى ذكرناها كخصائص لدعوة الأنبياء وصيغتها النهائية الاسلام •

تاسعا : والاسلام هو الصيغة الوحيدة للسلام الانسانى :

فمن الواضح من تاريخ العالم أنه ليس غير المسلم الحقيقى أمينا على القيم الانسانية العليا من توحيد ومن حرية للأديان الأخرى فى ظله ونظامه ، كما أنه لا يوجد غير المسلم أمينا على خصائص الانسان فبدون الاسلام تغيض الأخلاق الانسانية العليا لحساب الأخلاق الهابطة ولحساب الحيوانية ، وبدون المسلم يعتدى على الأديان بأنواع من الاعتداء ، وبدون المسلم تصبح جميع البديهيات الحياتية محل نظر وتصبح كل الظنون والأوهام وكأنها حقائق ، فلا سلام للانسان مع عقله ولا سلام للانسان مع العلم ولا سلام للانسان مع نفسه وقلبه وروحه ولا سلام فى محيط الأسرة ولا سلام عادلا بين

الطبقات ولا بين الشعوب ولا بين الانسانية ، ومن ثم كانت فريضة الجهاد الاسلامية وان أخذت مظهرا قتاليا الا أنها فى النهاية هى التى تحقق السلام النهائى فى العالم ومن ثم نجد أن الله عز وجل يسمى السلام والاسلام باسم واحد لأن السلام الحقيقى هو الاسلام .

ان القلق النفسى والاضطراب والحيرة القاتلة لاحل لها الا بالاسلام اعتقادا وسلوكا : **« أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه »**[1] .. **« ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا »**[2] .. **« ألا بذكر الله تطمئن القلوب »**[3] .

وان سلام الأسرة لا يتحقق بلا اسلام حيث تتعادل الحقوق والواجبات فى جو الرحمة والحب والحنان وصلة الأرحام ، وان السلام الاجتماعى لا يتم الا باسلام حيث يعطى المسلم لغيره الحقوق كاملة ويأخذ منه ما يحتاجه استمرار هذا السلام .

وان السلام بين الشعوب لا يتم الا باسلام حيث يجعل الاسلام المظهر الفطرى لحكمة تعدد الشعوب التعارف **« وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا »**[4] .

وان سلام الانسان مع الكون لا يتحقق بلا اسلام اذ الاسلام هو الذى حدد العلاقة المنسجمة مع كل جزء من أجزاء الكون وبالاسلام ينال الانسان السلام من الله فلا يكون محلا لنقمته وغضبه وانتقامه قال تعالى : **« ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم »**[5] **« قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض »**[6] .

وعندما يسود الاسلام العالم تعم جميع أنواع السلام على الأرض ، وحتى عندما تنحرف الأمور اسلاميا فان حظ المسلمين من السلام يبقى أكثر منه فى أى مكان آخر . فمع كل ما حدث فى المجتمع الاسلامى المعاصر من خلل فان حظ أبناء الأسرة المسلمة من السلام أكبر من حظ أى أسرة أخرى ومع كل الصراعات التى حدثت داخل شعوب الأمة

---

(١) الزمر : ٢٢ .
(٢) الانعام : ١٢٥ .
(٣) الرعد : ٢٨ .
(٤) الحجرات : ١٣ .
(٥) الرعد : ٣١ .
(٦) الانعام : ٦٥ .

الاسلامية فان آثار هـذا الصراع تبقى أخف من أى صراع آخر يحدث بين أمم أخرى أو شعوب •

ومع كل التطبيقات الجائرة والخاطئة يبقى حظ المجتمع الاسلامى من السلام أكبر من أى مجتمع آخـر لأن الاسلام يبقى معدلا لظـلم أى نظام دون أن يكون أداة تبرير لهذا الظلم أو عامل استمرار له بل دائما يعطى الاسلام المظلوم قوة هائلة على دفع الظلم •

عاشرا : والاســلام هو التعبير الصحيح والأصح للشـورى على أى مستوى من المستويات فالاسلام وحده هو الذى يعطى الشـورى صيغتها السليمة وذلك أن العالم بدون الاسـلام لا يعرف الحـدود الحقيقية للشورى ومن ثم يقع الخطأ فى التطبيق سلبا أو ايجابا سعة أو ضيقا ولنر العالم من حولنا لنجد مصداق هـذا القول : عالمنـا اليوم مفتون بالديمقراطية ويعتبر أن الديمقراطية مسلمة من مسلمات أى نظام سياسى ، ومن ثم تجـد هـذا العالم على اختلاف نظـم شعوبه السياسية يتحدث عن الديمقراطية ويتبناها ، فالنظم الديكتاتورية تتحدث عن الديمقرآطية وتتبناها وتدعى أنها تطبقها على الوجه الأمثل ، والنظم التى تقوم على فكرة الحزب الواحد تدعى الديمقراطية وتتبناها وتدعى أنها تطبقها على الوجه الأمثل ، والنظم ذات نظام تعدد الأحزاب تتبنى الديمقراطية وتعتبر أن تطبيقها لها هو التطبيق الأمثل ، والنظم الدستورية تدعى أنها ديمقراطية • وهكذا لا تجد جهة تمارس حكمـا الا وتدعى أنها ديمقراطية ثم ان كل نظام يعطى لديمقراطيته صفة من الصفات فهذه ديمقراطية حـرة ، وهذه ديمقراطية مركزية ، وهـذه ديمقراطية شعبية ، وهذه ديمقراطية مطلقة ، وهذه ديمقراطية دستورية ، وهذه ديمقراطية فى ظل سيادة القانون وهكذا •

غير أنك اذا بحثت عن الجانب الذى هو محل اعتبار عام فى قضية الديمقراطية عند الجميع فانك تجده يتمثل فى ثلاث دوائر :

(أولا) أن القيادة السياسية يجب أن تنبثق عن أكثرية الأمة أو أن تكون بشكل ترضى عنه أكثرية الأمة •

(ثانيا) وأن على هذه القيادة السياسية أن تكون منفـذة لرغبات أكثرية الأمة •

(ثالثا) وأن البند الأول والبند الثانى ينبغى أن توجـد لهمـا

الصيغ العملية التى من خــلالها يتعرف بها على رغبة الأكثرية فى الدائرتين الأولى والثانية ٠

هذا هو القاسم المشترك بين فكر المتكلمين عن الديمقراطية حقيقة أو دعوى ومن ثم فانك لا تجد أحــدا يتكلم عن الديمقراطية الا ويحاول أن يبرهن للناس أن هذه الأمور مجتمعة فى ديمقراطيته ثم بعد ذلك ينقسم الناس فى الدعوى فى هذا الشأن :

فبعضهم يتبنى نظرية ما سياسية أو اقتصادية أو فلسفية ويعتبرها المســلمة التى لا يجوز أن تمس وأن الممارسة الديمقراطية يجب أن تكون على ضوئها وبعضهم يضيف الى هذه المســلمة دستورا عاما ينبثق عنها ويحــدد مسار الأمة وكيفية مزاولة الديمقراطية على ضوء ذلك وتضيف الأنظمة ذات نظام الحزب الواحد دستورا داخليا للحــزب على ضوئه تكون الممارسة للديمقراطية داخل الحــزب الذى يعتبر ممثلا حقيقيا لرأى أكثرية الأمة عندهم ومن ثم فما قــرره الحزب يعتبر قرارا يمثل أكثرية الأمة وبعضهم لا يقيد الديمقراطية الا بقيد الدستور المنبثق عن أكثرية الممثلين للأمة سواء أكانت أكثرية ذات نسبة عالية أو دنيا ٠

وفى كل صــور الديمقراطية المذكورة تجــد فراغا هو : هل الديمقراطية لا حدود لها أو لها حدود ، هل هناك مســلمات لا يجوز أن تخرقها الديمقراطية أو ليست هناك مثل هــذه المسلمات فما تراه الأكثرية من الأمة أو ما تراه أكثرية ممثلى الأمة فى كل شــأن هو الذى ينبغى أن ينفذ واذا كان للديمقراطية حــدود فمن الذى يضع هذه الحدود ؟ واذا كانت تستند على مسلمات فمن الذى يضع هذه المسلمات ؟ هل هو العقل وحده أو رغبات الأكثرية وحدها ؟ فاذا قيل رغبات الأكثرية فهل رغبات الأكثرية دائما عقلية وعلمية أم أنها قد تختلط بالهوى ، واذا قيل العقــل ، فعقل من ؟ عقل الأقلية واذن فلا ديمقراطية أو عقل الأكثرية وليس هناك من ضمانة أن يكون هــذا العقل مجــردا عن الهوى أو أن يكون حكمه صحيحا ، فالأكثرية فى فرنسا مثلا نفذت بهياج مذبحة « برتلماوث » ضد البروتستانت ، والأكثرية فى فرنسا بعد الثورة الفرنسية تصوت بجانب الحرية الدينية ، والأكثرية فى بريطانا صوتت بجانب اعتبار اللواط جريمة ثم صوتت بجانب عدم اعتباره جريمة ٠ ومن ثم نقول :

ان كل صيغ الديمقراطية المعروفة عالميا عليها ملاحظات ومؤاخذات ٠

ويكفى للتدليل على ذلك أن تقــرأ ما يلاحظه كل أصحاب ديمقراطية على الديمقراطيات الأخــرى ، وأن الصيغة الوحيدة للديمقراطية الحق هى الشورى الاسلامية .

ان الشورى الاسلامية تقوم على ركائز لا تقبل نقــدا :

١ — أن ما هو حق ليس محلا للمناقشة وليس محلا للشورى .

٢ — وأن ما ذكره الله عز وجل فى كتابه أو ما ذكره رسوله صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى هو الحق الخالص .

٣ — وأن هذا الحق هو المسلمات الوحيدة التى تفيد الشورى .

فاذا استقر هــذا فانبثاق القيادة عن الأكثرية حق مقــرر ، ووجوب استشارة الأمة فى كل ما يخصها حق مقرر ، والصيغ التى يتحقق فيها هــذا وهذا كثيرة والمهم هو الجوهــر وكلما توسعت هاتان الدائرتان وانضبطتا يكون ذلك أجود .

وبهذا يكون الاسلام هو الصيغة العليا للشورية الحق والتطبيق الأصح لمبدأ الشورى اذ انضبطت الشــورى فى هذه الحالة فلا خروج على قواعد العقــل ولا انحراف عن مبدأ العلم ولا وقوع فى عالم الهوى ، وقاد الأمة بذلك من تحبه أكثريتها وفجــرت طاقات الأمة العقلية بهذه الصيغة ووعت الأمة بذلك كل قضاياها .

والذين يشكون فى صحة ما قلناه عليهم أولا أن يبحثوا هل القرآن من عند الله أو لا ؟ وهل الكتاب والسنة حق خالص ؟ فاذا كان الكتاب والسنة حقا خالصا فليس أمامهم الا التسليم ومن قــرأ بحث المعجزة القرآنية فى كتاب « الرسول » من سلسلة « الأصول الثلاثة » عرف بالدليل القطعى أن هــذا القرن من عند الله ومن قرأ سلسلة « الأساس فى المنهج » عرف أن الكتاب والسنة حق خالص .

أما الذين لا يؤمنون بالله أصلا فهؤلاء نحيلهم على كتابنا « الله جل جلاله » ليروا أنهم مخطئون فاذا آمنــوا بعد ذلك فعليهم ألا يتناقضوا مع هــذا الايمــان فان الله وحده هو المحيط علما بكل شىء وقد أنزل كتابه حقا وبالحق .

وأما الذين يرون بعض جوانب سوء التطبيق فى التــاريخ الاسلامى وبالتالى يفــرون من الاسلام أصلا فهؤلاء كذلك مخطئون اذ انحراف الناس عن الحق ليس فيه حجة لأحد فى ترك الحق فالحق فى كل زمان ومكان أحق أن يتبع .

أما الذين يعتبرون أن سوء التطبيق يعود الى مثالية فى الحكم القرآنى غير قابلة للتطبيق فهؤلاء كذلك مخطئون • لأن الله عز وجل جعل شريعته سهلة سمحة تطيقها النفس البشرية **« وما جعل عليكم فى الدين من حرج »**[1] •• **« لا يكلف الله نفسا الا وسعها »**[2]•• **« يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر »**[3] •

ان الشورية الاسلامية هى المظهر الوحيد السليم لأى ممارسة ديمقراطية خالصة مما ينتقده العقل الصحيح على هذه الأرض ، ممارسة منضبطة بضوابط الحق الخالص وغير ذلك ليس الا اتباع الهوى •

حادى عشر : والاسلام هو الصيغة العليا الوحيدة للحرية الانسانية :

انه لم تزل البشرية تعتبر أن حرية الانسان ليست مطلقة فما من أمة تعتبر التجسس عليها مباحا وما من أمة الا وعندها ثبت جرائم لا يجوز لأحد أن يرتكبها وهذا كله يشير الى أن موضوع الحرية نفسه موضوع له حدوده وقيوده ، ومع الرغبة العنيفة عند البشر عامة للوصول الى حرية مثلى ، الا أننا وجدنا البشرية تفر من نوع من العبودية لتقع فى أنواع من العبودية كلها مر ، ومن ثم نجد ما سعت اليه البشرية البعيدة عن هداية الله فى جيل تفتقده فى جيل آخر بل تحاربه أحيانا ، ومن ثم تجد حرية الصحافة وحرية ابداء الرأى وحرية الاعتقاد والحرية السياسية كل هذه الحريات تنعدم فى أنظمة وتقيد فى أنظمة وتعانى منها أنظمة •

ففى أنظمة تجد حرية الرأى قائمة والرأى يباع ويشترى ، وتجد حرية الصحافة قائمة والصحافة تباع وتشترى ، وتجد الحرية السياسية مصونة ولكنه يرافقها الكذب والاتهام للخصوم •

وفى أنظمة أى معارضة للنظام القائم ونظرياته وأشخاصه تعنى السحق ، وتجد أن المواطن مهمته التأييد والمراقبة والتجسس وأن لا حرية رأى ولا حرية صحافة ولا حرية سياسة الا فى الاطار العام للدولة ونظمها ، وتجد الاتهامات والانتقادات لكل من الأنظمة الأولى والثانية فيما بينها قائمة • فهذه تتهم الثانية بأنها تسحق حقوق

---

(١) الحج : ٧٨ •
(٢) البقرة : ٢٨٦ •
(٣) البقرة : ١٨٥ •

الانسان ، وتلك تتهم الأولى بأن حقوق الطبقة العمالية والفلاحية معدومة وأن الطبقات الدنيا مسحوقة لحساب أصحاب رؤوس الأموال المستفيدين الوحيدين من كل أنواع الحرية •

غير أن هناك أنظمة استطاعت أن ترتفع بالطبقات العمالية الى القمة مع اعطائها الحرية الكاملة فى الرأى والصحافة والسياسة وغير ذلك مما يشكل ادانة لمفهوم الحرية عند الطرفين الا أن الآثار السيئة للحرية المطلقة عند هؤلاء بدأت تظهر فى جوانب حياتية ذكرناها فى الجزء الرابع من كتابنا « الاسلام » •

وفى الاسلام الحرية كل الحرية للخير والدعوة اليه والأمر به ضمن الطريق الذى حدده الله عز وجل ولا حرية للشر ولا للدعوة اليه ولا للأمر به ، والخير تحدد دعوة الله ماهيته وحدوده ومصادره وموارده • وما من منطق سليم فى العالم يرفض هذه الأطر للحرية ، وما من عاقل فى العالم يرفض أن يكون الله عز وجل وحده هو الذى يحدد الخير والشر لأن الله وحده هو المحيط علما بكل شىء •

فاذا اتضح هذا نقول :

ان حرية ابداء الرأى مصونة ، وحرمة الانسان فى بيته محترمة ما لم يظهر شره خارج بيته ، والحرية السياسية للانسان مصونة ما لم يستعمل السلاح ضد السلطة الشرعية للمسلمين وعندما يستعمل الانسان حريته ضمن مبدأ العبودية لله عز وجل فانه يتحرر من الشر كله ، ويتحرر من كل قيمة شريرة ومن كل ضغط خاطىء ومن كل مظهر ظالم •

ثانى عشر : لهذا كله ولغيره نقول :

ان دعوة الأنبياء هى النموذج الأعلى للانسانية العليا وهى المظهر الوحيد للتقدم البشرى المتكامل المتجدد ضمن المسار الصحيح • ان الملاحظة الكبرى على مسار البشرية الحالى أن التقدم فى جانب يقابله تخلف فى جانب • فالتقدم فى تسخير الكون والتعرف على قوانينه والاستفادة من ذلك يقابله تخلف فى العقائد والأخلاق وتخلف فى التطبيق القانونى عند الأمم والتخلف فى التصورات العامة عن الكون والانسان والحياة ، ومن ثم تجد الوصول الى القمر رافقه وجود الأجيال الفوضوية

والأجيال العابثة المتمردة على كل شيء وتجد الاعتداء المتواصل على حقوق الانسان فى كل مكان تمارسه كل الدول اما داخليا واما خارجيا أو داخليا وخارجيا مع نمو المؤسسات الدولية التى أوجدت لخدمة الانسان ففى عصرنا تجد التخلف والتقدم يسيران جنبا الى جنب ، تقدم فى جانب يرافقه تخلف فى جانب ، أما الاسلام فقد رأينا فى كتابنا « الاسلام » كيف أن كل أنواع التقدم تترافق جنبا الى جنب فى تصاعد متواصل ، فالتقدم فى الصناعات يرافقه تقدم فى السلوكيات وكل ذلك يرتكز على أسس عليا صحيحة وسليمة وحق فى كل جانب وأصل من أصول العقائد وجوانب التشريع والتوجيه .

ولا شك أن هذا الكلام يعكر عليه الواقع التاريخى لمسار الأمة الاسلامية ولكن ما من منصف الا ويعرف أن أخطاء التطبيق والظروف الصعبة كانت وراء التخلف التاريخى فى مراحل متعددة متلاحقة وقعت بها الأمة الاسلامية وأن ذلك كله كان وراءه سوء فهم للاسلام أو مخالفات صريحة له . وان أى متأمل منصف لقوانين التقدم المرئى يدلك على أن الاسلام قد فرض السير على ضوء هذه القوانين ، وأن الكثيرين من المنصفين الغربيين يؤكدون أن أوربا انطلقت من خلال الاقتباس من مسيرة الأمة الاسلامية على ضوء الاسلام .

ومن قرأ سلسلة « الأصول الثلاثة » أدرك بوضوح أن الصيغة الكاملة للتصورات والسلوكيات والمسارات والعقائديات والتشريعات العليا للانسانية لا توجد الا حيث يوجد الاسلام وأن تخلفا ما سيبقى أبدا فى الحياة البشرية اذا لم يكن الاسلام كله موجودا .

من كل ما مر نأخذ صورة كلية عن دعوة الأنبياء عليهم السلام فى صيغتها النهائية والخاتمة الا أن هذه الصورة مغطاة أو مغشاة بجهل كثيف وواقع مر لا يزيله الا جهاد متواصل دؤوب وراشد يتحطم فيه باطل أعداء الأنبياء عليهم السلام وما أسخفه من باطل وما أكثر دعواه وما أظهر غشمه وظلمه وتناقضه وما أحرانا أن نبذل فى شأنه جهدا من أجل انهاء سلطانه الخبيث على هذا العالم .

لقد رأينا فى هذا الباب كيف أنه لا تطلع صحيحا للفطرة البشرية الا وهو فى دعوة الأنبياء وهذا كله موجود بما يتفق مع قوانين

العقـــل وحقائق العلم فلا قضية ينقضها علم ولا تناقض مع عقـل
بل دعوة الأنبياء عليهم السلام هى وحـــدها التى تنسجم مع قواعد
العقـــل وهى الجـــزء الثانى من القوانين العلمية بل ان كل ما يكتشفه
الانسان من قوانين علمية يبقى ناقصا اذا لم يسر على هدى الأنبياء
لأنه وحده هو الذى يوجه نحو استخدام القانون العلمى بحق ، وهو
وحده الذى يدل على سنن الله فى كل شىء ، وهو فى الوقت نفسه القانون
العلمى الحياتى الوحيد ، والبشرية لن تحط رحالها فى أمرها كله حتى
تكون على بصيرة وعلم الا باتباعها هدى الأنبياء ودعك من دعـــاوى
العلمية والعقلانية عند أعدائهم وهاك الدليل على ذلك فى الباب القادم بعد
اذ رأيت ارث الأنبياء وماذا يعنى ؟ وبضدها تتميز الأشياء .

* * *

اعداء الأنبياء وإلغاءاتهم

الأنبياء عليهم الصلاة والسلام شيء واحد والايمان بهم جميعا واجب والكفر بواحد منهم كفر بالجميع قال تعالى : « **ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقا** »(1) وقال تعالى : « **قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين ، من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين** »(2) . وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح : « الأنبياء اخوة » ، وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح : « والذى نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم لم يؤمن بالذى أرسلت به الا كان من أصحاب النار » .

من هذه النصوص ندرك أن كل من كفر برسول الله فقد كفر بكل الرسل والأنبياء . ومن عادى رسولا فقد عادى كل الرسل والأنبياء وعادى الله بذلك وعاداه الله ، واذا كان محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم رسل الله كما قال تعالى : « **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين** »(3) اذ كان محمد كذلك فان كل من لم يؤمن به وبدعوته محققا كل ما يلزم لاعتبار الانسان مسلما بأن يدخل في الاسلام مقرا بالشهادتين مسلما بالاسلام كله ، متخلصا من كل ما ينقض الشهادتين . ان الانسان ما لم يكن كذلك فانه يكون من أعداء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جميعا ومن ثم فقد دخل في أعداء الأنبياء حتى أولئك الذين يؤمنون بأنبياء سابقين على رسالة رسولنا فدخل في ذلك يهود اليوم ونصارى اليوم فضلا عن غيرهم من أبناء الأديان فضلا عن غيرهم ممن لا يؤمن بدين أصلا ،

---

(1) النساء : ١٥٠ ، ١٥١ .
(2) البقرة : ٩٧ ، ٩٨ .
(3) الأحزاب : ٤٠ .

ويدخل فى ذلك كل الفرق التى انشقت عن جسم الأمة الاسلامية باعتقاد كفرى ، فدخل فى ذلك القاديانيون والبهائيون والدروز والنصيرية والاسماعيليون وغيرهم ، ويدخل فى ذلك كذلك كل مسلم ارتد عن الاسلام اما بجحوده أو بفعله أو اعتقاده ناقضا من نواقض الشهادتين كما فصلنا بعضها فى كتابنا « الاسلام » ودخل فى ذلك من قابل هؤلاء من الجن ، وهؤلاء جميعا على قسمين : دعاة ومدعوين وكلهم أعداء الله عز وجل : « **ألم أعهد اليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين** »[1] .

ولأعداء الأنبياء دعواتهم التى تقابل دعوة الأنبياء وهم فيما بينهم مختلفون لأن من لم يجمعهم الحق فرقهم الباطل . قال تعالى : « **ولا يزالون مختلفين . الا من رحم ربك ولذلك خلقهم** »[2] وقال تعالى : « **فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ، وان تولوا فانما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله** »[3] . وكون أعداء الأنبياء يختلفون فلا يعنى أن أتباع الأنبياء لا يختلفون ، ولكن حيثما وجد خلاف فهناك شىء من بعد عن حق على تفاوت فى درجات البعد ، فشتان بين أتباع الأنبياء عن الحق وبين بعد أعدائهم .

ولئن تعددت دعوات أعداء الأنبياء وكل تبعد عن صراط الله كما قال تعالى : « **ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** »[4] فان قاسما مشتركا يجمع بين جميع هذه الدعوات هذا القاسم المشترك الذى هو صفة مشتركة بين كل دعوات أعداء الأنبياء هو الزخرفة والغرور . قال تعالى : « **وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ، ولو شاء ربك ما فعلوه ، فذرهم وما يفترون** »[5] . ان هذه الآية تحدثت عن الأصل الجامع لكل طرح يطرحه أعداء الأنبياء .

لقد حددت هذه الآية الصفتين الرئيسيتين لكل طروح أعداء الأنبياء والقاءاتهم فوصفت ذلك كله بهذا التعبير المعجز : « **زخرف القول غرورا** » وفى نهاية الآية قال تعالى : « **فذرهم وما يفترون** » مما يفيد

---

(١) يس : ٦٠ .
(٢) هود : ١١٨ ، ١١٩ .
(٣) البقرة : ١٣٧ .
(٤) الأنعام : ١٥٣ .
(٥) الأنعام : ١١٢ .

أن كلامهم كله بزخرفه وغروره كذب ، وقد أمــر الله رسوله صلى الله عليه وسلم وهو أمر لهذه الأمة فى الحقيقة أن يدعهم وكذبهم ، وهــذا هو موقف المســلم الحق من أعــداء الأنبياء أن يتركهم وأن يترك أكاذيبهم • وهذا شيء يغفــل عنه الكثيرون من أبناء المسلمين اذ يغفلون عن وجوب ترك أعداء الأنبياء وترك أكاذيبهم ، فكم من مســلم يتمسك بعدو للأنبياء أو يتمسك بكلمة من كلماته ، أو بكل كلماته وهو بهذا كله يصبح اما على كفر ونفاق أو على شفا كفر ونفاق •

وفى الآية التالية يذكر ربنا من هم الذين تصغى قلوبهم لالقاءات أعداء الأنبياء فيقول : « **ولتصغى اليه أفئــدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون** »(1) • لقد بينت هذه الاية والتى قبلها أنه ما من نبى الا وله أعــداء من شياطين الانس والجن ، وأن الصفتين الجامعتين لطروح هؤلاء الشياطين : « **زخرف القول غــرورا** » وأن طروحهم كلها افتراء وعلى المســلم أن يتركهم وطروحهم وأن الذين لا يؤمنون بالآخــرة هم الذين تصغى قلوبهم لافتراء شياطين الجن والانس ، وأن هؤلاء هم الذين يرضــون طروحهم • وأن حصيلة ذلك كله الاصرار على اقتراف الآثام ، وأنه لوصف معجــز يعرف اعجازه كل من نظــر الى ما حوله ببصيرة العقــل فرأى ما يقوله ويكتبه أعداء الأنبياء ورأى دوائر المنصتين لهم والمتأثرين بهم ، ورأى غرق الجميع فى الشهوات الآثمة الحرام •

* * *

ولم تظهر الزخرفة والغــرور فى طروح أعداء الأنبياء كما ظهرت فى عصرنا ، ولو أنك تأملت بعض طروح أعداء الأنبياء ثم تتبعت امتداداتها فى عصرنا وما يكتب حول هذه الامتدادات لرأيت العجب العجيب فى ذلك ولرأيت ما ذكرته الآيتان بأجلى صورة ، ترى زخرفة فى القول على مدى ما بعــده مدى ، وغرورا لم يعد بعده مزيد ، وكذبا فى هــذا وهــذا تكاد تنقطع دونه كذبات العصور وللبيان نقول :

دعا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الى مبدأ ضبط النفس على مقتضى شرع الله وحاربوا اتباع الهوى ، وفى المقابل دعا أعــداء الأنبياء الى اتباع الهوى والسير وراء الشهوات ، واقرأ ما كتبه الكاتبون خلال

---

(1) الأنعام : ١١٣ •

العصـــور ثم اقرأ الكفـــر الوجودى المعاصر والذى هو الفلسفة الكاملة لقضية اتباع الهـــوى ، فانك تجد كيف أخذ هذا الجانب من دعوة أعداء الأنبياء مداه فى عصرنا ثم تأمل مجموع ما قالوه وما أكثره فانك تجـــد الزخرفة فى القول والزور فى المواقف والطرح ، والكذب فى هذا كله على أعلاه بل على أخسه وأدناه .

ودعا الأنبياء الى الايمـــان بالله والى الايمـــان بالغيب الذى أخبرنا عنه الأنبياء ، ودعا بعض أعداء الأنبياء الى الانكار المحض والنفى لكل قضية غير مادية ، واقـــرأ كل ما كتبه المفكرون قديما واقرأ المفكر الشيوعى مثلا وهو جزء من الفكر الانكارى فانك تجـــد أن فلسفة النفى لم تأخذ مداها كما أخذته فى عصرنا ولم يبن عليها فى المـــاضى ما تستلزمه من معان حياتية كما بنى عليها فى عصرنا ، واذا تأملت كل ما كتب فى هذا الموضوع — وسنتناوله فى الصفحات القادمة — فانك لا تجـــد مثله ظهورا فى الزخرفة والغـــرور وفى الكذب أصلا . وكل ذلك يعرض بقالب علمى أو عقلى وذلك نفسه من الزخرفة والغرور .

ودعا الأنبياء عليهم الســـلام الى ترك العصبية الجاهلية للقوم أو للجنس أو لأى شىء آخـــر ما عدا العصبية للحق وأهله ، عصبية لا تخـــرج عن الحق الى الباطل ، ودعـــا ويدعو أعداء الأنبيـــاء الى عصبيات متعـــددة اما الى القوم أو الى جنس أو الى طبقة أو الى غير ذلك . واقـــرأ ما كتبه دعاة القومية الجاهلية مثلا وهم جـــزء من مجموع الدعاة الى أنواع العصبية الباطلة فانك تجد جبالا من الكلام المزخرف وكتلا من الغرور الفارغ وكل ذلك عندما تتأمله تجـــده كذبا وزورا .

من هذه النماذج تدرك كيف أن عصرنا بلغت فيه القاءات الشياطين مداها ووصلت فيه دعوات أعـــداء الأنبياء الى مستقراتها وأعطت ثمراتها المرة الخبيثة التى يستطيع كل عاقل أن يدرك مرارتها وأن يدرك كذلك صفاتها التى ذكرناها من خـــلال الآيتين اللتين بنينا عليهما هذا البحث .

* * *

ان القاءات أعـــداء الأنبياء يجمعها جميعا أنها كذب ولكنه كذب يغطى بزخرف من القول ويغطيه كذلك الغـــرور . أما دعـــوة الأنبياء فانها دعوة صدق وحق ظاهرها كباطنها ، وان الحق أروع ما فيه أنه لا يحتاج صاحبه الى تكلف .

أما أن دعـــوة الأنبيـــاء كلها صدق وحق فهـــذا لا يستريب فيه من عقل ، ومن قرأ سلسلتنا عن الأصـــول الثلاثة أو سلسلتنا عن الأساس فى المنهج رأى من حجج ذلك الكثير على أن الأمر أوضح من أن يحتـــاج الى بيان ، واننا لنتحدى العـــالم كله أن يبرهن على أن آية واحدة من كتاب الله يمكن أن ينقضها شىء •

وأما أن دعـــوات أعداء الأنبياء يجمعها الكذب وتغطيهـــا الزخرفة والزور فهذا الذى نريد أن نتوسع فى توضيحه فى هـــذا البحث لنوفر على أنفسنا عناء تسفيه أعـــداء الانبياء فى الصغيرة والكبيرة من أمرهم وذلك من خلال مناقشة الدعوات القومية والدعـــوة المـــاركسية والدعوة الوجودية • اذ هـــذه الدعوات الثلاث بمجموعها تكاد تكتسح فكر أكثر الناس ، بل كل واحـــدة منها غزت الكثير من قلوب الناس فاذا عرينا هذه الدعوات الثلاث فاننا نتصـــور أننا وفرنا على أنفسنا كثيرا من الجهد فى الرد التفصيلى على أعـــداء الأنبياء ، ونكون بالتالى قد برهنا بشكل عملى على أن دعوة الأنبياء وحدها ينبغى أن يعتصم بها المسلم قال تعالى : **« لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشـــد من الغى ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصـــام لها ، والله سميع عليم »**(١) •

سنجعل كلامنا فيما بقى من هـــذا الباب فى فصلين :

الفصـــل الأول : فى اثبات أن كل طرح يقابل دعوة الأنبيـــاء يتصف بأنه **« زخرف القول غـــرورا »** من خلال اثبات ذلك فى أهم تيـــارات العصر •

الفصـــل الثانى : فى الكلام عن القلوب التى عندها استعداد لقبول طروح أعداء الأنبياء •

* * *

(١) البقـــرة : ٢٥٦ •

الفصل الأول

سنركز فى هذا الفصل على الصفتين المشتركتين اللتين تنطبقان على كل طرح يطرحه خصوم الأنبياء ليقابلوا دعوة الله ورسالاته . هاتان الصفتان هما : زخرف القول والغرور ، فكل طرح يقابل دعوة الأنبياء طرح فيه زخرف ولكنه فى الوقت نفسه اذا عمقت النظر فيه فانك تجده غرورا خالصا فصاحبه مغرور ولكن بلا شىء ، مغرور بكلام منمق ليس فيه محتوى مقبول عقلا أو علما بل ليس فيه الا الفساد فى الأرض وانظر حال هؤلاء السكارى بعبارات التقدمية والعلمانية واليسارية وغيرها ثم ابحث عن مضمون هذه الأمور بل اطلب من كل أصحابها تحديدا عمليا لها فانك لا تجد شيئا .

« زخرف القول غرورا »(١) صفتان تنطبقان على كل طرح لأعداء الأنبياء غير مقيدين اياه بزمان أو مكان . ومن الابتداء نقول : لا يدخل فى ذلك ما كان من طرح يوافق جزءا من دعوة الأنبياء فذلك شىء يملك من قوة البقاء ومن نفع الأحياء ما يجعله ذا وضع خاص الا أننا نحب أن نسجل كذلك أن هذا النوع الذى يوافق جزءا من دعوة الأنبياء عندما يجتث ويفصل عن بقية دعوة الأنبياء يبقى نفعه موجودا ولكنه محصور ويصبح أداة اضلال عن دعوة الأنبياء العامة لأنه قد يشعر الناس نوعا من الاستغناء عن دعوة الأنبياء مثال ذلك : توسيع دائرة الشورى فى أمة من الأمم ، هذا التوسيع جزء من دعوة الأنبياء ويعطى مردودا حسنا فى كل أمة سلكت طريقه ومن ثم هذا النفع فيه والحسن فيه والمردود الحسن له قد يشعر الناظر السطحى بالاستغناء عن هداية الله ورسله بسببه .

ان كل دعوة تعارض دعوة الأنبياء بردها أو بنقضها أو برفضها عندما تحقق فى مجموع أقوالها تجدها تتصف بهاتين الصفتين الرئيسيتين « الزخرفة والغرور » ، فهى تنميق من القول لا طائل تحته وان كل

---

(١) الأنعام : ١١٢ .

دعوة تقطع الطريق على دعـــوة الأنبياء بتبنيها لبعض مضمونات دعوة الأنبياء ورفضها للبعض الآخـــر أو بخلط الحق والباطل لا تخـــرج كذلك عن هاتين الصفتين ، ومن ثم فان الله عز وجل كما نهى عن معارضة الحق فقـــد نهى كذلك أن يخلط الحق بالباطل **« ولا تقـــولوا على الله الا الحق ... »**(١) .. **« ولا تلبسوا الحق بالباطل »**(٢) وان كل دعوة غير دعوة الأنبياء توقع الحياة البشرية فى دوائر الغلط والخطأ مهما لبس هذا الغلط أو ألبس كل أنواع الزينة وغطى بكل أنواع الزخرف ولكنه يبقى أبدا غرورا لا طائل تحته ولا حق فيه .

ان كل دعـــوة غير دعـــوة الأنبياء ليست الا من قبيل القول المزخرف الذى يتمخض عن غرور ويوحى بالغـــرور ويربى على الغرور والذى حصيلته غرور ، وسنذكر ثلاث فقـــرات كل فقـــرة حول طرح من الطروح المعاصرة التى تقف فى الصف المقابل لدعوة الأنبياء لنرى كيف تجتمع فيها صفتا الزخرفة والغـــرور وقد نوعنا الأمثلة ليتضح كيف أن كل ما يقابل دعـــوة الأنبياء يشترك فى هاتين الصفتين واخترنا أضخم التيارات المعاصرة فى السياسة والفلسفة والاقتصاد لنبرهن على اشتراكها فى صفتى الزخرفة والغرور .

التيار القومى الجاهلى ، والتيار المـــاركسى ، والتيـــار الفلسفى الوجودى .

ولنبدأ بالطرح القومى الجاهلى :

(أ) الفقـــرة الأولى فى الطرح القومى الجاهلى : والطرح القومى الذى نخصه بالذكر هنا هو الطرح الذى يريد أن يعارض دعـــوة الأنبياء أو أن يكون بديلا عنها والذى ينبثق عنه نظام يقلص دعـــوة الأنبياء أو يلغيها والذى تقوم تربيته على ذلك ومن ثم قيدناه بكلمة الجاهلى لنخـــرج به نوعا من الطـــرح آخـــر هو الطرح القومى الواقعى الذى يعنى أن فى هـــذا العالم شعبا عربيا وآخر كوريا وآخر انجليزيا وهكذا .. ولنشرع فى المقصود :

فى الأصل كلمة قومى ترجع الى كلمة قـــوم أضيف اليها ياء النسبة ، وهذه الاضافة اما للتعريف واما للمذهبية ، فان كانت للتعريف فهى تفيد أن صاحبها يحمـــل فكرة معينة وان كانت للمذهبية فهى تفيد

---

(١) النســـاء : ١٧١ .　　(٢) البقـــرة : ٤٢ .

ان صاحبها يؤمن بفكرة معينة وسواء أفادت الحمل أو الايمـان فالحصيلة أن صاحبها يؤمن بشىء اسـمه القوم ويحمل هذا الشىء ، فماذا تعنى قضية الايمـان بقوم ؟ ان مجمـل ما يمكن أن تعنيه هو أن لكل قوم خصائص ولقومه خصائص معينة هذا أوسـع ما تعنيه هذه الكلمة ولكن عندما تلبس هذه الكلمة أثوابا من مثل أن القومية مشـكلة انسانية أو أن القومية هى نقطة البداية فى التقدم الحضـارى أو أن الايمـان بالقومية هو نقطة البداية لارتقـاء الأمم فعندئذ تكون المسألة فى اطارها الخاطىء ، ان أى دراسة تحليلية لمثل هـذا الكلام تريك الزخرفة الكاذبة لهذه الكلمة وعندما تفتش فى ثنايا هـذا الكلام تجده لا شىء فهو غرور وورم متضخم لا شـحم فيه اذ أن أى قوم فى العـالم يستشعرون بشكل بديهى أن لهم خصائص يعتزون بها ومع ذلك تجـد لكل قوم مشكلاتهم وتجـد عند قوم تقدما وعند قوم تخلفـا ، ونكرر القول : ان ردنا ونقدنا ينصبان على من يريد أن يجعل القومية بديلا أو نقيضا لدعوة الأنبياء وهداهم أما من سوى هؤلاء ممن يعطـون القومية حجمها من حيث ان العالم مؤلف من أقوام ولكل قوم لغة وخصائص فهؤلاء لا نقاش معهم فى ذلك لأن ذلك من البديهيات .

ان الانتساب لقوم شىء بدهى ، ان تعريف الانسـان بنفسه أنه من قوم شىء بدهى كانتسـاب الانسان الى أبيه وأسرته وكاسم الانسـان للانسان ، هذا شىء لا غبار عليه ولكن الشىء الذى عليه غبار هو أن تسـأل انسانا ما جنسك فيقول عربى وتسأله ما عقيدتك فيقول : عربى . ان هـذا يشبه تماما أن تسأل انسانا ما اسمك فيقول خالد وتسأله ما عقيدتك ؟ فيقول : خالد . ان انسانا يجيب هذا الجواب لا تعتبر جوابه متماسكا . ان الجواب الصحيح عن عقيـدة العربى أن يقول العربى : انه مسلم أو مسيحى أو يهودى ، أما أن تعتبر القومية نسبا ومضمونا فذلك شىء غير حقيقى وغير واقعى وغير صحيح بدليـل أنه ما من انسـان ولا قوم يعنى مجرد انتسابهم الى أمة معرفـة بمضمون عقائدهم وتصوراتهم وتشريعاتهم ، فما من أمة أو قوم على وجه الأرض الا ولهم عقيـدة لا صلة لها بانتسابهم القومى فالفرنسيون كاثوليك والانجليز بروتستانت والروس شيوعيون (أو نصـارى أرثوذكس) والصينيون شيوعيون (أو كونفوشيوسيون) والأفارقة منهم المسلم والنصرانى والوثنى .. الخ ، وان شـذ عن هذا شعب دولة

اسرائيل فما ذلك الا لأن الانتســاب الوحيد المعترف به عند اليهــود انما هو الانتساب الى الدين مع ما يحويه هذا النسب من انتمــاء عرقى الى أعراق وقوميات شتى ••• وعلى أساس هذا النسب الدينى البحت قامت دولة اسرائيل لتجمع تحت لوائها يهود اليمن مع يهود الخزر ويهود أوروبا الغربية (بما فيها من قوميات متباينة) ويهود العالم العربى وغيرهم •• وبذلك انتفت النســبة القومية العرقية الأصلية (بنى اسرائيل أو العبرانيين) وأصل محلها الانتمــاء الدينى البحت وهــذا وحده اليوم فى العــالم ظاهرة مفردة متميزة يجب أخذها بالنظــر والتفكر • اذن فان اعطاء القومية كانتســاب عرقى مضمونا عقيديا هو أمر مغاير لمنطق الأشياء الذى ساد الانسانية فى كل عصورها وما يزال كذلك •• وهو الباس لها ثوبا من الغرور وزخرفا لا طائل تحته ولا غناء فيه ••

ولذلك فاننا نلاحظ أن كل الدعوات القومية التى نبتت على أرضنا والتى حاولت فى الابتــداء أن تجعل القومية عقيــدة استقرت فى النهاية على اعطاء القومية مضمونا آخــر ، ولذا فنحن نجــد دعوة قومية تتبنى الفكر المــاركسى وأخرى غير ذلك ، وكل هذا أو ذاك لتعوض عن الفراغ فاذا تأملت الأمر بعمق تجــد أن هــذا الشىء الذى استقطب أعــدادا هائلة من الناس وتحمسوا له حماسة الوثنيين فى رقصاتهم الوثنية ليس الا كلاما مزخرفا لا طائل تحته ولا مضمون فيه • كلاما هو فى ذاته غرور ويولد غرورا •

الا أن الزخرفة والغــرور يظهران فى هــذا الموضوع بشكل أوضح اذا تأملنا حجتهم فى رفع شــعار القومية وهى — على أرضنا مثلا — أن رفع شعار الاســلام يفرق لأنه تبقى طائفة على الأرض لا يشملها هــذا الشــعار ومن ثم فمنطق الوحدة الوطنية يقتضى رفع شــعار مشترك يضم الجميع ومن ثم نرفع شــعار القومية العربية ونقول :

ان رفع شعار القومية العربية كبديل عن الاســلام يعنى ايجاد تناقض بين العربى المســلم واسلامه ، ومن ثم فالدعوة القومية تمزق المجتمع بدلا من أن تزيد لحمته فالنصرانى العربى ما زادته الدعــوة القومية عروبة لأنه فى الأصــل عربى والمســلم الحق يرفض التخلى عن اسلامه ويرفض البديل عنه ويرفض اهماله ومن ثم يبدأ صراع عنيف وحاد فى المجتمع العربى العريق فى اسلامه بين أكثر من اتجاه

وينشأ صراع يومى لا ينتهى بين اتجاهات حادة ، بينما لم يحدث خلال التاريخ الطويل أى صراع بين المسلم والمسيحى على الأرض الاسلامية لان الاسلام يعطى المسيحى حريته ويضمن له العدل ويعطيه من الحقوق ما لم تحلم به أى فئة لا تؤمن بفكرة النظام الحاكم فى العالم .

وهكذا نجد أن الدعوة القومية دعوة مزخرفة على جسد ميت وهى غرور من المواقف والانتفاشات لا تساوى شيئا ومن ثم نجدها لم تحقق للمجتمع العربى الا الآلام والهزائم والخزى والتمزق والظلم للجميع ، ومع أنها كذلك فان أى دراسة لأقوال أصحابها تجدها لا تخرج عن كونها « **زخرف القول غرورا** » فلو حاولت تتبع كل ما كتب دعاة القومية العربية حول هذا الشعار لوجدت أنه كلام عام مبهم سائب ضبابى لا معالم فيه واضحة لما يجب أن ينبثق عن هذا الشعار من مفاهيم وعقائد وأخلاق ونظم يجب أن تحكم المجتمع (القومى) .

ان القومية العربية بكل ما كتب عنها لم تقدم للمجتمع العربى عقيدة واضحة تحدد العلاقة بين الله والانسان وبين الانسان والكون فلا هى قالت صراحة انها تؤمن بالله تعالى وبالتالى بأية شريعة من شرائع الله تؤمن أبالاسلام أم بالنصرانية أم باليهودية على ما فى الأخريين من ضلال وتحريف هائل ، ولا هى قالت انها ترفض وجود الله وترفض بالتالى شرائعه ، ولا هى أتت بدين أو معتقد جديد .

كذلك تراها لم تأت بأى نظام اجتماعى معين محدد المعالم واضح القسمات فلا هى قالت انها تريد أن تبنى مجتمعا عربيا قوميا موحدا له معالم كذا وكذا فى السياسة والاقتصاد والتشريع و ... الى آخر هذه المعالم التى بها تتحدد سمات النظام السياسى والاجتماعى لكل شعب أو دولة .. ولا هى أتت بنظام واضح متميز خاص بها يحدد العلاقات الدولية .

ان كل ما فعلته القومية العربية هو أنها تعامت عن كل ذلك ، وتركت الأمور سائبة فى كل ما يخص الأديان مع اصرار ماكر على محاربة الاسلام وملاحقة العاملين فى سبيله . وكذلك تبنت فى الآونة الأخيرة نظاما مستوردا غربيا هو الاشتراكية الملفقة بعد أن تبنت قبل مرحلة الاشتراكية النظام الليبرالى الحر السائد فى أكثر دول أوروبا الغربية وفى الولايات المتحدة . وكذلك تراها كل يوم تستورد قانونا من هنا

ونصـــا من هناك ونظاما من هنالك من أجـل تغطية جوانب الحيـــاة في الدولة هذه أو تلك مع مراعاة كاذبة ظاهرية لمشـــاعر الأكثرية المسلمة في أقطارها ، واصرار خفي خبيث على مسخ واستئصال كل ما له صلة حقيقية ومصيرية بدين هذه الأمة وأصالتهـــا فكانت النتيجة أن وضعت القومية العربية نفســـها عالة وعبئا على كل نظم وأديان العـــالم • وكان ان أفرزت هذه السياسة مجتمعات ممســـوخة مشوهة مفككة الأوصال مقطعة الجـــذور بماضيها وتراثها ، جاهزة لكل غزو دخيل في الفكر والخلق وأنماط الســـلوك وطرائق العيش • وبذلك وضعت هذه الأمة في حال الجاهزية التامة لتقبل كل مؤامرة أو غزو خارجي • وقامت مع ذلك بتغطية ذلك كله بزخرف وبهرج من القول تجـــده لأول وهـــلة معســـولا خداعا ثم تحس به ســـما قاتلا يمزق أوصال الأمة وهي تحس مع ذلك بالغـــرور والبطر وتظن نفســـها في كل مرة قادرة على الوقوف على أقدامها ثم لا تلبث أن تتداعى أمام أية ضربة شـــديدة خبيثة توجه اليهـــا في هذه النقطة أو تلك من نقاط ضعفها ذلك كله لأنها ــ أي القومية العربية ــ أرادت أو أريد لهـــا أن تكون بدلا من شريعة الله ودعوة الأنبياء عليهم الســـلام : « **وكذلك جعلنـــا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضـــهم الى بعض زخـــرف القول غرورا** »(١) • وما يقال عن القومية العربية الجاهلية يقال عن غيرها من الطروح القومية الجاهلية على أرضنا الاســـلامية أو على كل أرض في هـــذا العالم حتى انك لتستطيع القـــول بأن كل الحـــروب الكبرى في التاريخ وكثيرا من صور ظلم الشعوب للشعوب له صـــلة بالفكر القومي الجاهلي الذي لا يخـــرج عن كونه زخرفا من القول ولا يخرج عن كونه غـــرورا ان في اطاره الأسرى أو القبلي أو فيمـــا هو أوسع من ذلك • انه ما أكثر ما صادف الانســـان في مرحلة ما انســـانا يقول بكل غرور : أنا قومي •• وماذا يعني ذلك ؟ هل يعني هـــذا أنك تؤمن بانتسابك لقومك ؟ ومن يشـــك بذلك ؟ وما معنى ذلك ؟ معناه كذا وكذا ؟ قل فهل تجـــد في بناء يقوم على مثل هذا الا أنه بنـــاء يقوم على الكذب والغرور والكلمة المزخرفة التي لا مضمون فيها •

ولنكتف بهـــذا القدر من الكلام حول قضية الطرح القومي الجاهلي

---

(١) الأنعام : ١١٢ •

لا لأننا أشبعنا الكلام فيه بل لأن أصحابه بعد أن خدعوا الناس فيه زمانا أحسوا أنه وحده لا يكفى فأعطوه مضمونا وما زالوا يتنقلون بهذا المضمون من طور الى طور حتى وصل أولهم أو آخرهم الى تبنى الفكر الماركسى والذين لم يتبنوه بشكل كامل أصبحوا يتعاملون معه بشكل منافق •

فلتكن الفقرة الثانية فى الطرح الماركسى لنرى زخرفته وغروره وكذبه ، وقبل أن ننتقل الى الفقرة الثانية نحب أن نسجل مجموعة ملاحظات حول قضية القوميات لنقطع الطريق على أى مستغل فى هذا الشأن :

١ — نحن حملة دعوة الأنبياء ندعو الى انسانية واحدة تحكمها كلمة الله المتمثلة بهذا القرآن ونعتقد أن السنة النبوية هى الشارحة لهذا القرآن •

٢ — نعرف أن الانسانية الواحدة مؤلفة من شعوب شتى وأن ذلك لا يعنى أن لجنس ميزة على جنس الا بقدر ما يحقق جنس ما كلمة الله أو يكون مرشحا أكثر من غيره لفهمها أو لتمثلها • وهذا وحده يجعل للعرب وضعا أدبيا ممتازا بين الشعوب ما داموا كذلك فاذا فرطوا فى كلمة الله فهما والتزاما وتمثلا أصبح غيرهم أجدر منهم بهذا المركز الممتاز قال تعالى : « **وأن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم** »(١) على أن هذا المركز الممتاز مركز أدبى ليس الا • والا فان حرية الترشيح والانتخاب ستعطى لكل مسلم •

٣ — ليس هناك مانع من حيث المبدأ أن تقوم ولايات اسلامية على أساس مذهبى أو لسانى أو على أساس جغرافى ضمن دولة الولايات الاسلامية الواحدة •

٤ — ليس فى دولة الولايات الاسلامية المتحدة ميزة لشعب على شعب وسيكون لكل ولاية اسلامية قانونها الخاص بها فى اطار القانون العام والدستور العام للدولة الاسلامية الواحدة •

٥ — وعلى الطريق للدولة الاسلامية الواحدة سنعمل من أجل أن تقوم دولة اسلامية فى كل قطر ، وحيثما كانت دولة الاسلام

---

(١) محمد : ٣٨ •

فى أكثر من قطر فسيربط بين هذه الأقطـار أربطة ما لصالح الوحدة الاسلامية •

٦ — نحن نحلم بوجود الدولة الاسلامية النواة التى تتحمـل عبء حمل راية الاسلام ونتمنى أن يكون العالم العربى أو بعض أقطاره هو هذه الدولة النواة •

٧ — فى كل قطـر من الأقطار ستحكم علاقات المسلمين مع غيرهم مواثيق عمل لا يمكن أن يغـدر فيها المسلمون بل يمكن أن يتساهلوا لصالح الآخرين •

ولعل القارىء يدرك من مجموعة هذه النقاط أننا لسـنا ضد دولة عربية واحدة مضمونها الاسلام بل نتمناها ونحلم بها ولكن على أساس الاسلام الذى هو وحده الذى يمكن أن يجمع العرب على شىء ، ومن حلم بأن يجمعهم على غير ذلك فانما يحلم بالأوهام • وهـذا هو الواقع وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال : « ولا حكم امراؤهم بغير ما أنزل الله الا جعل الله بأسهم بينهم » أو كما قال عليه السلام •

ولننتقل الى الفقـرة الثانية :

(ب) الفقرة الثانية : فى الطرح المـاركسى : ان المـاركسية تدعى دعاوى كلها كاذب وزائف ومن ثم فانها تكاد تكون أوضح نموذج على اجتمـاع صفتى الزخرفة فى القول والغرور فى الدعوات التى تتناقض ودعوة الأنبياء •

ان المـاركسية تدعى أنها هى وحدها التى تعـرف القانون الكونى والحياتى وأنها وحدها تملك اعطاء العـالم التطبيق المنسجم مع القوانين الحياتية وأنها وحدها التى تملك تسيير الحياة البشرية على أسـاس علمى ، وهى تنظـر الى كل ما خالفها على أنه باطل وسنرى بالدليـل والبرهان على أن ذلك كله كذب وأن هـذا الكذب كله مصوغ بقـالب مزخرف من القول ليس الا ، وأنه كله غرور لا يعبر عن حق أو صدق •

وقبل أن نبدأ عرض النظرية المـاركسية ومناقشتها واثبـات كذبها وزخرفتها وغرورها نحب أن نذكر مجموعة ملاحظات تقطع الطريق على أسلوب الشيوعيين فى الاتهام فعنـدهم من لم يكن عميلا لموسكو فانه عميل لأمريكا ، وعندهم أن الهجوم ضد الشيوعية يعنى دفاعا عن الرأسمالية والاستعمار الغربى ، أما أن يفهموا أنه فى هـذا العـالم يوجد ناس شرفاء أمناء يعملون لتغيير نظام العالم على أساس هـدى

الأنبياء فهذا ما لا تستطيع عقولهم العمى أن تراه وهذا يدعونا الى أن نسجل هذه الملاحظات :

١ — نحن لا نؤمن الا بهدى الأنبياء ، ونعتقد أن هدى الأنبياء طريق مستقيم قد تتقاطع معه طرق أخرى فى نقطة ما سواء أكانت هذه الطرق طرقا دينية أم فلسفية أم سياسية أم اقتصادية ولكن وان تم هذا اللقاء أو هذا التقاطع فى نقطة ما فان نقطة الانطلاق مختلفة ، ومحل هذه النقطة فى مجموع هدى الأنبياء يختلف عن محل هذه النقطة فى ضلال غيرهم .

٢ — ومع أننا لا نلتقى مع أحد فى هذا العالم الا على كلمة سواء هى العبودية لله على مقتضى رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فاننا فى داخل أقطارنا يمكن أن تضمنا مع غير المسلمين مواثيق سياسية نلتزمها اذا عقدناها لهم . أما فى تعاملنا مع الحكومات غير الاسلامية فى هذا العالم فان القاعدة التى يمكن أن ننطلق منها هى التعامل على أساس مصالح بمصالح وعلى مبدأ المعاملة بالمثل ولا نستثنى من هذا الأساس ولا من هذا المبدأ دولة من الدول الشرقية أو الغربية . وهذا لا ينفى أن تكون لنا مخططاتنا العالمية الخاصة بنا كما لا ينفى التعامل الأمريكى الروسى أن يكون لكل من الدولتين مخططاتها الخاصة بها وأجهزتها العامة لمصلحتها حتى على أرض الأخرى .

٣ — أما بالنسبة للنظام الرأسمالى فانه لا يخرج عن كونه كالنظام الشيوعى بالنسبة لنا يمكن أن يتقاطع فى نقطة ما مع هدى الأنبياء ولكنه تقاطع ليس الا . فمثلا نلتقى مع الشيوعية فى نقطة حرب الربا كما نلتقى مع الرأسمالية فى أن أصل فكرة الملكية الخاصة محترمة . ولكن مثل هذا التقاطع فى بعض النقاط لا يعنى التطابق ولا يعنى أن نقاط الانطلاق ولا النهايات ولا ما بين ذلك واحدة فشتان بين طريق مستقيم وطرق منحرفة .

٤ — لم نشأ أن نضرب مثالا على الزخرفة والغرور فى الفكر الرأسمالى كفكر معاد لهدى الأنبياء ، لأننا نعتبر حدة المعركة اليوم على أرضنا بين الفكر الماركسى والدعوة الاسلامية ، على أن يوما ما قد مر كانت حدة الصراع بين الفكر الرأسمالى والدعوة الاسلامية ، واذن فلا يخرج الفكر الرأسمالى عن كونه متصفا بكل صفة يتصف بها الفكر المعادى لهدى الأنبياء من كذب وزخرف فى القول وغرور

ويكفى أن ندرك ذلك فى الفكر الرأسمالى من خلال رؤية ما فى النظام الرأسمالى من عيوب تظهر بسيطرة رأس المـــال على الأخلاق والقيم والمجتمعات واعطاء رأس المـــال حرية العمـــل بلا حدود واعتمـــاد هذا الفكر مبدأ لحرية الانســـان المطلقة فيما يضر وينفع وكثرة ما تولد عن هـــذا الفكر من مآس للأفـــراد والشـــعوب وما ترتب عليه من حروب وغير ذلك من معان ، ثم انظـــر كيف يتحدث هؤلاء عن أنفسهم بأنهم العالم الحـــر وأنهم حماة الديمقراطية والحرية فى العـــالم وأنهم المسئولون عن حقوق الانســـان وهم هم الذين يخططون لاجتثاث هدى الأنبياء فى كل مكان وهم هم الذين وراء زج أبنـــاء الحركة الاسلامية فى الســـجون بلا ذنب اقترفوه الا أنهم يدعـــون الى « لا اله الا الله » • فهم فى الحقيقة والحركة الشـــيوعية على حد ســـواء فى ملاحقة كلمة الايمـــان ولكن لكل طريقه • فالملايين المخنوقة من المســـلمين فى الاتحاد السوفييتى أو فى الصين الشيوعية يقابلها عشرات الآلاف المســـحوقة فى الســـجون فى كل مرحلة من المراحل بتخطيط أو بضرب مباشر اما من يد فرنسية أو بريطانية أو أمريكية أو هولندية أو أسبانية وهـــذه صفحات التاريخ الجلى والخفى تذكر ذلك ليبقى محفوظا فلا ينسى ولو من باب التأكيد على الفارق بين هـــدى الأنبياء وسياسة أتباعهم وبين طريقة أعداء الأنبياء وسياسة أتباعهم •

ملكنا فكان العـــدل منا سجية ... فلما ملكتم ســـال بالدم أبطح
ولا عجب هذا التفـــاوت بيننا ... فكل اناء بالذى فيـــه ينضـــح

وبعد هذه الملاحظات فلنبدأ مناقشة جزء من النظرية المـــاركسية :

ولنبدأها من خلال بعض عبارات كتاب من آخـــر كتبها المؤلفة قبل كتابة هذه الرسالة حتى يكون النقاش مع أحدث عرض لها من قبل أصحابها •

الكتاب الذى بين أيدينا كتاب وصل الينا من المـــاركسيين الموجودين فى السجن الذى نحن فيه وهو كتاب صادر عن دار التقـــدم بموسكو كما هو مذكور على صفحة الغلاف وعنوانه « الناس والعلم والمجتمع » وفى الصفحة الثانية من الغلاف يقول الكتاب : « يعـــرض فى هـــذا الكتاب المذهب الفلسفى عن العـــالم ومعرفته والمجتمع وقوانين تطوره•• ويبحث المســـائل الأساسية الملحة للنظرية والممارسة المـــاركسيتين —

اللينينيتين لبنـــاء الاشتراكية والشيوعية » • وقد أعد الكتـــاب فريق من المؤلفين الروس ذكرت أسماءهم •

والفصـــل الأول من الكتاب عنـــوانه : « الفلسفة المـــاركسية اللينينية » وهذا الفصـــل هو الأســـاس فى كل شىء بالنسبة للنظرية الشيوعية والتطبيق الشيوعى ومن ثم فان تأملات فى هـــذا الفصل تغنينا عن كل شىء بعد ذلك • لأن كل دعوى حول التقـــدم والتنظيم وغير ذلك عند الشيوعيين يقابلها ما يكافؤها أو يزيد عليها عند الرأسماليين •

فلنبدأ عرض بعض ملاحظاتنا على بعض عبارات هذا الفصل :

ان كل الفلسفة المـــاركسية تستند الى فكرتين أساســـيتين : المـــادية ، والجدلية •

فالمـــادية تعنى عندهم أنه لا موجود الا هذه المـــادة المحسة ، والجدلية تعنى أنه دائما يوجد فى المـــادة الشىء ونقيضه ، هاتان الفكرتان هما أصـــل النظرية المـــاركسية كلها ، وكل شىء بعد ذلك انما هو تطبيق أو تفريع أو عرض لتطبيق أو تفريع لهاتين القضيتين ، فليس هناك من موجـــود الا المـــادة المحســـة ، والمـــادة المحســـة تخضع لقانون الجدل ، والحياة البشرية حياة مادية وتخضع لقانون النقيض ، وانطلاقا من هـــذا كله تتفرع قوانين الصراع الاجتماعى والمـــادى ، وانطلاقا من هـــذا كله فلا اله أصلا والأديان انما هى انبثاق مفاهيم اجتماعية مختلفة لأنها أثر عن مرحلة تاريخية متخلفة • وكل شىء قبل ماركس ولينين لم يكن يســـاوى شيئا وماركس وانجلز ولينين هم أعظم المظاهر البشرية على الاطلاق وهكذا الى غير ذلك من دعاوى وأقوال كلها كذب وزخرف من القول وغرور كما سنرى •

دعنا نناقش أصل النظرية وهو المـــادية :

انهم يعتبرون أن المـــادة أزلية قديمـــة يقول الكتاب ص ١٤ : « وهـــذا يعنى أن المـــادة وجدت منذ الأزل وستبقى الى الأبد » أو أنه لا يوجـــد شىء الا هـــذه المـــادة المدركة بالحواس ، يقول الكتاب فى الصفحة نفسها : « عرف لينين المادة بأنها الحقيقة الموضوعية الموجودة بصورة مستقلة عن الوعى والمعطاة للانســـان فى حواسه » وحتى لا ينتقد لينين على حكمته فى حصر الوجود المـــادى بالادراك الحسى لأن هناك أشياء لا يدركها الحس • يكمل الكتاب الموضوع فيقول :

« طبيعى أنه لا يمكن مشـــاهدة أو لمس كل شىء : فالموجـــة

اللاسلكية لا تمس باليد والتذبذب ما فوق الصــوتى لا تلتقطه الأذن والحقل المغناطيسى لا تكتشفه أعضــاء الحواس ، ولكن كل هــذا يمكن اكتشافه بواسطة الأجهــزة ، وتدل على وجوده المعطيات العلمية . ان المـــادة مهما اتخذت من شكل عجيب ســحرى لابد أن تظهــر أخيرا عن طريق الحواس » وبسرعة نسألكم : أنتم لا تثبتون شيئا الا اذا أدركته الحواس أو أدركته الأجهــزة وهذا يقتضى أنكم تنكرون من حيث المبدأ كل شىء قبل أن تدركه الحواس أو يوجده الجهاز وهــذا يقتضى على مقتضى اتجاهكم أن كل شىء غير محس قبل وجــود الأجهزة الكاشفة له أنه كان غر موجود حتى لو أثبته الاســتقراء العقلى أو الاستنتاج العقلى . فاثبات شىء اســمه جاذبية على رأيكم لم يكن صحيحا وهذا يفسر لنا ما سنراه فيمــا بعد من زجكم فى الســجون لكل من كان يتبنى نظريات آينشتاين التى أوصل اليها الاستنتاج العقلى والتى أثبت بعد ذلك الجهاز نفسه صحتها . ان فكركم يا هؤلاء متخلف عن قضية العقل ولنعد الى الموضوع .

ثم هم يصفون المـــادة التى لا يثبتون غيرها والتى لا يثبتونها أصلا الا اذا أحســوا بها يصفونها بأنها لا تنفك عن الحركة أو أن الحركة لا تنفك عنها . يقول الكتاب فى صفحة ١٧ :

« ان واقع عمومية الحركة نفسه يحمل على التفكير بأن المـــادة والحركة متصلتان اتصالا وثيقا ولا تنفصلان وبالفعل فان العلم المعاصر برهن بما لا يقبل الدحض أن المـــادة موجــودة فى الحركة فقط ، ولو حدث المستحيل فجأة وتوقفت كل حركة لوقت ما ، لكان هــذا يعادل الزوال التام للعالم وللواقع الموضوعى والمـــادة » ويقول الكتاب فى الصفحة نفســها : « وأيا أخذنا من الأشياء والظواهر المـــادية نخلص الى الاستنتاج القاطع وهو أنه لا وجود الا فى الحركة . ان الحركة المفهومة تتغير عموما كعملية تجدد أبدية هى صفة لازمة وأســاسية للمـــادة وشكل (أسلوب) عام لوجودها » .

وأقول : تالله تالله لو كان لهم عقول يعقلون بها أو فكر يفكرون به ما جمعوا بين القول بقــدم المـــادة وملازمة الحركة لأن الجمع بين ذلك مستحيل عقلا لكل من له أدنى عقل يفكر فيه :

ان المســألة بمنتهى البساطة ، فالحركة تعنى بداية زمانية ومكانية. فالارتباط بين المـــادة والحركة لابد أنه يعنى فى النهــاية ابتداء المـــادة

نفسـها ، وليست الحركة وحدها اذا ربطت بالمـادة فانها تدل على ابتداء المـادة نفسـها بل ان ارتباط المـادة بالتغير وعدم انفكاكها عن هذا التغير يدل على ذلك ، ان كل تغير من التغيرات له بدايته الزمانية ان هذا وحده يدلنا على أن للمـادة بدايتها الزمانية وهـذا يعنى استحالة قدمها .

ان المـادة كلها مؤلفة من ذرات فلو أننا افترضنا أن الكون كله ذرة واحدة وافترضنا أن هذه الذرة لا تنفك عنها الحركة فماذا يعنى ذلك ؟ .

دعنا نتصـور أن مظهر الحركة فى الذرة هى حركة الألكترون وهى حركة دائرية تقريبا انك لا تستطيع أن تثبت الحركة الدائرية وتلازمها الا مع وجود الذرة نفسـه وهذا يوصلنا تلقائيا الى أن الذرة نفسـها لها بداية ، انك تستطيع بشـكل ما أن تسـجل عدد الدورات للالكترون فى الذرة خلال ثانية ولكن من المتعذر أن تحصى عدد هذه الدورات منذ القدم . ولكن العقـل والملاحظة تثبتان أن هذه الدورات لا تخـرج عن كونها فى النهاية ذات عـدد زوجى أو فردى ، انظـر الى عقرب الساعة وهو يدور ، ان الذرة تشبه ذلك ، انك لا تستطيع الآن تتصور هـذا العقرب بدأ دورته من لحظة زمانية وأن مجمـوع دوراته محدودة واذن فوجود السـاعة له بداية زمانية وقل مثل ذلك فى الذرة عندما نربطها بمبدأ الحركة ، لابد أن يكون لها نقطة بداية ما دامت لا تنفصل عن الحركة .

ان أبسط أهل الأرض عقلا يستطيع أن يدرك أنه اذا اتصـل شىء بشىء اتصالا لا انفكاك له وكان الشىء الثانى له بداية ونهاية فان الأول لابد أن يكون له بداية ونهاية ، ان أبسط أهل الأرض عقـلا يدرك أن الحركة لابد لها من نقطة بداية فى الزمان والمكان فاذا كانت المـادة لا تنفك عن الحركة فهذا يقضى أن تكون المـادة لها نقطـة بداية فى الزمان .. ان هـذا يكاد يكون من بديهيات العقـل . ولكن المـاركسية تريد من خلال اغراقنا بتفصيلات من الأمور البديهية أن تجعلنا نترك بديهية من بديهيات العقـل من خلال عملية خداعية للعقـول كما يفعل الذين يشتغلون بخداع البصر .

ان قانون السببية وهو أحد قوانين العقـل يوصلنا الى الله وان قانون الغائية وهو أحـد قوانين العقـل يوصلنا الى الله ، وان كل ما فى

هـذا الكون يوصلنا الى الله • وكل دراسة للكون توصلنا الى أن المـادة مخلوقة وأنها ليست أزلية • والمـاركسيون يريدون أن يعطلوا قوانين العقل كلها وأن يلغوا قوانين المـادة نفسـها فى دلالتها على خالقها ليثبتوا للمـادة الصماء البكماء العمياء كل ما لله من صفات القدم والبقاء والعلم والارادة والقدرة واللاتناهى •

ان الشيوعية عملية فـرار من المعقول الى المحسوس فهى أكثر نظريات العالم الفلسفية انحدارا انها العقلية الطفولية التى لا تعـرف الا فى الحدود التى تشاهدها بحواسها وهى على ركاكتها فى هـذا الباب تريد أن تقنعنا أنها وحدها التى عرفت كل شىء وأحاطت بكل شىء وعللت كل شىء تعليله الصحيح ، انه يكفيك أن تدرك تفاهتها وكذبها أنها لا تؤمن الا بالمحسوس الذى تكشفه الحواس وبعد التطوير قالت بما يكشفه الجهاز معينا الحواس • واذن فعلى مقتضى النظرية الشيوعية ، لو كان انسـان يعيش قبل ألف سنة وتحدث عن قضـايا عقلية علمية من باب الاستنتاج العقلى أو الاستقراء المنطقى ولم يوجد جهاز يكشف ولا حواس تحس لاعتبر ذلك جهلا ، ثم اذا جاء الجهاز فأثبته يصبح المعدوم موجودا • فالحاسة والجهاز هما اللذان يقـرران الوجود والعدم فبالله عليك أيها القارىء هل ترى ههنا عقـول رجال أو عقول أطفال ؟ •

لقد أثبت آينشتاين أن جسـما ما قوة جذبه تزيد على قوة جاذبية أرضنا بكذا مرة لا يمكن أن يرى ، هـذا مع زيادته فى معنى الوجود • وكل المشتغلين بالعلوم يعرفون أن غير المرئيات فى هـذا الكون كثيرة وأن أذن الانسـان لا تسمع الا ضمن ذبذبات معينة فاذا خرجت الذبذبات عن عرض المجال السـمعى زيادة أو نقصانا فان أذن الانسان لا تسمع ، انه على مقتضى تعريف لينين للمـادة فان كل هـذه الأشياء التى لا تدركها الحواس ليست موجودة وبعد التطوير لتعريف لينين ، فكل ما لا يكشفه الجهاز يبقى غير موجود •

الموجودات التى يوصلنا اليها العقـل والموجودات التى أخبرنا عنها الأنبياء الصـادقون والموجودات التى نشعر بها ولا يستطيع جهاز أن يسـجلها ولا تدركها الحواس ، العواطف والأفكار والروح والنفس ، أم أن الروح عندهم غير موجودة ؟ وبم تعلل قضية الرؤى والتنويم المغناطيسى وظاهرة التلباثى وظاهرة الطرح الروحى ؟ •

ان هناك شيئا يغيب عن العقل الشيوعى وهو أن أجهزة ما ولكنها معطلة عندهم تماما هى التى تنكشف بها بعض الأشياء •

ان هناك جهازا اسمه القلب ، ولا نقصد به القلب الحسى الأحمر ، نقصد قلبا فى نفس المكان له عين وأذن وله خواص حساسة جدا • هذا النوع من القلوب هو الذى يلتقط ويسجل ويدرك أمورا أخرى هذا الجهاز يعرفه أتباع الأنبياء جيدا لأنهم يحسونه ويحسون به ، هذا الجهاز المعطل عند أعداء الأنبياء جميعا هو السر فى أن أتباع الأنبياء آمنوا وهؤلاء لا يؤمنون أن العلة فى القلوب والعقول •

اننا لا نريد ههنا أن نتوسع كثيرا ففى كتابنا « الله جل جلاله » وفى كتابنا « الرسول » صلى الله عليه وسلم ذكرنا من دقائق الاثبات ما لا يبقى معه لمستريب ريبة • وفى كتابنا « التفسير » ذكرنا من الحجج على أن هذا القرآن كتاب الله ما لا يبقى معه لمنصف الا الايمان ولكنا هنا نريد فقط أن نرى كيف أن الزخرفة فى القول والغرور قاسم مشترك موجود بين كل دعوة تعادى دعوة الأنبياء • وأن هذه الزخرفة وهذا الغرور انما هما غطاء للكذب ليس الا • ولعل فيما ذكرناه ما يصلح دليلا على ذلك بالنسبة للنظرية الشيوعة • ولنمش خطوة أخرى •

ان الجزء الثانى من النظرية الماركسية هو الجدل ولذا تسمى الماركسية بالجدلية المادية ، وبعضهم يبسط هذا الجانب بأن يقول ان الشيء يحوى فى طياته نقيضه القابل للتوسع حتى يزول الشيء ليعمل محله نقيضه ، وفكرة الشيء ونقيضه والشيء وضده فكرة موجودة يلاحظها كل انسان حتى قال القائل قديما :

لكل شيء آفة من ضده حتى الحديد سطا عليه المبرد

ان الفكرة بحد ذاتها فكرة مدركة محسة ، فأن تأتى الشيوعية وتقيم عليها ما تقيم من تبجحات ودعاوى وتعتبر نفسها باكتشافها لهذه النقطة قفزت بالعقل البشرى من طور الى طور • ان ذلك كله يدلك على الزخرفة فى القول والغرور الكامل فى الادعاء مبنيين على لا شيء يستحق مثل هذا الضجيج والطنين والرنين •

فاذا ما نظرت بعد ذلك الى ما يبنونه على فكرة النقيض تجد الكذب مجسدا ، فهم يقولون بأن المادة وجدت أزلا وأن المادة يتحكم بها قانون النقيض فهى فى انطفاء واشتعال وتركيب وفساد وانتقال من تشكيل الى تشكيل يقول الكتاب الذى نقلنا عنه :

« وتدل المعطيات العلمية على أنه حتى الأجرام السماوية الموجودة منذ المليارات ومئات المليارات من السنين لها بداية ونهاية وأنها تنشأ وتهلك ولكن المادة بجملتها أزلية أبدية » •

ونقول أعطونا دليلا واحدا على ما تقولون من أن هذا الكون البديع النظام والترتيب قد جدد نفسه الى ما لا يتناهى من المرات بحيث أنه نشأ وهلك ثم هلك ونشأ مع هذا فالمادة أزلية أبدية ، ما هو الهلاك ثم كيف تتم النشأة بعد الهلاك دعونا نتصور أن الهلاك هو أن تنعدم التناظرات فى هذا الكون حتى يصبح فى درجة الصفر المطلق • أعطونا تعليلا علميا كيف عادت الحرارة مرة ثانية الى الظهور ومن المعروف أن القانون الثانى من قوانين الحرارة يقول باستحالة ذلك فبالله عليكم أيها الناس ماذا تسمون هذا الكلام الذى يريدون أن يبنوا عليه الثورة العالمية والتغيير السياسى والاجتماعى والاقتصادى فى هذا العالم ؟ •

كل مرة المادة تهلك ثم تنشأ ، من قال ذلك وما دليله ؟ وكيف يتم ذلك أعطونا تعليلا واحدا ودليلا واحدا ! ان الدليل العلمى والعقلى ضدكم فالكون منذ نشأته فى توسع ، وسيأتى يوم يخرب فيه نظام هذا الكون هكذا أخبرنا الأنبياء • وهذا شىء يقبله العقل ولا ينقضه العلم ولكن كلامكم لا يدل عليه عقل ولا علم •

مثل هذه السخافات التى يسمونها كذبا علما يتحدثون عنها بمثل هذه اللغة ، يقول الكتاب المذكور : « ان الديالكتيك اذ يدرس الصلة العامة وتطور العالم يبرز كطريقة علمية للمعرفة •• ولما كان الديالكتيك يلزمنا بالنظر الى العالم فى ترابطه وتطوره فانه يساعد على دراسة الواقع دراسة أعمق •• ان الديالكتيك يحذر من تحجر الفكر ، يحذر من الجمود العقائدى ، انه يعلمنا ألا نقف عاجزين عن التناقضات •• ومما يزيد من ضرورة امتلاك الطريقة الديالكتيكية الخلاقة فى التفكير » هذا كله فى الصفحة (٣٠) من الكتاب • لاحظ الزخرفة من القول والغرور حول قضية تبنى عليها أكاذيب وتسمى الأكاذيب علما •

اذا استوعبت ما مر وأدركت سخافته وضحالته عرفت ماهية الفكر الشيوعى كله لأن ما قلناه هو الأساس الذى يبنى عليه كل شىء بل كل شىء انما هو تفريع له ، فبناء على المادية يقوم الفهم المادى للتاريخ ، وبناء على الديالكتيك يقوم الصراع بين الطبقات ، وانبثاقا من المادة

توجد الأفكار ، وبناء على الديالكتيك يقوم الصراع بين الأفكار ويخلطون فى ذلك بين ما يحكم العقــل ببداهته وبين ما يحكم العقــل ببداهة بطلانه ليروجوا للثانى من خلال الأول • ويختلقــون معارك وهمية مع جهات خاطئة ليثبتوا من خلال خطأ هؤلاء أنهم هم على حق ، والمسألة ليست كذلك ، ان هناك حقا وحيدا هو هدى الأنبيــاء ، مهنا محل الصراع والنقاش وهمنا لب المعركة وان باطلهم ليذوب أمام هذا الحق •

انه من خلال استغلال رأس المــال ومن خلال استغلال اضطــرار الانســان ومن خلال اثارة الشــفقة على العامل ومن خلال تأجيج روح الحقــد يقولون للعامل نحن منقذوك ولكن هم أنفسهم كذلك يأكلون انتاج العامل والفلاح من خلال الطبقة الجــديدة طبقة الحزب الحاكم وجواسيسه واداريبه وهم كذلك يســلبون العامل حرية قول الحق وحرية الحركة الحرة حتى فى العمــل الذى يرتاح اليه العامل وهم هم فى أبشع نظام عرفه العــالم لا يملك معه الانســان حتى أن يفكر للوصول الى الحق •

ان انقــاذ الانسان كل الانسان انما يكون بهدى الأنبيــاء الذى هو الحق الخالص والعدل الخالص حيث لا يستغل اضطرار الانســان وحيث لا يستغل رأس المــال لانســان وحيث لا يضيع انســان وحيث يمكن أن يسعد الانسان فى كل طور وفى أى زمان وفى أى مكان وعلى أى مستوى •

والنقاش معهم طويل وفى كتاب « حوار مع الشيوعيين فى أقبية الســجون » وفى كتاب « فلسفتنا » ما يمكن للقارىء العادى أن يدرك جوانب الخطأ العلمى والعقلى فى الفكر المــاركسى ، فهناك مناقشة شاملة ونحن هنا لم نرد هذه المناقشة الشــاملة فهذه تحتاج الى آلاف الصفحات وانما نريد التدليل فقط على أن كل طرح يطرحه أعداء الأنبياء يشترك مع غيره فى كونه كذبا مصاغا بزخرف من القــول ومغطى بالغرور •

وهذه ملاحظات سريعة تؤكد هــذا المعنى :

١ ــ ان المــاركسية تطرح شــعار « من لا يعمل لا يأكل » وبنــاء عليه تبشر بعالم لا حكومة فيه • ان الدولة تعنى وجود من لا يعمل عملا منتجا • وتحلم بعــالم يقــدم فيه كل من الناس طاقته

ليأخذ حاجته هكذا بدون دولة ولا حكومة تتولى ذلك وحتى بدون من يربى عليه لأننا لا ندرى هل تعتبر التربية عملا يستحق صاحبه شيئا •

انه من خلال هذه النقاط التى تعتبر جـزءا من الاشتراكية العلمية يريد الشـيوعيون أن يقنعوا العـالم بأنهم العلميون الوحيدون فى هـذا العـالم ، وانظروا وضعهم الحالى ، وكيف أن نظامهم من أكثر نظم العالم مركزية حتى فى تصدير الأفكار وكيف أن سلطان الدولة عندهم يزداد تدعيما وكيف أن الرشـا عنـدهم لا ضابط لها ، وكيف أن الحزب يقوم بدور مصاص دماء الطبقة العاملة ومسـتغلها ، هذا كله موجود ومع هـذا نجـد اللغة التى يتحدثون فيها عن أنفسهم لغة المحـرر للطبقة العاملة فى العالم وهم الذين يتعاملون مع العمال فى بلادهم كما يتعامل رب القطيع مع قطيعه •

انهم يحلمون بمجتمع الانبيـاء من خلال تربية الشياطين هيهات هيهات انك لا تجنى من الشـوك العنب ، لقد استطاعت التربية النبوية المحمدية أن توجد المجتمع الذى يبذل فيه كل انسـان بمحض اختياره كل ما عنده ، ويأخذ باختياره بعض ما يلزمه كما ورد فى الحديث : « ان الأشعريين اذا أرملوا فى الغزوة أو قل طعام عيالهم بالمدينـة جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ثم اقتسـموه بينهم فى اناء واحد بالسوية فهم منى وأنا منهم » متفق عليه •

ولكنها تربية الأنبياء ، وهم يؤكدون على المـادة والمـادية ومن خلال نظرية فضـل القيمة التى يحاولون أن يقنعوا العامل من خلالها أنه مسـتغل وأن عليه أن يحطم نظام العالم كله من أجل القروش التى يأخذها منه صاحب رأس المـال ، ونحن ضد استغلال رأس المـال ومع الأجر العادل للعامل • ولكن نقول انهم هم الذين يربون على مثـل هذا يريدون من الانسـان المـادى أن يصل الى أن يبذّل طاقته باختياره ثم يأخذ بحسب حاجته باختياره ، ومتى ذلك ؟! حيث يتحرر الانسـان من أخلاق البورجوازية ؟ نقول لهم : بجانب الكرملين الآن مخازن كثيرة خاصة بأعضاء الحزب الكبار يأخذون منها كل ما يشاءون مما لا يستطيع غيرهم أن يصـل اليه فلمـاذا تخصون أنفسكم بما يخص به البورجوازى نفسه ؟ أليس هـذا دليلا على أنكم كذابون وأن كذبكم مستور بزخرف القول والغرور •

وبمناسبة الكلام عن فضـل القيمة التى تعتبر ذروة الفـكر

الماركسى وأعظم اختراعات ماركس الفكرية والتى تعنى أن العامل يعمل عند صاحب العمل بما قيمته عشر ليرات ويعطيه رب العمل ثمانيا سارقا ليرتين من كل عامل وتتراكم السرقات .. ثم .. ثم .. يا عمال العالم .

لا يجوز لأحد أن يمتلك وسائل الانتاج بناء على ذلك ويجب أن تلغى الدولة فى النهاية بسبب يتفرع عن ذلك .. و .. و .. ! الى ما لا نهاية من الكلام بناء على ذلك .

من الذى يحدد قيمة العمل ؟ وما هو التحديد العادل لهذه القيمة ؟ وكيف نقدر قيمة الجهد الفكرى ؟ وكيف نجمع بين عدم جواز تملك وسائل الانتاج والغاء فكرة الدولة ؟ وفى حال الغاء فكرة الدولة كيف يتم تأمين الخدمات العالمية وما يلزم لذلك من مصانع ضخمة وأدوات نقل عملاقة ؟ أى عامل فى هذا العالم يصدق أن مثل هذا الكلام الذى يقولونه علم خالص كما يزعمون أم أنه الزخرف والغرور والكذب الخالص بعد ذلك .. ان الشيوعية الآن هى السلاح الأمضى بيد روسيا لاستعباد الشعوب وتفريغها من قيمها الأصيلة . ويكفى من خلال رؤية وضع المسلمين فى تركستان ورؤية ما حدث فى تشيكوسلوفاكيا أن ندرك أن روسيا التى كانت أضعف حلقات الاستعمار أصبحت بسبب الشيوعية أقوى حلقات الاستعمار ، بل ان الشيوعية هى التبرير الأخبث للخيانة العظمى فى كل مكان فالشيوعى فى كل قطر جاسوس وعميل ولكن بوقاحة وجرأة وجهرية .

انى لأسخر فى نفسى وأنا أقرأ عن فضل القيمة فى الفكر الشيوعى ، وكيف لا أسخر وأنا أجد العامل الشيوعى فى ألمانيا الديمقراطية وهو الذى لا يسلب أحد منه فضل القيمة لا ينال الا أقل من الكلب الذى يعيش فى ألمانيا الغربية حيث يأكل أصحاب رؤوس الأموال فضل قيمة عمل العامل ، هذا ونحن نعتبر النظام الرأسمالى نظاما جائرا ظالما .

كما أسخر فى نفسى وأنا أسمع التعليلات التى تعلل فيها بعض الأمور .

ان الشيوعيين بدل أن يعترفوا أن نظامهم يعادى فطرة الانسان وطبيعة التركيب العام للنفس البشرية يبقون مصرين على السير

فى الطريق الخاطىء مع الادعاء والغـــرور اذ يأخذون كل الألقاب فى العالم ليفرغوها على أنفسهم بعد أن يأخذوا امتدادها عمليا .

ولكن وبلا شك فان الذى يعطى لكلامهم قوته مفاسد الرأسماليين ، وان الاســـلام هو الحل الأمثل والأكمل والأعدل وانه لأمل المستقبل ، الاسلام كما هو فى نصوصه وكما تريده الحركة الاسلامية المعاصرة ، ولنعد الى تسجيل بعض الملاحظات على المـــاركسية والمـــاركسيين .

٢ ــ ان المـــاركسية تدعى العلمية وهى التى حاربت نظـرية آينشتاين العلمية التى قام الدليـــل العلمى على ثبوتها جميعـــا ما عدا واحدة وهى التى تتحدث عن ثبات حجم الكون فيما وقفت المـــاركسية رافضة فى دولتها الرسمية الاتحاد السوفييتى حتى نهاية الأربعينات تقريبا بجهل الفكر الأنشتاينى ، بل كان يضطهد القائلون به وذلك لأن نظريات آينشتاين العلمية تنقض الديالتيك الذى هو الشىء الأساسى فى التفكير المـــاركسى ، فليست المـــاركسية علمية بل انهـــا تناقض العلم وتضطهده وتتعامل معه بلغة محاكم تفتيش جديدة .

ان المـــاركسية تتناقض مع نفسها فبينما تعتبر الديالكتيك هو الأساس فى عالم المـــادة وعالم الحياة وأن كل شىء يحتوى على بذور نقيضه وأن هذه البذور تنمو لحســـاب النقيض فيتغلب ثم يكون هـــذا النقيض حاويا لبذور نقيض آخـــر وهكذا أزلا وأبدا فى المـــادة والحياة ، واذا المـــاركسية نفســـها تبشر بعالم تســـود فيه الشيوعية وتستقر وتستمر وينتهى التناقض وتصوغ ذلك كله بلغة جزم مليئة بالغرور وبحرف مزخرف لا يلبس أى مضمون صحيح كما سنرى بعد قليل .

٣ ــ ان المـــاركسية تدعى أنها من خلال ملكها للقانون تستطيع وحدها أن تعطى الجواب الصحيح على صور المســـتقبل وهو منطق عجيب غريب تكذب المـــاركسية فيه يوميات الحياة المـــاركسية فماركس يتنبأ بقيام الثورة الشيوعية فى المجتمعات الصـــناعية أولا كبريطانيا وألمـــانيا ، واذا الثورة الشيوعية تقوم فى الدولة الزراعية أولا وهى روسيا ثم الصين ، والمـــاركسيون يتنبأون بزوال التناقض فى المصالح بين طبقة البروليتاريا ، واذا المصالح توجد عوازل بين دولتى البروليتاريا الرئيسيتين فى العالم : الصين الشعبية والاتحاد السوفييتى أكثر مما بين كل من هاتين الدولتين وأمريكا نفسها ، وقد سحقت جيوش الاتحاد

السـوفييتى آلاف العمال فى المجـر الذين لم يستشعروا لحظة واحدة أن الاتحاد السوفييتى يعاملهم بمنطق انسانية واحدة •

٤ — ولعل أبرز ما يريك الزخرفة والغرور فى المنطق المـاركسى تبشير ماركس بشيوعية عالمية تمحى فيها سلطة الدولة ، فالمـاركسية تدعى أنه بعـد أن تنتصر ثورة البروليتاريا ويتعايش الناس بالأخلاق البروليتارية الخالصة ، تزول جميع رواسب الأخلاق البرجوازية عندئذ لا تبقى حاجة للدولة لأن كل انسـان يعمل بقدر طاقته ويأخذ بحسب حاجته دون أى تدخل من جانب أى سلطة ، أى أن الفلاح يزرع ويقطف ويأتى بمنتوجه الى السـوق فيأخذ من الآخـرين ما يحتاجه ، ويأخذ منه الآخـرون ما يحتاجون منه بلا زيادة ولا نقصـان من دون قانون ولا دولة فهل يقبل أى مجنون فى العـالم أن يتصـور امكان ذلك ، يكفى للرد على هذا المنطق أن تجـد أنه بعد تجربة ستين عاما فى النظام الشيوعى أنك تجد سلطان الدولة يتكرس ، وتجد أن دولة الاتحاد السوفييتى تنتقل من اشتراكية أشـد الى اشتراكية أخف بدلا من أن تنتقل من اشتراكية الى شيوعية ، ويكفى أن ترى احتيـاج الصين الشعبية كل عدة سنوات الى ثورة ثقافية تجـدد حيوية الاشتراكية ، ومع هـذا تقوم بعد موت شواين لاى بوقت ليس ببعيد مظاهرات فى بكين نفسـها لصالح اشتراكية أخف أو لصالح الاعتدال ، ان نظرة واحدة على هذا الجـزء من النظرية المـاركسية تريك غرور أصحابها وتبجحهم وعرضهم المزخرف الزائف اذ يعرضـون مثل هـذا القول ويريدون أن يقنعوا العالم أنهم بمثل هـذا القول يمثلون وحدهم التقدمية فى العالم بل يعتبرون أنفسهم أنهم وحدهم حداة التقـدم البشرى •

الا أنه زخرف القول والغرور •

٥ — ومن أبرز ما تظهر فيه الزخرفة والغرور فى النظرية الماركسية أنها تدعى أنها تفجـر طاقات المجتمع جميعا ، مع أنها فى الواقع أكثر النظريات قتلا للطاقات ، اذ أنها تصرف طاقات كثيرة لتأمين المراقبة والمراقبة على المراقبة وللادارة وادارة الادارة وللمحاسبة وتدقيـق المحاسبة وبسبب الروتين الحكومى المعقد الذى تحتاجه أدنى الأمور ، كما أن قسـما كبيرا من الطاقات يذهب هـدرا بسبب انعدام الدوافع الفردية ، ومن ثم تجد روسيا التى كانت تصدر القمح للغرب فى زمن

القياصرة تعيش الآن على عوائد الغرب فى أمر القمح ، وبدلا من أن يكون ذلك علامة خطأ على أصل النظرية فالماركسيون بمنتهى الغرور يتشدقون ويزخرفون نظرياتهم وهى على التحقيق سراب خادع .

٦ — ومن أبرز ما يبرز فيه الزخرفة والغرور ادعاؤها نصرة الطبقات الدنيا من العمال والفلاحين مع أنها أوجدت نظاما لم يعرف تاريخ العالم له مثيلا فى اضطهاد الطبقات الدنيا اذ انتقلت السلطة بواسطتها من الاقطاعى الصغير والدولة الى الدولة وحدها ، فكان للفلاح والعامل فى الماضى نوع حماية وحرية ، واذا هو يصبح فى ظل الماركسية بلا حماية ولا حرية والويل لمن يتنفس أو يشكو . ولم تكن ملايين الضحايا فى عهد ستالين الا من طبقات العمال والفلاحين . وأى مقارنة بين وضع عامل وفلاح فى بلد كالسويد وبين وضع عامل وفلاح فى الاتحاد السوفييتى تريك الفارق الكبير بين عبودية الثانى الكاملة وحرية ورفاه وكرامة الأول ، مع ذلك يأبى الماركسيون الا أن يلبسوا نظريتهم ثوبا مزخرفا ويأبون أن يتكلموا الا بلغة الغرور ، وتلك سمة كل دعوة تعارض دعوة الأنبياء وان أى استعراض لمجموعة التعابير الماركسية تريك هذا بوضوح من مثل : الصراع الطبقى ووحدة الطبقة العاملة وديكتاتورية البروليتاريا ، والسلام العالمى والثورة العالمية والتقدمية وحتمية انتصار الثورة وأمثال هذه الألفاظ المزخرفة المشحونة بالغرور والتى هى فى حقيقتها هراء وخواء ، كل ذلك أمثلة بارزة على أن كل دعوة — ومنها الدعوة الماركسية — تعارض دعوة الأنبياء لا تملك الا زخرفا من القول وغرورا وأن دعوة الأنبياء وحدها هى التى تملك النافع من القول والمفيد من الحكم والحقيقة المشرقة الناصعة المتواضعة .

(جـ) الفقرة الثالثة : الطرح الفلسفى الوجودى : ولننتقل الى طرح معاصر آخر يعارض دعوة الأنبياء ويحاول أن يكون بديلا عنها لنرى الزخرفة الباطلة فيه والغرور متجسدين فيه . هذا الطرح هو الطرح الفلسفى الوجودى .

لم تزل البشرية فى كل أحقابها تعتبر اتباع الأهواء مطلقا مذمة وذلك منطق العقل والعلم فمن لا يعرف أنه لو أعطى كل انسان هواه لخرب العالم واستحالت الحياة جحيما ، فكل انسان يرغب أن يكون زعيما ، وكل انسان يرغب بكل جمال وكل انسان يرغب بكل

مال ، ولو أن كل حسود حقق حسده وكل حقود حقق ما يرغب فيه حقده فكيف يكون العالم وقد قال الله عز وجل : « **واو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض** »[1] ومن ثم جاءت دعوة الأنبياء عليهم السلام لضبط الأهواء بميزان صحيح وتوجيهها وجهة صحيحة : « **وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى** »[2] وكل ذلك مفهوم ومعقول المعنى غير أن الهوى غلاب والنفس ترغب فى التبرير ، وكان لأهل كل هوى فى كل عصر فلسفتهم ولكل فلسفة زخرفتها وقمة هذه الزخرفة وقمة هذا الغرور لفلسفة اطلاق الأهواء من أعنتها واعطائها مداها الفلسفة الوجودية المعاصرة هى التى زخرفت للانسان اتباع الهوى ونفخت فى هذا الاتباع روح الغرور واذا بالانسان المتأثر بهذه الفلسفة تبهره الزخرفة وينفخه الغرور وينطلق أداة تدمير ومتاهة ضياع ومن ثم انبثقت عن هذه الفلسفة موجات من تيارات شتى تحار كيف تعبر عن أهوائها بملايين من صور الشذوذ غير المعقول فى الملبس والمسكن والممشى والمبيت والجنس والطعام والشراب ، فأصبح الانتساب للحيوان مفخرة وتقليد الحيوان أساسا للتصرف . وتقلصت الفوارق بين الانسانية والحيوانية وأصبح النقص كمالا والكمال نقصا وبشر بذلك كله مئات من الكتاب بآلاف من الكتب لا تجد أبلغ فى وصفها فى قوله تعالى : « **شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا** »[3] زخرف من القول يؤدى الى باطل منتفش تلك حصيلة ذلك كله .

من هذه الأمثلة التى ذكرناها ندرك التضليل الذى تقع به الأجيال اذ تنحرف عن دعوة الأنبياء التى هى وحدها التى تملك النافع من القول والمفيد من الحكم والحق الخالص الذى لا يخالطه باطل .

* * *

(١) المؤمنون : ٧١ .　　(٢) النازعات : ٤٠ .
(٣) الأنعام : ١١٢ .

الفصل الثانى

ومن اعادة النظر فى الآيتين اللتين صدرنا بهما البحث نجد أن السبب الرئيسى للاستجابة الى وحى شياطين الانس والجن هو عدم الايمان بالآخرة قال تعالى : « **ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون** »(1) فما من اصغاء لأعداء الله وما من رضا بطروحهم الا بسبب انعدام الايمان بالآخرة أو ضعفه ومن ثم فعلى الدعاة الى الله التركيز الكامل على قضية الايمان باليوم الآخر ولا يتم ذلك على تمامه وكماله الا بتعلق القلب بالقرآن الكريم لأن الله عز وجل وصف كتابه بقوله : « **وانه لعلم للساعة** »(2) فقد أعاد بعض المفسرين الضمير على القرآن فالقرن علم للساعة وما يكون بعدها فبقدر ما يتلو المسلم كتاب الله حق تلاوته وبقدر ما تزول الحجب عن قلبه تنجلى مرآة قلبه وتنطبع بها قضايا اليوم الآخر ، ولعلنا بهذا المعنى الذى ذكرناه تعرفنا على نقطة ضعف رئيسية من نقاط الضعف عند المسلمين ولا شك أن فيما مضى من هذه الرسالة رأينا كثيرا من نقاط الضعف عندهم ومع ذلك فان الفصل القادم سنخصصه للكلام عن نقاط ضعف أخرى فان تشخيص المرض جزء من العلاج ، وقد تراكمت الأمراض على هذه الأمة حتى وصلت الى ما وصلت اليه يقول عليه السلام : « الخلافة بعدى ثلاثون ثم تكون ملكا عضوضا » ويقول عليه السلام : « تنتقض عرا الاسلام عروة عروة فأولها نقضا الحكم وآخرها الصلاة » وقد كادت الصلاة نفسها فى عصرنا تنتقض ومن ثم فنحن نرث تراكم أمراض القرون ومهمتنا أن نبذل جهدا لاحياء هذا الدين وتجديده وشفاء أهله الذين هم نحن مما هم فيه والأمر صعب ولكن الطريق الطويل يبدأ بخطوة واحدة .

---

(1) الانعام : ١١٣ .　　(2) الزخرف : ٦١ .

وقبل أن نختم هـذا البحث نريد أن ننبه على قضية أخرنا الكلام عنها ليكون آخـر ما يراه القارىء فى هذا الباب وهى :

ان نظاما يلتقى فيه تعمير الأرض مع رفاه الانســان يمكن أن يوجد بمعزل عن دعـوة الأنبياء ، وان نظاما يعطى للانســان أكبر قدر من اللذة على هذه الأرض يمكن أن يكون بمعزل عن دعوة الأنبيــاء ، وان نظاما يمكن أن يحقق للبشرية شهواتها يمكن أن يكون بمعزل عن دعوة الأنبياء ، وان نظاما يمكن أن يحقق لأمة أو لشخص أمجادا وشهرة يمكن أن يكون بمعزل عن دعـوة الأنبياء ، وان قدرا ما من الحـرية والعدل الاجتماعى والسـلام وغير ذلك من معان محبوبة للانســان يمكن أن يتحقق بمعزل عن دعوة الأنبياء ، ولكن هـذا كله بدون دعوة الأنبياء يحتوى فى طياته القلق والحيرة والدمار والخراب على المـدى البعيد ، وهذا كله يعرض الانســان لعقوبات الله عز وجل فى الدنيـا وعقوباته فى الآخـرة ، قال تعالى :

« ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى • قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصـيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها ، وكذلك اليوم تنسى »(١) •

ولذلك نقول : « ان أعداء الأنبياء لا يسيرون بأنفسهم وبغيرهم الا الى الشقاء فى الدنيا والآخرة ولكنهم يجهلون » •

أما دعوة الأنبياء فانها تصـل بالانســان الى الطيبات فى الدنيا وكرامة الله فى الآخـرة فينال الانســان تطلعاته العليا كلها دون خوف من مغبة سابقة أو لاحقة الا خوف الله وحده •

« ألا ان أوليــاء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون »(٢) •

***

---

(١) طه : ١٢٤ ـ ١٢٦ •

(٢) يونس : ٦٢ •

الباب الثالث

الصراع أبدي ولكن أمة الله مريضة

ذكرنا أن دعـوة الأنبياء وحدها هى التى تعطى الجواب الصحيح والحق على كل سـؤال ، وما عـدا هذه الدعـوة اما أن تجيب جوابا قاصرا أو باطلا واذا أجابت فانها لا تجيب الا عن بعض جوانب الحياة البشرية ولا نعنى بالجواب هنا الجواب عما يخضع للتجربة البشرية فهذا نوع من الأجوبة يتوصل اليه الانسـان بمجرد التحليـل والتأمل والمشـاهدة ، وانما نقصـد الجواب على ما تحتاجه النفس البشرية من أنواع الهداية ومن أنواع الأخلاق وما تحتاجه الحياة البشرية من موازين ومعايير وأحكام تقيدها وتربطها وتطلقها فى الاطار الصحيح ، قال تعالى متحدثا عن كتابه الذى هو المجلى لدعوات الأنبياء جميعا وهو المصدر الوحيد للتلقى فى دعـوة الله ودعوة الأنبياء اذ هو الناسخ لكل ما سواه قال تعالى واصفا كتابه : « **ونزلنـا عليك الكتـاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسـلمين** »[1] وقد يستغرب الجاهل كيف يكون القرآن تبيانا لكل شىء مع أن آياته محـدودة ، والجواب أن هذه الآيات المحـدودة فيها معان لا تتناهى ، فمن خلال الآية ومحلها فى السياق ومن خلال السـورة ومحلها فى السياق القرآنى العام تتولد معان تسـع الحياة كلها وقد أبرزنا هـذا مرات فى كتابنا « الأساس فى التفسير » ومع كون المعانى القرآنية لا تتناهى فان القـرآن قد أحال على السنة . والكتاب والسـنة أحالا على الاجماع وعلى القياس ومن ثم فما لا يعرف حكمه فى الكتاب يعرف بالسـنة وما لا يعرف بالسنة يعرف بالاجماع وما لا يعرف بذلك يعرف بالقياس وما لا يعرف بهذا كله فان

---

(١) النحـل : ٨٩ .

هناك روح الشريعة وقواعدها العامة التى دلت على المصالح المرسلة والتى اعتمدت العرف العام الصالح وهكذا تتولد ملايين الأحكام المنبثقة عن الأصلين الثابتين وعلى ضوئهما وهما الكتاب والسنة ومن خلال هذا الذى ذكرناه ندرك حقيقة ثابتة هذه الحقيقة الثابتة أن المسلم لا يرضى أن تسير الحياة البشرية الا منطلقة من الأصلين الكبيرين الكتاب والسنة وما دامت هذه الحياة منطلقة من الكتاب والسنة وعلى ضوئهما وبقيودهما فلا حرج أن يكون اختلاف لأن الاختلاف فى هذه الحالة هو أثر من المرونة فى شريعة الله لتسع هذه الشريعة الزمان والمكان • كما ندرك الحقيقة المقابلة أن المسلم موقفه من كل دعوة أخرى الرفض المتأمل ، الرفض لأنها لم تنبثق عن هدى الله والتأمل خشية أن يكون فيها جانب ايجابى تحدثت فيه دعوة الله عز وجل وشريعته وغفل عنه أهل الاسلام أو بعضهم لسبب من الأسباب •

* * *

هذه الدعوة دعوة الأنبياء يثير أعداء الله عز وجل عليها غبار الشبهات ويحاولون أن يصرفوا الناس عنها بالمجابهة أحيانا وبخداع الشعارات أحيانا أخرى ، والمجابهة ضخمة جدا وغبار الشبهات كثير وكثيف ، وخداع الشعارات رهيب ، والحركة الاسلامية تقاتل وتصارع على جبهات شتى فى كل جانب من هذه الجوانب ، والأمر كبير ويزيد الأمر شدة نقاط الضعف الكثيرة عند المسلمين ولعل هذه الرسالة تساعد كثيرا أو تدفع أو تشفى أو تبصر •

ولنتحدث باختصار عن مجموع ما يقف أمام دعوة الأنبياء عليهم السلام •

(أ) المجابهة : هناك تواطؤ عالمى رهيب ضد انتصار الاسلام السياسى الذى هو المقدمة الطبيعية للنمو الطبيعى للقوة الاسلامية العالمية ، هذا التواطؤ أسبابه كثيرة ذكرنا بعضها فى مقدمة كتابنا « جند الله ثقافة وأخلاقا » والثمرة المرة لهذا التواطؤ هو قطع الطريق بكل الوسائل على الحركة الاسلامية أن تحقق أى انتصار اما باجهاض الانتصارات الاسلامية أو بالتآمر ضد الحركة الاسلامية ، ولعل فى هذه الأمثلة نماذج متعددة على أنواع من هذه المجابهة •

١ — افريقيا من بين القارات كلها تمتلك حيوية جديدة فتية ، وفى قلب افريقيا تقوم دولة ضخمة هى نجيريا التى يبلغ عدد المسلمين

فيها حوالى أربعين مليونا ، وكان على رأس هذه الدولة شخصيتان اسلاميتان عاملتان هما أحمدو بللو وأبو بكر تفاوة ، وبدأ الاسلام فى عهدهما ينمو وينتشر وكان واضحا أن نيجيريا دولة الستين مليونا ستصبح كلها اسلامية وستكون مرتكزا عظيما للاسلام فى قلب افريقيا ، فكان أن قام الانقلاب الأول الذى قتل فيه الرجلان رحمهما الله وغذيت حركة انفصالية ثم كان ما كان وكل ذلك ليحال بين نجيريا وأدائها لدورها الاسلامى .

٢ — كان من أكبر كوارث العصر كارثة تمزق وحدة باكستان الشرقية والغربية فهو تمزق أضعف ولو لمرحلة الاسلام فى كل من الجزأين المنفصلين ، ولا شك أن هذا التمزيق كان وراءه قوى خفية ومخططات عالمية كلها تستهدف الاسلام أولا وتكيد له ، ونتيجة لذلك وجدت على الخارطة دولة « بنجلاديش الشعبية » وفجأة نسمع بانقلاب يقتل به مجيب الرحمن الذى كان رأس عملية الانفصال ثم يعلن فى اليوم الأول عن تغيير اسم الجمهورية الجديدة لتكون جمهورية « بنجلاديش الاسلامية » ثم فى اليوم الثانى أو الثالث يعلن عن العودة الى الاسم القديم ، فلماذا أعلن ابتداء عن تغيير الاسم وسحب الاعلان بعد ذلك ، هل الاعلان كان لكسب تأييد الشعب البنغالى مؤقتا أو أن ضغوطا عالمية حدثت لتغيير الاسم المخيف ؟ وأيا كان الأمر فان ما حدث يريك رغبة حادة عند أطراف كثيرة بأن يحال دون انتصار حتى اسم الاسلام سياسيا .

٣ — من المروج له عالميا أن تعطى الحرية لكل ذى دين فى حمل دينه ، ومن الملاحظ أنه فى أوروبا الغربية كلها تقريبا توجد أحزاب سياسية تحمل اسم المسيحية وقسم كبير منها حكم ولا يزال يحكم ففى ألمانيا الحزب الديمقراطى المسيحى وفى ايطاليا كذلك والديجولية التى حكمت فرنسا ولا تزال تحكمها ، النفس المسيحى واضح فيها وكل ذلك يدل على أن الحرية الدينية لا ينفى وجودها أن يصل الى الحكم حزب يحمل اسم دين معين ، بدليل أن وصول أى حزب من هذه الأحزاب لا يعنى اضطهادا دينيا ، والاسلام هو أول من فرض فكرة عدم الاكراه على الدين ، ومع ذلك أمن المصادفة أنه لا يسمح الآن فى أى مكان فى العالم الاسلامى أن يقوم حزب سياسى باسم

اسلامى ؟ أليس ذلك مظهرا من مظاهر التآمر العجيب غير المعلن عنه ضد الاسلام ؟ .

من هذه النماذج ندرك أن هناك مجابهة لهـذا الاسلام تأخـذ أشكالا شتى هى فى طبيعتها عالمية ولكنها تنفـذ فى كل قطر تقريبـا بأسلوب . والاضطهاد العام أو الفردى يكاد يكون جزءا مشتركا فى هذا الأسلوب واثارة غبار الشبهات واستعمال سلاح خداع الشعارات هما الجزءان الآخران المشتركان .

(ب) اثارة غبار الشـبهات : من الأسلحة الرئيسية التى تستعمل ضد الاسلام اثارة الشبهات حوله فالاسلام عندهم لا يصلح للتطبيق فى هـذا الزمن بدليـل اباحته للرق وبدليـل وجود نظام مثل نظام الجزية فيه ، والاسلام يشكل عامل تفرقة بين أبناء الشـعب الواحد اذ توجد أقليات غير مسلمة فى الأقطار الاسلامية ، والاسلام يحول دون التقدم الحضـارى ، والاسلام ليس فيه خطوط واضحة المعالم للتطبيق المعاصر ، والاسلام غير متفق على فهمه بين المسـلمين ، والمسلمون مختلفون قديما وحديثا وتبنينا الاسلام ينقل كل الخلافات القديمة الى مجتمعنا وهذا جانب من الاسلام فيه مغمز وهـذا جانب فيه مغمز آخـر وآخـرون يقولون ان الأديان كلها باطلة ، وآخـرون يقولون ان الاسلام من المثالية بحيث يصطدم مع الواقعية ، هذا وأمثاله كثير مما يثار من غبار الشـبهات حول التطبيق الاسلامى وكل هذا وأمثاله لا يساوى فى منطق العقـل والعلم والواقع شيئا ولكنه مع ذلك يقال ويروج له ويؤكد ويتبنى كل جزء منه مؤسسات وأحزاب ورجالات كل ذلك ليحال بين دعوة الأنبيـاء وتنسم الانسـانية لعبيرها الجميل ثم يأتى بعدذلك دور خداع الشعارات .

(جـ) خداع الشـعارات : بحكم أن الاسلام فيه اجابة على كل سؤال فما من قضية الا وله فيها كلام ومن جملة ذلك قضايا الحرية والعدالة والمسـاواة والانسانية الواحدة والاخاء العـام ، وغير ذلك من الأمور ، ولكن هـذه الأمور فى المفهوم الاسلامى ذات مضمونات محـددة غير سائبة ولا مائعة الا أن هذه المعانى وغيرها استغلها أعداء الاسلام قديما وحديثا ، اذ أخذوا بعض المعانى ذات الأصول الاسلامية المحددة المعنى وطرحوها معطين اياها مضمونات تبتعد عن الاسلام شيئا فشيئا ناقلين بوساطة ذلك المسـلم من بعد عن الاسـلام الى ما هو أبعد

وهم فى ابتداء الأمر لا يعطون هذه المضمونات الا ما هو سائغ اسلاميا ثم بقدر استسلام الضحية لهم يحرفونه . وهكذا يوجد فى المجتمع الاسلامى تكتلات منفصلة عن جسم الأمة الاسلامية بقياداتها وأهدافها الحقيقية تجتذب وراءها جماهير واسعة غافلة مخدوعة ، نجد ذلك ابتداء فى طروح عبد الله بن سبأ اذ استغل روح الورع الجاهل ليثير النقمة على عثمان رضى الله عنه ثم ليجر المسلمين بعد ذلك الى الفتنة الكبرى التى تستمر آثارها الى هــذا اليوم ، ونجد ذلك فى كثير من الحركات الباطنية التى رفعت لواء محبة آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لتستجر كثيرا من المسلمين الى اعتقادات تقطع الصــلة قطعا نهائيا بالاســلام ونصوصه ولا تظهر قضية خداع الشعارات كما تظهر فى عصرنا ابتــداء بالطروح المــاسونية وانتهاء بالطروح الحزبية السياسية ، فقد طرح المــاسون شعار الحرية والاخاء والمساواة وهو شعار للاسلام حكمه المحــدد فيه ومضموناته الخاصة فيه ، ولكن المــاسون طرحوه ابتداء على أنه لا يتنافى مع الاســلام ثم أخذوا يعطونه المضمونات التى يريدونها والتى تختلف من انســان لانســان بحيث استطاعوا من خلال خداع الشعارات هــذا أن يوجدوا تيارا لا اسلاميا قويا استطاعوا من خلاله أن يقودوا الدولة العثمانية وأن يضعفوا الاسلام اضعافا كبيرا ، والشىء نفسه حدث اذ استغلت أطراف متعددة قضية حب الوطن وحب القوم وحب الوحــدة وحب التســامح ليطرحوا شعارات من خلالها ينقلون المســلم من طور الى طور ليوجدوا فى النهاية تيارات تحارب الاسلام أو تقطع الطريق على انتصــاره السياسى أو تفقده التكامل الواقعى والتطبيقى ولو أن المسلمين عقلوا نقطة واحدة فى الاسلام وهى عدم اعطــاء الثقة والطاعة لغير المسلم لمــا استجروا لمــا استجروا اليه ، ولو أن المسلمين عقلوا ما أدبهم به الله عز وجل بقوله : « **يا أيها الذين آمنــوا لا تقــولوا راعنا وقولوا انظرنا** »(١) لو أنهم عقــلوا هذا لعرفوا أنه لا يصــلح لهم أن ينســاقوا وراء أى طرح يطرحه غير مسلم ملتزم بالاسلام وهذا يجرنا الى الكلام عن النقطة الرابعة الخطيرة المعاصرة فى موضوع المــد الاسلامى وهى نقاط الضعف عند المسلمين .

---

(١) البقــرة : ١٠٤ .

(د) نقاط الضعف عند المسلمين : انه لولا نقاط الضعف عند المسلمين لما كان لمجابهة الاسلام كبير قيمة ولا لغبار الشبهات ولا لخداع الشعارات ولكن نقاط الضعف عند المسلمين هى التى أعطت هذه الأشياء مداها الذى أراده لها أصحابها •

من هذه النقاط جهل كثير من المسلمين بالاسلام وهى أهم قضية على الاطلاق ومنها ضعف الوعى عند الكثير من المسلمين ومنها قصور النظر ومنها الرغبة فى الدنيا والزهد فى الآخرة ومنها ضعف السلوك الاسلامى والاغراق بالشهوات ومنها التخلف المدنى عند المسلمين وغير ذلك كثير ، كل ذلك أعطى أعداء الاسلام فرصة كبيرة للنجاح ، نجاحهم فى التضليل ونجاحهم فى محاولاتهم أن يجهضوا الحركة الاسلامية ، ونجاحهم فى تفتيت المجتمعات الاسلامية ونجاحهم فى صرف المسلم عن حقيقة الصراع الحق الخالد الى أنواع من الصراع لا تتفق مع مهمة المسلم فى هذا الوجود •

واذا كان هذا كله مرتبطا مع مرض الأمة الاسلامية بسبب ، واذا كان هذا مكمن الداء الأول وهو مرض الأمة الاسلامية فلابد من حديث طويل عنه •

❋ ❋ ❋

ان أمة الأنبياء مريضة ومن ثم فدعوة الأنبياء فى خطر أى الانسانية كلها بكل قيمها الخالدة فى خطر • ان أمة الاسلام مريضة فى الوقت الذى يتجمع فيه بيد أعداء الأنبياء من وسائل العمل والقوة ومن وسائل التضليل ما لم يوجد فى زمن مضى ، وكل وسائل القوة والتضليل تستعمل ضد بعضها بعضا ولكنها كلها متجهة الينا ، وبدلا من أن نكون غازين أصبحنا مغزوين ، وبدلا من أن يقف المسلم فى الصف المقابل لأعداء الأنبياء اذا هو فى الصف مع أعداء الأنبياء اما لأنه ارتد واما لأنه قد خدع عن موقعه الرئيسى وبدلا من أن يقوم المسلم كما قال ابراهيم اذ حضه الله على ذلك : « **قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده** »(1) أن المسلم بدلا من أن يكون هذا موقعه

(1) الممتحنة : ٤ •

أصبح فى موقع الكافرين أنفسهم . وان المسلم بدلا من أن يعى حقيقة معركة الكفر معه وبدلا من أن يعى أن الكفر لا يمكن أن يتركه أبدا كما قال تعالى : « **ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا** »(١) ان المسلم بدلا من أن يعى هذه المعانى أصبح لا يدع وسيلة الا سلكها ليتقرب الى الكفر وكتله وحكوماته وهى التى تفعل به ما تفعل وهى التى تخطط له ما تخطط وهى التى تكيد له ما تكيد وهى التى كتبت فى تاريخ اذلال هذه الأمة من الصفحات السود خلال مرحلة الاستعمار وما بعدها ما لا يصح أن يغيب عن عقل مسلم ولا عن قلبه ، ان مرض الأمة الاسلامية هو علة هذا الكون وهو سبب فساد هذا العالم أو سبب استفحال هذا الفساد قال تعالى : « **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض** »(٢) .. « **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا** »(٣) ههنا مكمن الداء فاذا لم ترفع أمة الأنبياء لواء الأنبياء وتجابه أعداء الأنبياء فمن يرفع اللواء ؟! واذا كان هذا هو لب القضية فيمكن الحديث مطولا عن أمراض هذه الأمة .

ان ما عليه وضع الأمة الاسلامية بشعوبها كلها هو وضع مرضى شامل يبلغ أعماق النفوس ، هذا الوضع المرضى لم تصل اليه الأمة الاسلامية دفعة واحدة بل جاء على مدى طويل والعوامل المؤثرة فيه لم تكن عوامل واحدة بل هى عوامل كثيرة منها الداخلى ومنها الخارجى وعلى كل فالأمراض كثيرة وموجودة وتحتاج الى علاج بصرف النظر عن أسبابها .

ولنبدأ استعراض بعض الأمراض مع ملاحظة أننا فى كتابنا « جند الله ثقافة وأخلاقا » قد تحدثنا فى القسمين الأول والثانى منه ما يمس هذا الجانب مما يقتضيه موضوع الكتاب ذاك وههنا سنبرز أمراضا يقتضيها سياق الكتاب هنا فلنبدأ :

١ — **الألفة الغافلة** : من طبيعة الانسان أن يفقد الشعور بالروعة والجلال والابداع كلما زادت ألفته للأشياء ، فبينما تبهره أشياء صغيرة لأنه يراها لأول مرة يفقد انبهاره بأكبر الأشياء لأنه اعتاد أن

---

(١) البقرة : ٢١٧ . (٢) البقرة : ٢٥١ .
(٣) الحج : ٤٠ .

يراها ، فتراه مثلا يستشعر الروعة لخفة يد ساحر أو يستشعر الروعة أمام رؤية جمال جديد بينما لا يستشعر روعة ما ألف رؤيته ، ومن ثم تجـد الانسـان لا يستشعر روعة السموات والأرض ولا تجده يستشعر روعة أجزاء هـذا الكون من شمس وقمر وسماء وأرض لكونه ألف رؤية هذه الأشياء ، ان الألفة الغافلة تفقـد صاحبها الشعور بالروعة والعظمة والابداع ، ومن ثم يفقـد الانسـان كذلك ملكة البنـاء الفكرى الحق على هذا فبينما يضحك الانسان كثيرا اذا قلت له : ان ساعة يد قد وجدت مصادفة بلا مصنع ولا آلة ولا انسـان ولا مواد أولية تجـده يقبل أن يقرر أن يكون هذا الكون كله بمجراته وشموسه وأرضه وأقماره وأحيائه قد وجد مصادفة ، وبينما تجـده يفكر فى أن يكافىء على أقل احسان يقدمه اليه الآخرون تجده لا يفكر اطلاقا فى مقابلة النعم الكثيرة الظاهرة والباطنة التى ألفت التمتع بها بحكم مركزه كانسان فى هذا الكون وبينما يخشى من عقوبة الدولة اذا تصرف تصرفا ما يخرق به قانونا تجده لا يأبه للتصرفات التى يخرق بها أوامر الله عز وجل . ان الألفة الغافلة للكون وما فيه أفقدت الانسان الغافل الشعور بالروعة وأفقدته البناء الصحيح على ما يقتضيه القانون العقلى البديهى .

وما يقال فى شأن الكون يقال فى شأن الاسلام ، فالمعـانى الاسلامية على روعتها التى تدهش العقل ان فى جمالها أو تناسـقها أو وحدتها وعدم تناقضها أو ارتباط مقدماتها بنتائجها أو بالثمار الحلوة التى تترتب عليها ان الاسـلام مع هـذا كله قد أصبح مألوفا ونتيجة لذلك فان الألفة الغافلة قد أفقدت أبناء المسلمين الكثير من الشـعور بروعته ولكون الانسـان بطبيعته يحب التجـديد وينبهر بالجديد ويحب أن يظهر بمظهر المتميز فانك تجـد أن اجتماع الألفة الغافلة مع هذه الطبائع البشرية جعل الكثير من المسـلمين يتخلى عن الاسـلام ويتبنى الأفكار التى هى وليدة المجتمع الكافر أو الفكر الكافر ونحترس هنا فنقول : ان الأحكام التجريبية التى يتوصـل اليها الانسـان بمجرد التجربة والأحكام التى هى من باب معرفة قوانين الكون هذه قضـايا اسلامية سـواء عثر عليها كافر أو مسـلم لأن الاسلام فتح بابهـا أو أمر بفتح أبوابها ومغاليقها ، وما كان من باب الاداريات التى تخدم مصلحة الانسـان الحقيقية فهذه ليست حكرا على مجتمع ، وانما كلامنا وملاحظاتنا على التبنى للفكر الكافر أو المنبثق عن المجتمع الكافر .

ان أبناء المسلمين أعمتهم الألفة الغافلة وبهرتهم الزخارف المبهرجة الكاذبة وتوجهت أبصارهم الى التبنى للفكر الغريب او الهجين وان كان غلطا •

* * *

ومن المفروض والبديهى أن يعالج مرض الألفة الغافلة ان فى شأن الكون أو الاسلام بما يزيله من تذكير أو مقارنة أو بيان المثالب أو التبصير بالآثار الخطيرة التى تترتب على مثل هذا التبنى •

ومن المفروض والبديهى أن يقابل هذا الوافد الغريب أو الهجين بما يكافئه فكرا أو نثرا أو شعرا وتنظيما وتكتيكا واستراتيجية وأن يقابل العمل الجماعى بمثله وأنضج منه ، والعمل التعليمى بمثله وأرقى منه •

غير أن هذا كله لم يكن وان كان فلم يكن على ما ينبغى ، وان وجد بعضه على ما ينبغى قطع عليه الطريق بأساليب متعددة ونحن هنا فى معرض الاجمال ولسنا فى معرض تفصيل ومن ثم فلا نتوسع ولنستمر فى عرض بعض الأمراض •

٢ ــ الفرار من العمل السياسى : يغلب على المتدينين المسلمين معنى الفرار من العمل السياسى وكأن السياسة رجس يجب الفرار منه ، وهذا شىء فى غاية الغرابة اذ يعنى هذا المعنى أن المسلمين يسلمون للكافرين والمنافقين أن تكون لهم القيادة السياسية وهذا وحده نوع ضلال اذ كيف تكون كلمة الله هى العليا اذا لم يكن للمسلمين القيادة بالاسلام ، والملاحظ أن هؤلاء المتدينين يفرون من العمل السياسى ومن السياسة ثم يرضى الكثير منهم أن يكون أداة تنفيذ للقيادات السياسية الكافرة والمنافقة يقول ما أمروه به ولو كان به خراب الاسلام وتفكير المسلمين والحقيقة أن بعد المسلمين عن العمل السياسى سيؤدى بشكل حتمى الى أن يكونوا أداة تنفيذ بيد السلطة الكافرة وقد تزج بهم السلطة الكافرة ليقتلوا أنفسهم أو يقتلوا اخوانهم المسلمين وتفرض عليهم مع ذلك أن يسبحوا بحمدها • ان مجرد التأمل لهذه المعانى كاف لتبيان الخطل الكبير الذى يقع به المسلمون عندما يفرون من العمل السياسى والسياسة •

ولكن الأمر أوسع من ذلك :

فالعمل السياسى فى عصرنا لم يعد عملا سهلا بل هو من أشق الأمور وأكثرها احتياجا للعلم والوعى والقدرة على التحليل والتخطيط

واتخاذ المواقف السريعة السليمة وهذا لا يتأتى بدون ممارسة ومتابعة • فالبعد عن العمل السياسى يعنى بقاء المسلمين فى حالة عجز وعقم سياسيين وبالتالى يكونون محلا لتنفيذ ما يراد بهم من الشر دون أن تكون لهم القدرة حتى على معرفة ما يراد بهم وأين هذا الوضع والحال من قوله تعالى : **« وآذا جاءهم أمر من آلأمن أو الخوف أذاعوا به ، ولو ردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه آلذين يستنبطونه منهم »**(١) ان هذه الآية تدل على أن أولى الأمر من المسلمين يملكون القدرة على التحليل والتعليل لكل ما يجرى من أمر سلم أو حرب وهذا يعنى أن المجتمع الاسلامى يجب أن توجد فى قمته طبقة هى فى غاية النضج السياسى فما ندرى من أين يأخذ هؤلاء المتدينون مفاهيمهم ؟ •

ان هناك رغبة عاتية فى العالم لجعل المسلم يتخلى عن السياسة لغيره وان هؤلاء المتدينين يعطون للكفر ما يريد اختيارا وطوعا •

ان الدولة المعاصرة تعتبر أن من حقها أن تتدخل فى الصغيرة والكبيرة من شئون الحياة فعندما تكون الدولة للكافرين والمنافقين فان هذا يعنى أن يسير هؤلاء الناس الى كل أودية جهنم فيقضون على عقائدنا وعباداتنا ومناهج حياتنا وشرفنا وعرضنا فليتق الله هؤلاء الذين يدعون المسلمين الى التخلى عن العمل السياسى والسياسة •

ان الاسلام يطلب من المسلم أن يعمل لاقامة دولة الاسلام العالمية **« وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله »**(٢) • فهل هذا ممكن التحقيق دون قدرات على العمل السياسى والفهم السياسى والتحليل السياسى واتخاذ القرار السياسى على كل مستوى من المستويات وبالشكل المكافىء لمنطق العصر ؟ الا أنه مرض من أمراضنا وعلينا أن نتجاوزه •

٣ — آمال كبيرة وأعمال غير مكافئة وتقدير خاطىء : قد لا نجد أمة من الأمم كأمتنا فى عظيم آمالها وضخامة رغباتها فى تطلعاتها كأمة أو فى تطلعات أفرادها وذلك أثر من آثار الثقة المطلقة التى ربى عليها الاسلام أبناءه وقد ضعف الاسلام فى قلوب شعوب الأمة الاسلامية ، ولكن الآمال الكبيرة والتطلعات الضخمة ما زالت فى الأنفس قائمة ، ومن ثم فان مجموع شعوبنا ومنها الشعب العربى تلمس

---

(١) النساء : ٨٣ •　　(٢) الأنفال : ٣٩ •

عنده هــذه الظاهرة سعة الآمال وضخامة الرغبات تحس بذلك بوضوح عند كل فــرد على حدة فهو يحلم بقضايا نفسه وبقضايا أمته بكل ما هو جليل وعظيم وكبير ، وهــذا كله لا اعتراض عليه فان ضخامة الآمال تعبر عن عظمة فى الأنفس ولكن الشىء العجيب الغريب أن نجد الآمال هــذه لا يرافقها تقدير صحيح لاحتياجات تحقيقها ولا يرافقها عمل مكافىء ومن ثم تبقى كأحلام الأطفال ، ان بنــاء بيت ذى خصائص معينة يحتاج الى حسابات والى تقديرات والى معرفة الامكانيات ثم الى العمل المتواصل المكافىء لحجم البنــاء فى الزمن المراد تحقيقه ولكنا شعب كل منا يريد أن يكون رئيســا دون أن يعــرف مقومات ذلك وأن يبذل جهــدا مكافئا لمــا يريد وكل منا يريد أن يحقق النظام السياسى النموذجى والمريح لقطره ولكن دون أن يعــرف طريق ذلك وأن يبذل جهــدا مكافئا له ، وهكذا نجد تطلعات عظيمة وآمالا كبيرة ورغبات ضخمة ولا نجــد ما يقابلها الا عــدما أو أعمالا صغيرة غير مكافئة وأحيانا ينقلب الأمر عكسيا فيكون الانتقال من مرض الى مرض وذلك عندما يدرك بعض الناس حقائق الاحتياجات الكثيرة لتحقيق الآمال فيرون ضخامتها فتبهرهم ومن ثم ييأسون وييئســون وأحيانا يظهر المرض بشكل آخر •

شعور بالآمال العراض ورغبة فى الأعمال المكافئة وعجــز عن هذه الأعمــال الكبيرة المكافئة ومن ثم عزوف حتى عما يمكن فعله من أعمال صغيرة جزئية توصــل الى الهدف شيئا فشيئا ومن ثم فلا وصول لا على المدى القريب ولا على المدى البعيد •

وكان المفروض أن يقابل هــذا من القيادات السياسية والتربوية للأمة بما يزيله من خلال التوعية والتبصير والتكليف المنتج البنــاء • ولكن هــذه القيادات اما أنها مصابة بالمرض نفســه أو هى راغبة فى التضــليل لتصــل الى مركز الزعامة أو لتحافظ عليه من خلال دغدغة مشــاعر وآمال الشعوب مع معرفتها بصعوبة التحقيق وعدم تسيير الشعوب بالطريق الصحيح أو غير ذلك من الأسباب وهكذا تبقى الآمال فى محلها والأمور فى محلها والشــعوب فى محلها أو تتراجع •

٤ ــ **العقلية الفردية والنفســية والفردية** : ان القدرة على الحياة الجماعية وعلى الكون جزءا من جماعة أو أمة هى نوع من النمــو فى الذات والعقــل لأن الحياة الجماعية لا يمكن وجودها واستمرارها

الا بنوع من النضج خاص والا بقيود وضوابط صالحة ، بينما العقلية الفردية والنفسية الفردية تعبران عن ضمور فى الذات وتربيتها وقصور فى العقل والعلم ومن ثم عدم التلاؤم مع الضوابط والقيود الصالحة .

ان الطفل فى مرحلة ابتدائية جـدا غير قادر على اللعب المشترك مع الأطفال الآخرين فاذا نمـا قليلا نمت معه القدرة على اللعب الجماعى ، فالقـدرة على اللعب الجماعى نوع من النضج والنمـو فى العقل والذات والنفس ولكن كثيرين يكبرون وهم فى الحياة الاجتماعية أطفال صغار ومن ثم فهم يفقـدون ملكة الحياة الجماعية والتلاؤم معها ويجهلون احتياجات ذلك . ان الاسـلام ربى المسـلم على الحياة الجماعية ووضع له كل الضوابط والقيود لتبقى الحياة الاجتماعية نظيفة والحياة الجماعية ممكنة ومنضبطة قال عليه السلام : « يد الله على الجماعة ومن شذ شذ فى النار » .. « أن تلزم جماعة المسـلمين وأمامهم » ولكن كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجمـاعة بين حالات استحالة الحياة الجماعية : « اذا رأيت شـحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك نفسك » وعندما ندرس الحديث الأخير نجد أن تعـذر الحياة الجماعية انمـا يكون عند نمو العقلية الفردية والنفسية الفردية ومظاهر ذلك البخل واتباع الأهواء وايثار المصـالح والاعجاب بالرأى وهـذه الأشياء الأربعة تنبثق عنها كل جوانب الخلل فى الحياة الاجتماعية والحيـاة الجماعية . فالاعجاب بالرأى تنبثق عنه النزعات الديكتاتورية اذا وجدت لها متنفسـا ووجد أصحابها القوة التى تنفذ ما يريدون وعند ذلك تكون الكوارث لا نهاية لها والأخطـاء لا حدود لها والاعجـاب بالرأى يستحيل مع الشـورى اذ الشـورى تعنى الخضوع للرأى الأمثل ولو على حساب الرأى الشخصى .

وايثار المصـالح الفردية ينبثق عنه كل ما يهدم الحيـاة الاجتماعية والحياة الجماعية من خيانة وغدر ونكث للعهود وتخل عن المبـادىء وتضحية بالأمة والجماعة والوطن وتخل عن الواجبات ، وكيف تبقى حياة جماعية أو توجد مع وجود مثل هذا .

واتباع الأهواء ينبثق عنه فقـدان الضوابط والقيود ومتى فقدت الضوابط والحدود لم يبق قرار على شىء ولا استقرار على شىء وما عاد أحد يضبط أحدا أو يستطيع الوصول معه الى قرار سليم .

وطاعة الانســـان شح نفسه يفقـــد الحياة الاجتماعية التعاطف والرحمة وعواطف الأخـــوة العليا ويضعف وشائج الصلات الاجتماعية وبوجود ذلك تصبح الحياة الاجتماعية متعذرة •

واذا تأملت واقع الحياة تجد من حولك وحتى الذين عندهم نوع من التطبيق الاســـلامى وبقية من الايمـــان بالاسلام نامية عندهم أمثال هذه المعـــانى التى تعنى بشكل واضح أن العقلية الفردية والنفسية الفردية ناميتان نموا مريضـــا على حساب الحياة الجماعية • ومن ثم لا تجـــد فى هذه الأمة الآن عملا جماعيا قابلا للنمو والاستقرار الا قليلا ، فالانقسامات فى الحركات السياسية لا تنتهى وحتى فى الجناح الواحد لا تجـــد الا ديكتاتورية وعبودية ، والانقسامات فى أى وضع جماعى لا تتناهى نتيجة للخلل فى التربية الجماعية ، ونتيجة لذلك كله تجد طاقات الأمة مبعثرة بل متصادمة مع بعضها والسلبية عند الأكثر هى الأساس وكيف تتطـــور أمة نحو الأحسن وهذا وضعها والحل الوحيد لهـــذا كله هو تعميق معنى الشـــورى الاسلامية الى أقصى الحدود واعطاء الطاعة لأهلها ممن قدمتهم الشورى • وبدون شورى وطاعة ضمن ضوابطهما الاسلامية وأخلاقهما التى تحيط بهما فلا علاج كاملا أصلا للعقلية الفردية والنفسية الفردية • صحيح أن أممـــا فى هـــذا العالم يقـــوم فيها عمل جماعى ولكنه اما مفروض بالقوة واما فى جانب على حساب جانب واما أنه عمل جماعى محدود ببواعث الهوى والشـــهوة وذلك شىء لا يعتبر نموذجا لمـــا نريده للحيـــاة الجماعية •

ان الشورى الاسلامية خلق يقوم بين مجموعة أخلاق هى خصائص الجماعة المســـلمة فلابد من استكمالها كلها واعطائها مع الشـــورى أمداءها ، وقد مرت معنا أثناء الكلام عن البديهيات •

وكل نبى بعث بالتقوى والطاعة « **فاتقـــوا الله وأطيعـــــــون** »(١) ولكنها الطاعة للقيـــادة الراشـــدة « **ولا تطيعـــوا أمر المسرفين** »(٢) والقيادة الراشدة اما قيادة رســـولية نبوية أعطيت حق الطاعة من الله عز وجل واما قيـــادة راشدة منبعثة عن شورى المسلمين الحقيقيين ومتوافرة فيها خصائص القيادة • « **فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو**

---

(١) آل عمران : ٥٠ •   (٢) الشعراء : ١٥١ •

كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر ، فاذا عزمت فتوكل على الله ، ان الله يحب المتوكلين »(١) .

٥ — الاستجابة للهجوم والخوف منه : ان الأمة الناضجة هى التى تتخذ قرارها المناسب دون خوف أو وجل والأمة الناضجة هى الأمة التى لا تسير الا ضمن قناعاتها المطلقة والصحيحة والفرد السليم فى أمة هو الذى يعرف القرار المناسب ويتبناه ولا يلتفت بعد ذلك الى شىء ، وقد ربى الله عز وجل المسلمين على ذلك فقال : « **يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم** »(٢) والعجيب فيما نحن فيه أنك تجد الاسلام محل هجوم والمسلمين محل هجوم أيضا داخليا وخارجيا وليس هذا بمستغرب بل هى طبيعة العصر ، وانما المستغرب أن تجد جرأة كل عدو لله أن يهاجم الاسلام والمسلمين وأن تجد الاستجابة لهذا الهجوم والفرار من كل موقع يحتله هؤلاء المهاجمون ومن نماذج ذلك :

(١) الهجوم على الاسلام على أنه غير تقدمى وأن المسلمين غير تقدميين ما لم ينخرطوا فى الاتجاهات الخاطئة الكافرة وتجد الاستجابة لهذا الهجوم اذ تجد كثيرين من المسلمين حتى المصلين يفرون من هذه التهمة فرارا عجيبا ومن ثم يحاولون أن يبرهنوا على أنهم تقدميون بالانسلاخ من جلودهم ومثل هذه الاستجابة لا نهاية لها اذ كل موقع ينقل الى موقع أقل حتى لا يبقى اسلام ولا أخلاق ولا مروءة .

(٢) الهجوم على العمل السياسى الاسلامى واتهام أصحابه ليفر المسلم من كل عمل سياسى وهذا يعنى تلقائيا أن يعطى غير المسلمين الحقيقيين حق الحكم كما رأينا من قبل ، وهذا يعنى تلقائيا تغيب الاسلام نهائيا عن الحياة وأحيانا تأخذ القضية طابعا مضحكا اذ تجد أن تحركا سياسيا ما اذا فعله المسلمون يسمى خيانة ورجعية واذا فعله الآخرون يسمى وطنية وتقدمية والمساكين المسلمون كثيرا ما تسرى عليهم الخدعة .

(٣) الهجوم على استعمال القوة عند المسلمين واتهامهم بآلاف التهم فى الوقت الذى يستعمل فيه العالم كله السلاح ضدهم وفى الوقت الذى تقوم كل التكتلات السياسية على أرضهم على أساس مسلح .

---

(١) آل عمران : ١٥٩ .   (٢) المائدة : ٥٤

والمســـلمون وحدهم هم المستهدفون والمضطهدون وهم المتهمون بأنهم ارهابيون ، وتبقى الخطوط المتوازية نامية والمسلمون ارهابيون والمسلمون مستذلون ، والمســـلمون حتى لا يقال عنهم ارهابيون يبقون بمعـــزل عن أى قوة ومن ثم فهم يتعرضون للفناء أو لفنـــاء الاســـلام فاما أن يقاتلوا تحت رايات أخـــرى أو يذبحوا • ولو أنهم قاتلوا تحت رايات أخرى كجزء من تخطيط عام لكان الأمر يحتاج الى بحث ولكنهم يتركون اسلامهم لرايات أخـــرى استجابة للهجوم ومن ثم تجد نقطة الضعف هذه عند المســـلمين تؤدى بهم الى كوارث وتراجعات لا نهاية لها الا اذا حزم المســـلمون أمرهم وعرفوا كيف يتصرفون •

٦ — **مطالبة بالحقوق ونسيان للواجبات :** اننا نعانى ضياعا رهيبا فى الشعور بالمسئولية سواء أكانت مسئوليتنا تجاه ربنا عز وجل أو مسئوليتنا تجاه خلقه وفى الوقت نفسه تجد مطالبة حادة بالحقـــوق التى هى حقوق بالفعل أو هى حقوق متوهمة ، وهو مرض استشرى فى جانبيه وعندما يستشرى هذان المرضـــان فالصلة بين الأمة وبين كل كمال تكاد تنعدم ومن مظاهر هذين المرضين :

انك تجد الجهد العملى للموظف يكاد يكون معدوما بل تجده يحاول أن يضيع أكبر قـــدر ممكن من وقت العمـــل بما ليس من جنس العمل وأنك تجـــد الكلمة غير المســـئولة هى الغالبة على كل موظف دون تفكير بما يترتب عليها من آلام للآخرين فقد تجد انســـانا يأتى من مسافة طويلة ليتابع قضية والقضية عند موظف يستغرق تسييرها بضـــع دقائق ومع ذلك لا يكلف نفسه أى جهد ويماطل صاحب القضية بقضيته الى آماد خســـارتها فى الوقت والمـــال كبيرة دون أى احساس بآلام الآخرين •

وانك تجد الاهمـــال فى كل شىء مهما ترتب على ذلك من آلام للآخـــرين • اهمال المريض وهو يتألم ، واهمال المرض وهو يستشرى واهمال قضايا الأمة حتى تستفحل • ونتيجة لهـــذا كله تجد استشراء الرشـــوة وما يترتب على ذلك من آثار من سآمة الأمين وازدياد الخيانة •

ومن مظاهر المرض أن أخطـــر القضايا لا يتكلف لها أحد ما تقتضيه من بحث وأخطـــر المواضيع لا يتصـــدى لها أحد حق التصدى ، ومع هـــذا كله تجد الثناء الرخيص والرغبة فيه وتجـــد بيع الضمير

والوجدان على أشــده وتجد استعداد الانســان لأن يبيع قناعاته كلها فى مقابل متاع قليل على أخسه وأدناه .

وكما ان هــذا يكون على مستويات محلية فانه يجــرى على مستويات عالمية وفى مقابل هــذا كله تجد صراخ الجميع محليــا وعالميا فى المطالبة بالحقوق العقلية أو المتوهمة وانفعالا فى المطالبة بهــا ولا شك أن أمة ما لا تمــوت ما دامت تطالب بحقوقها ولكن عندما يصبح ما هو حق مطالبا به ولا يبذل أى ثمن للوصــول اليه ولا يؤدى الواجب الذى تقتضيه عملية الوصول الى الحق فان الحق يستحيل الوصول اليه وأمة مع هــذا كله يصعب أن تحترم .

٧ — **فقدان روح المتــابعة والدأب :** فى كل شىء تجــد خطوة الى الأمام ثم سكونا أو مراوحة أو خطوة الى الأمام بعــدها خطوة أو خطوتان الى الوراء ، وكثيرا ما يحدث نتيجة لذلك أن تحقق نصرا صغيرا يتلوه خذلان كبير ، فقد تجدنا عملنــا لنربح كلمة نســجلها فى قرارات مؤتمر وذلك طيب ولكن هذا النجاح يثير أعداءنا فيعملون ليلا ونهارا لانهاء هــذا الفوز ويعملون لنخسر شيئا كبيرا ونحن فى الغالب نبقى ساكتين فرحين بعــد تسجيل النجاح فلا نتابع ولا نخطط لتفويت كيد العــدو ولا لضرب مخططاته .

وتجدنا ســجلنا فوزا سياسيا فى قضية ما ثم نقف ونسكن ويأتى غيرنا ليربح هــذا الفوز ويدعيه ويبنى عليه ويجعــله علينا بدلا من أن يكون لنا .

وتجدنا نربح انســانا لقضيتنا وبدلا من أن نفجــر طاقاته فى هذا السبيل نهمله ليأتى غيرنا فيفجــر طاقاته فى طريق خاطىء ، وهذه نماذج على هذا المرض وما يمكن أن يقال فيه كثير وهو مرض عام أصيبت به الأمة سواء فى ذلك مسلمها أو مرتدها ، والأمة اذا مرضت لا يسلم من مرضها الا القليل . والأسباب الحقيقية لهذا المرض هى :

(١) فقدان روح المتابعة .

(٢) الخلل فى الرؤية البعيدة التى على ضوئها يكون الســير المنتظم .

(٣) وذلك كله مرجعه الى ضعف القيادات وعدم جدارتها .

٨ — **الغوغائية فى القــرار السياسى :** فى عالم السياسة كما فى عالم الحرب للمناورة دور كبير فى ربح جولة ما . ولئن كان هــذا فى

عصر مضى شيئا ضروريا فانه فى عصرنا أشـــد ضرورة ، ولا يستطيع أحد أن يناور سياسيا الا اذا كان يملك الثقة المطلقة من أمته وشعبه ، ولمــا كانت الأنظمة فى المنطقة غير منبثقة انبثاقا صحيحا عن شعوبها ولا أفرادها محل ثقة من أمتهم فانهم لا يستطيعون المنــاورة على العــدو بل قدرتهم كلها منصبة على المناورة على شـــعوبهم ومن ثم فانك تجد سلسلة من الأغلاط كلهــا قاتل وكلهــا مميت ، فالقدرة على المناورة على العــدو معدومة والعــدو دائما يملك مجالات واسعة فى المناورة والعمل وهذا كله على مستوى عام قائم وهو عند الاســلاميين فى داخل أقطارهم مع غيرهم قائم ، فالثقة دائمــا أضعف من القــدرة على حرية المناورة لضعف التربية وانعــدام النظام الذى تنبثق عنه القيادات التى هى محل الثقة وحيثما انعدمت الثقة انعدمت حرية المنــاورة السياسية وحيثما انعدمت حرية المناورة السياسية وجدت الغوغائية فى القرار السياسى ، ومتى وجدت الغوغائية فى القرار السياسى فالانتكاسات السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصــادية تتلاحق تلاحقا كبيرا ومن ثم فالحــركات والحكومات لا تسير الا فى طريق الانتكاســات المتلاحقة .

٩ ــ **تخريب اللاحق عمل الســابق :** عندما يكون العــالم يبدأ عند الانســان من « الأنا » وعندما تكون بداية التاريخ هى الأنا الجماعى أو الأنا الفــردى تكون المســألة فى غاية الحماقة هذه الحماقة الكبرى تجــدها تتكرر كل مرة على أرضنا وفى شعوبنا فكل نظــام يأتى يعتبر نفســه بداية تاريخ هذه الأمة وكل حاكم يحكم يعتبر نفسه محــور الوجود وقطب دائرة الأحداث وبخط قلم يلغى كل شىء وبكلام ضالع فى الأنانية المفرطة يســفه المــاضى كله ويقلل من قيمة أمجاده ثم ينتهى هــذا النظام ليبدأ الدور من جديد وتتكرر الحماقة ، وهكذا لا تجــد بناء يتم ولا دولة تقام فالتخريب لكل ما سبق سمة تتكرر عند وجود كل نظــام جديد ، يظهر هــذا فى بعض الأقطار بشكل أبرز وأقوى حتى انك لتجــد بعض الأنظمة تنفق الملايين لانشــاء ملاكات جيش قوى ثم تجــد هذه الملاكات تسرح جيلا بعد جيل كلما وجد نظام جديد . ومرجع ذلك كله الى مجموعة من الأمراض العقيمة المستشرية :

(أ) البحث عن الجديد وازدراء القديم : فقد تعاونت مجمــوعة

من الأمور التى خطط لها بدقة واحكام أو التى هى من عدوى العصر لتوجد أجيالا فى الأمة الاسلامية لا تعرف شيئا عن تراثها وتشعر بعقدة النقص منه ومن ثم فهى تبقى دائما متطلعة الى شىء تعتبره مفقـــودا ويستغل كل طامح وكل طامع وكل مغامر هذه الروح والحصيلة هى التخريب الذى يعقبه اليأس •

(ب) المزايدات فى السلب والايجاب فى الظاهر والباطن : وهى قضية مبكية مضحكة فى آن واحــد ومن ثم فلنســجلها بشىء من الايضـــاح • أصبح معروفا لدى كل الذين يعملون فى الحقل السياسى أن أنظمة العالم الثالث تصنع غالبــا فى الخارج تصنعها الدول الكبرى وأصبح الطامعون والطامحون يعــرفون أن مفتاح الوصول الى الحكم هو العمالة أو التفاهم مع جهة خارجية وبالتــالى فان الذين يرغبون أن يسقطوا نظاما من الأنظمة داخل أقطارهم ، عليهم اذا أرادوا أن يتفاهموا مع دولة خارجية على هــذا الاسقاط أن يقــدموا تنازلات لهذه الدولة من داخل أقطارهم فى مقابل مســاعدتهم وهكذا يأتى كل نظام أســوأ من الذى قبله وأقــوى ضلوعا فى العمالة والخيانة • وبالاتفاق مع هذه الدولة فان كل نظام جديد يأتى ويطرح شــعارات غاية فى المزايدات والعنجهيات للتصــدير المحلى وللضحك على الشعوب • والآثار التخريبية لهــذا كل شىء رهيب فى حياة الأمة ، ولا يعنى هــذا أنه لا توجد استثناءات من هــذه القاعدة ولكنها استثناءات لا ينبغى أن نتغافل كثيرا عن حجمها ، وبمناسبة الكلام عن المزايدات فى السلب والايجاب نستطرد فنذكر أن الخلافات الكثيرة بين الأنظمة فى الدول العربية والاسلامية تجعل هذه الأنظمة مضطــرة لتقديم أكبر التنازلات الخفية فى الخارج والتظاهر بأكثر صور العنجهية فى الداخل ، وآثار ذلك فى التخريب لا تخفى •

(ج) والسبب الرئيسى فى الحقيقة لهــذا كله هو الضياع عن النظام المناسب فالنظام المناسب لكل قطــر اسلامى يكاد يكون مفقودا وهذا يجعل كل انســان تقريبا يستشعر الضياع الكبير هذا الضياع يبقى القاعــدة الكبرى للبحث عن شىء يدعى كل طامح أنه وحده الذى يملك تقــديمه ، ولكن قليلا ما يقــدم أحد شيئا لأن مقــدار المعارف التى يحتاجها الذى يستطيع أن يقــدم النظام المناسب لكل قطر كبير وأكثر هؤلاء لا يملكون من ذلك الا القليل ومن ثم فان المستشارين الخونة

أو المستشارين الأجانب الأخبث هم الذين سيقدمون ما سيقدمونه هو الشيء غير المناسب لهـذه الأمة ، بل الشيء الذى لا يخدم الا أعداءها على المدى القريب أو البعيد ومن ثم لا يكون دور النظام الجديد الا تخريبا ولا يستثنى من ذلك الا القليل القليل وللأسف فان هـذا القليل القادر على العطـاء الصحيح وايجاد النظـام شبه المناسب فى الغالب ما يقطع الطريق عليه أو يضغط عليه حتى ينحرف أو أنه عاجز عن التحقيق الكامل للمراد أو أن الأمر ملتبس عليه فيخلط الغلط بالصحيح •

(د) وهكذا نجد أنفسنا دائما محكومين من قبل تصـورات خاطئة أو قاصرة وهذه لا يترتب عليها الا التخريب وكلمـا أوغلنا فى هـذا النوع من السير زاد التخريب كثرة وزاد الحمـل ثقلا وما أشد بلاهة الذين يفرون من الحقيقة وما أعجز القادرين على أن يقطعـوا الطريق على هـذا التخريب ثم لا يفعـلون مهما كلفهم الثمن ومهما كان الحمل ثقيلا •

١٠ ــ الضعف فى أدب الحيـاة والتعامل : بقـدر ما يتواضع أمة ما على أدب موحـد مريح فتعرفه وتنفذه يكون ألم الفـرد فى المجتمع أقل وتصرفاته منضبطة ومريحة له ولغيره ، وكثير من الشعوب الكافرة اصطلحت على آداب وتواضعت عليهـا فأراحت نفسـها فى كثير من الجوانب •

وفى الاسـلام سن لنا رسول الله صلى الله عليه وسـلم وفرض علينـا القرآن من الآداب ما لا يوازيه بها غيره فى بابها من الكمالات واعتمـد العرف الصـالح بما يستمر به الأدب المريح الذى تعتمـده الشـعوب مفتوحا ولكن وبعد مقدمات كثيرة نجد هذه الأمة أو الكثير منها وكأنها أجهل فى باب الآداب من الآخرين • فلا الأخلاق الاسلامية تحسـها ولا باب المروءات تجده مفتـوحا ولا العرف الصحيح تجده موجودا ومن ثم يكثر الألم حيث يوجد تعامل بين الناس ومن أتيحت له فرصة تأمل النمـاذج المختلفة فى هذه الأمة عن قرب يجد عجبـا فى الضياع عن أدب الحياة وأى تسـجيل لنماذج مما يراه الانسـان يبقى قاصرا عن الاحاطة لأن النفس البشرية عنـدما تكون غير مهذبة ولا منضبطة تعبر عن نفسـها بما لا يتناهى من الطـرق الخاطئـة والاندفاعات المضطربة ومن ثم فسنكتفى هنا بتسجيل نماذج نتبين من خلالها ضياع أدب الحيـاة فعلا حتى انك كثيرا ما لا تجـد الشىء

فى محله سواء أكان كلمة أو تصرفا وهو يبين التفريط الكبير الذى يقع فيه الكثير من الذين يملكون أزمة التوجيه أو الذين يستطيعون التربية والوصول الى الناس ثم لا يفعلون ولنبدأ بذكر بعض الأمثلة :

(١) من المعلوم أن الانســـان الذى يتكلم بغير علم وبجهل انسان خاطىء كثيرا لأنه يدلك على أبشع صور الجهل ، الجهل المركب فهو جاهل ولا يدرى أنه جاهل ويريد أن يجعل الجهل علمـــا وأن يقدمه للناس على أنه كذلك • وللأسف فانك نادرا ما تجـــد انسانا الا وهو يستطيع أن يتكلم فى كل الأمور وأن يدلى بدلوه فى كل شىء ويريد من خلال ذلك أن يثبت أنه العليم بكل شىء ومع أنه يتكلم بغير علم فهو كثيرا ما يتكلم بحـــدة ويناقش بقضية وكأنه مظلوم وكأنه مضطهد وكأن الآخرين لا يســـمعون ولا يعقلون وهذا مرض شائع : التعالم والجدال لاثبات الذات والذى يرافقه عادة المرض الثانى وهو الجدال الحـــاد فمن المعلوم أنه بقـــدر تمكن الانســـان من نفسه ومن علمه ومن احاطته فى القضية التى يعرضها يكون بعيـــدا عن الانفعال الا اذا وقف الآخرون موقفا ظالمـــا منه ، وللأسف فانك لا تجـــد انسانا — الا قليلا — يقـــدر على أن يتجنب الحـــدة فى نقاشه مما يدلل على أن البديهيات الأولى فى أدب الكلام مفقودة فى مجتمعنا ، ويبلغ الأمر ذروة الحماقة عندما يكون هذا النمط من النقاش فى قضايا الأمة أو فى شأن اتخـــاذ قرار عام اذ أن مثل هـــذه الأمور تحتاج الى نقاش هادىء للوصول الى القرار السليم فاذا نوقشت هذه الأمور بحدة كان القـــرار معدوما أو خاطئا أو خطيرا •

(٢) ومن الضياع عن الأدب احتقار النظـــام والفرار من الانضباط وذلك شىء عجيب فالحياة البشرية هى أرقى أنواع الحياة فى عالم الأحياء المحسوسة • وفى عالم الأحياء الحيوانية تجـــد نوعا من النظام وانضباطا عجيبا به ، والانســـان الذى هو أكثر المخلوقات تعقيـــدا ينبغى أن يكون أدق الأحياء نظاما وأشدهم انضباطا لأنه اذا لم يكن كذلك فان مقدار التعارض والتصـــادم يكون أكثر بكثير منه فى أى وضع آخـــر • ومن المؤسف أنك تجد احترام النظام والرغبة فى الانضباط يكادان يكونان فى دوائر معـــدومة وحتى الذين تجـــدهم ينضبطون فى وضع يهربون من الانضباط فى وضع آخـــر ولا شك أننا أمة تملك أدق الموازين وأكثر الأنظمة واقعية ومثالية بحكم أننـــا

مسلمون الا أن فقدان العلم وفقدان التربية والتوجيه يجعـلان الأمور تسير فى طريق آخر •

(٣) من الضياع عن الأدب ما نسميه بالتطاول على الكبار واحتقار الصغار وذلك باب واسع من الخلل لأن العلة متداخلة فالكبير نسبيا أو قدرا يعتبر أن من واجب الصغير التسليم لرأيه فقط ، ومتى بدأ الصغير ينظـر الى تصرفات الكبار يبدأ التطاول عليهم من أجل اثبات الذات • والتربية المثالية التى تجعل الكبير يستشعر الصغير ويسـمع لرأيه ويعطيه حقه ويتعامل معه بعطف ورحمة والتى تجعل الصغير يعرف للكبير حقه وسـبقه وقدمه وتجربته لا تمنعه أن يقول له أخطأت مع كامل الأدب • ان فقدان هذه التربية المثالية عامل يجعل هـذا الضياع مستمرا ولا شك أن روح التمـرد العالمية المنبثقة من تذمر شباب العالم عامل آخـر من عوامل استمرار هذا الضياع وهذا موضوع فروعه كثيرة وكبيرة ، فى الدولة حكومتها ومعارضتها وفى الحزب السـياسى والأسرة والجيش وتكفى الاشـارة اليه وتكفى هذه النمـاذج الثلاثة للاشـارة الى أصل هذا النوع من الأمراض ، ونحب أن نختم الكلام عن هذه الفقرة بالاشارة الى أن ذكرنا لهـذه الأمراض لا يعنى أنها موجودة عند الناس جميعا واذا وجدت فلا يعنى أنها موجودة كلها عند انسـان بعينه أو على حدتها عند شعوبنا كلها فى وقت واحد •

١١ ــ أمراض منصوص عليهـا بخصوصها : ونحب أن نختم هذا البحث بالاشارة الى أمراض نبه القـرآن أو الرسول صلى الله عليه وسلم عليها بأعيانها وأنها ستقع فيها هذه الأمة ونذكر فى هذه الفقرة أبرزها التى تنطبق انطباقا تاما على عصرنا •

(١) حب الدنيا وكراهية الموت : فى الحديث الذى رواه أبو داوود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة الى قصعتها » فقال القائل : من قلة نحن يومئذ ؟ فقال : « بل أنتم يومئذ كثيرون ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن فى قلوبكم الوهن » قيـل : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : « حب الدنيا وكراهية الموت » •

(٢) ترك الصلاة واتباع الشـهوات : **« فخلف من بعـدهم خلف اضاعوا الصـلاة واتبعوا الشـهوات فسوف يلقون غيـا • الا من تاب وآمن وعمل صـالحا فاولئك يدخـلون الجنة ولا يظلمون شـيئا »**

جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب ، انه كان وعده مأتيا • لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما ، ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا »(١) •

(٣) « قلوبهم قلوب الأعاجم وألسنتهم ألسنة العرب » فى هذا النص اشارة الى روح التقليد الغريب الذى يسود الناس فى مرحلة ما ، حتى انهم ليقلدون ولا يعرفون حكمة الفعل الذى يفعلونه وأهدافه ، وفيه كذلك اشارة الى حب كل ما هو غريب وحب الظهور بأن هذا الغريب مفهوم لدينا تماما • ومن العجب أن هذا المرض يظهر أكثر فأكثر عند من يزعمون أنهم يريدون احياء أمجاد شعوبهم أى أصحاب الدعوات القومية بشكل عام وأصحاب الدعوة الى القومية العربية خاصة •

هذه من أهم الأمراض نقتصر على ذكرها هنا لأنه مهما استقصينا فى ذكر الأمور فلا يغنى ذلك عن دراسة مستفيضة للكتاب والسنة • وبمناسبة الاشارة الى هذه الأمراض المنصوص عليها لابد من الاشارة الى أن المربى الاسلامى الحقيقى فى عصرنا هو الذى يستطيع أن يوجد الانسان المتحرر من الأمراض المتراكمة لهذه الأمة ولكن الغريب العجيب أنك تجد كثيرين من المتصدرين لتربية هذه الأمة كأنهم عمى عن رؤية هذه الأمراض — الا من وفقه الله وقليل ما هم — وسر ذلك أن معالجة هذه الأمراض كلها لا تتم الا بفهم شامل للاسلام وتربية شاملة عليه وذلك لا يكون الا فى جو الجماعة التى تجمع المسلمين كلهم فى اطار واحد لأن بعض هذه الأمراض سببها القصور فى الروح الجماعية وذلك لا يعالج الا فى جو التربية على الأخلاق الجماعية الصحيحة وذلك لا يتم الا فى جو جماعة ، وأكثر المرضى يفرون من الصحة والكثير من هذه الأمة يريدون أن يتحرروا من قيود الجماعة والعمل الجماعى وتبعات الجماعة ، صحيح أن هناك اعتراضات على قصور جماعات قائمة ولكن ذلك لا يكون بانهاء فكرة الجماعة التى هى فريضة اسلامية ولكن يكون بالفهم الصحيح والتربية الصحيحة اللذين تنبثق عنهما جماعة صحيحة مستقيمة تستقيم بها الأمور فتختفى الجماعات المريضة أو تستقيم على منهاج الحق •

وقبل أن ننهى هذا البحث فلنتحدث عن أمراض الانسان بشكل

---

(١) مريم : ٥٩ — ٦٢ •

عام فأمتنا مريضـــة ولكن مرضها هو جزء من أمراض الانســـان والمسلم مهما مرض فان مرضه يبقى أقل من مرض غير المســـلم مهما ظهر غير المسلم بصورة صحية كاذبة وباجمال نقول :

ان تعـــدد الآلهة بالنسبة للانســـان تمزيق لوحدته الشـــعورية واتجاهات روحه قال تعـــالى : **« ضرب الله مثـــلا رجـــلا فيـــه شركاء متشـــاكسون ورجـــلا سلما لرجل هل يســـتويان مثـــلا ، الحمـــد لله بل أكثرهم لا يعلمون »**(١) وآن انبتات النفس البشرية عن الصـــلة بالله تكريس لمشاعر الكبرياء والعجب والعنجهية والتمرد واللامسئولية التى تتبع منها مجمـــوعات من الســـلوك والأفكار كلها خاطىء ومريض • وان فرار الانســـان عن شريعة الله الحق خروج عن المســـار الصحيح للحياة البشرية ، فاذا كان هـــذا الفرار على مستوى السلطة والشعب كان المســـار الى الدمار السريع العاجل أو البطىء الآجل وكثيرون من الناس لا يستطيعون تصور ما نقول ولكن ليتذكر هؤلاء الحرب العالمية الأولى والثانية وليتذكروا ما حولنا ليروا قوله تعالى : **« قل هو القـــادر على أن يبعث عليكم عـــذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبســـكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض »**(٢) •

وأخيرا نقول : ان الأمراض الكبرى للانســـان لا يمكن أن يشفى منها الانســـان الا بقبوله دين الله الحق الذى هو الاســـلام الخالص وتفصيل ذلك ليس محله فى هذه الرســـالة فاذا اتضح هذا أدركنا خطورة القضية التى نبحثها وأدركنا كيف أن شفاء المســـلم من أمراضه هو بداية الطريق لشـــفاء الانسان عامة أو ضبط لتصرفات البشر على مسار عادل على الأقل •

الآن وقد استعرضنا بعض مظاهر المرض فى الأمة الاســـلامية حاملة لواء الأنبيـــاء فلنتذكر ما بدأنا به الكلام أول هـــذا الباب من أن أعداء الأنبيـــاء من خلال المجابهة ومن خلال اثارة غبار الشـــبهات ومن خلال خداع الشـــعارات وبسبب من نقاط الضعف عند المســـلمين فان دعوة الأنبياء يحال بينها وبين الوصول والانتصـــار ويحال بينها وبين الانسان أصلا •

ولكن هل يقف الأمر عند هـــذا الحد ؟ • ان الأمر أخطر وأصعب ،

---

(١) الزمر : ٢٩ •

(٢) الأنعـــام : ٦٥ •

اذ أن سيطرة أعـداء الأنبياء على العـالم ورصدهم للصغيرة والكبيرة من أمره وتخطيطهم للصغيرة والكبيرة فى هـذا العالم من وجهة نظرهم ، وشعور أعـداء الأنبياء بخطورة دعوة الأنبياء على مواقعهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية وعقـد الكفر فى قلوبهم أولاً وأخيرا ممـا يجعلهم جميعا لا يطيقون أن يسمعوا اسـم الله بل يجعلهم صفا واحدا رغم ما بينهم من عداء ضد أتباع الأنبياء وهذا كله يجعل للمرحلة الحاضرة التى تمر بالمسـلمين خصائص لابد أن ننتبه اليها فلنر بعض خصائص هذه المرحلة :

١ ــ **أول خصائص هذه المرحلة** أنها مرحلة جراح حتمية وعلى المسلمين نتيجة لذلك أن ينتبهوا جيـدا وهم يتحركون لتكون الجراح أخف ما تكون ولنتحدث باختصار عن هذه الحقيقة :

لم يمر على الأمة الاسلامية وضع أصعب من الوضع الحالى المعاصر ، صحيح أنه مرت فترات صعبة كمرحلة الردة بعـد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مرحلة الغزو الصليبى ثم مرحلة الغزو التتارى والمغولى كل ذلك كان وضعا صعبا ولكن الوضع الذى أعقب سقوط الخلافة العثمانية وما سبقه أو لحقه من غزو أوروبى استعمارى كان أقسى من أى وضع سابق مر على الأمة الاسلامية فالردة الأولى قامت ووجد فى مقابلها صف للمسلمين واحد على رأسه أمير واحد ويجمع الجميع فهم واحد ووعى واحد وتربية واحدة • وفى زمن الحروب الصليبية استطاع الصليبيون أن يحتـلوا جزءا من الأرض ولكن الأمة الواحدة ثم الخلافة الواحدة والجهاد الواحد المخلص اسـتطاعوا أن ينهوا هـذا الوضع ولم تكن الحرب الصليبية لتأخـذ الا جزءا ، وجاء الغزو التتـارى والمغولى ولكنه صد أخيرا وصهرته الأمة الاسلامية حتى أصبح التتـار والمغول أنفسهم مسـلمين ولكن الوضع الجديد وضع تخلخل فيه كل شىء وتحطم الكيان السياسى للمسلمين فلم يعد لهم رأس فى العالم كما أنهم فى أقطارهم قد سـلبوا كل مظهر من مظاهر علو كلمة الاسـلام بل أصبحت كلمة الاسلام ذليلة فى كل مكان والمسـلمون مستذلين ومستهدفين والعـالم كله بما يملك من طاقات كبيرة يحاول أن يقطع الطريق على أى مظهر من مظاهر انتصـار الاسلام السياسى ومن ثم فان العـالم لا يهتز له ضمير بل ينسى كل ما اصطلح عليه من مفاهيم ومثل اذا كانت

هذه المفاهيم والمثل ترفع ضيما عن مسلم وهو موضـوع عالجناه من قبل ومن ثم فلا نحتاج الى العودة اليه •

* * *

فى هذه المرحلة الصعبة يجب أن نعرف واقعنا ونضـع الخطوط العامة التى ينبغى أن تكون راسخة فى أذهاننا نحن المسلمين ونحن نتحرك فى عالم كله غدر ومكر وقسوة ونفاق •

ان الملاحظة الكبيرة التى نحب أن نسـجلها لهذه المرحلة أنها مرحلة الجراح الحتمية ومن ثم فينبغى أن يكون حذرنا منصبا على ألا تكون قاتلة فالمسـلمون اليوم ان تحركوا الى الخلف أصابتهم الحراب واذا تحركوا الى الأمام أصابتهم الحراب واذا تحركوا حركة جانبية نحـو اليمين أو الشـمال أصابتهم الحراب واذا راوحوا فى مكانهم أصابتهم الحراب من كل جانب • وأمام هذا الوضـع فلابد أن يكون واضحا كيف ينبغى أن نتحـرك حركة تتجه دائما نحو الأمام متجنبين المقاتل فلنضرب أمثلة توضح المقام والمراد :

(أ) لقد كانت المـآخذ من وجهة النظـر الاسلامية الخالصة كثيرة على نظام أيوب خان وعلى شخصه ومع ذلك فأيوب خان اسـتطاع أن يحتفظ بوحدة باكستان كما استطاع أن يهزم الهند سنة (١٩٦٦) ، وهى الراغبة فى انهـاء باكستان يوما واذلالها ، ثم تحـرك المسلمون ضد أيوب كما تحرك غيرهم ومجموع الدوافع التى حركتهم ضده كانت كثيرة فأسقطوا نظام أيوب وجاء يحيى خان وكانت النتيجة انقسـام باكستان وانتصـار الهند فى المعركة العسرية ولسنا بسبيل تحليل الأمور والأسباب والنتائج وانما نحن فى سبيل توضيح أن المسلمين لم يكونوا يستطيعون ألا يتحركوا لأن بقاءهم بدون حركة قاتل ، ثم تحـركوا وكانت حركتهم هذه الجراح العميقة فى قلب الأمة الاسلامية وذلك نموذج من نماذج الوضع المعاصر الصعب للمسمين اذ ترافق حركتهم أو وقوفهم الجراح •

(ب) نحن الآن نعيش أحداث لبنـان ولنر الوضع على حقيقته : لقد كانت غالبية نصـارى لبنـان تعد العدة لانهاء المقاومة الفلسطينية ، وانهاء المقاومة الفلسطينية يعنى انتهاء دور المسلمين فى لبنان لأن غيرهم وقتذاك سيكون المـالك للسـلاح والمـال وهم سيكونون اما عبيـدا أو قتلى ومن ثم فلم يكن أمام المسلمين خيار ألا يتلاحموا مع المقاومة

الفلسطينية مع ملاحظة أن أكثرية الفلسطينيين مسلمون فكان أن قاتل المسلمون البنانيون والمسلمون الفلسطينيون وغيرهم جنبا الى جنب وبدأت المآسى ثم سارت الأمور بأن أخذت المسألة طابع يمين ويسار وقفز الى سدة الزعامة للمسلمين غير المسلمين وأخذ هذا الصف يطالب بمعان جزء منها من الناحية العلمية انهاء السلطان السياسى فى النهاية للمسلمين ، وعندما نتأمل المسألة ابتداء وانتهاء نجد أن ما حدث وما يمكن أن يحدث كله فيه الجراح ولو أن المسلمين لم يتحركوا لكانت الجراح أعمق وأشد • وهذا نموذج آخر على هذه المرحلة التى نحن فيها •

(جـ) ان كل دارس وباحث يعرف أن المقاومة الكاملة الحقيقية للسيطرة اليهودية على فلسطين انما هى عند المسلمين وفى الاسلام بدليل أن النصارى الغربيين على اختلاف مذاهبهم ثبتوا قيام دولة اسرائيل مما يشير الى أنه يمكن أن يقبل النصرانى من حيث المبدأ فى هذه المنطقة قبول قيام دولة اسرائيل ولكن الشىء الذى لا يمكن أن يقبله المسلم الحقيقى اطلاقا هو التسليم بهذا المعنى ، ولأمر ما تجد المنطقة العربية عامة لا يسمح فيها أن تقوم تكتلات سياسية اسلامية بل أكثر من ذلك نجد كل أنظمة الحكم العربية تطارد كل نفس سياسى اسلامى وتحاول أن تسحقه ومن العجب الغريب أن ذلك كله يتم بحجة القضية الفلسطينية ومن العجيب الغريب أن الفلسطينيين قبل غيرهم هم أكثر ما يصفقون لأمثال هؤلاء الحاكمين والمسلم الحقيقى ان تكلم جرح وان سكت جرح ، وهكذا تجد طبيعة هذه المرحلة واضحة فى هذه القضية كما هى واضحة فى غيرها •

ولا يعنى أن هذا سيستمر ولا يعنى أنه لا حل بل نريد أن نعرف طبيعة المرحلة التى نحن فيها لنتحمل لأواءها ونحسن الخروج منها وتكون حركاتنا على ضوء هذه المعرفة ومكافئة لهذه المرحلة •

٢ — **وثانى خصائص هذه المرحلة** أن معركة الاسلام داخل أقطاره ذات بعدين ، بعد محلى وبعد عالمى وأنه لا انفصال بين المعركتين وأن كل تحرك مهما كان شأنه لابد أن يلحظ الاطار المحلى والاطار العالمى ، هذه مصر تتحرك حركة خفيفة لصالح الاسلام فيتحرك نصاراها حركة معاكسة ، ثم يتحرك امتداد هؤلاء النصارى فى أمريكا ليطالبوا

رئيسها بالتدخل فى هــذا الشأن ، والصراع داخل لبنان يضرب فى أعماق أحشاء هذا العالم وهكذا قل فى أى نوع من أنواع الصراع .

٣ — **وثالث خصائص هذه المرحلة** أنها مرحلة الضغوط على حركة المسلمين هذا الضغط الذى يجعلهم دائما أمام خيار الحركة أو السكون . واذا اختــاروا الحركة جعلهم أمام خيارين الذبح أو الانحراف وما يجرى الآن ونحن نكتب هذه الرسالة أكبر دليــل على ذلك عندما يضع العالم الحكومات المجاورة لدولة اليهود بين هذين الخيارين : الذبح أو الصلح ومن قبل والأمر ما يزال فيه رمق جعــلوا السلطان عبد الحميد وهو من هو دهاء وحنكة بين خيار الانحــراف بالاعتراف بوطن قومى لليهــود أو السقوط فاختار السقوط .

* * *

ومع ذلك كله فالله عز وجل وعدنا النصر وحذرنا أن نظن أن الذين كفروا معجزون فى الأرض أو أن يظن الكافرون أنهم سبقوا : « **لا تحسبن الذين كفــروا معجــزين فى الأرض** »(١) .. « **ولا يحســبن الذين كفروا سبقوا ، انهم لا يعجزون** »(٢) ولكن جرت سنة الله أن يمتحن عباده بعضهم ببعض قال تعــالى : « **ولو يشــاء الله لانتصر منهم ولكن ليبــلوا بعضكم ببعض** »(٣) وقال تعالى : « **ولنبلونكم حتى نعــلم المجاهــدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم** »(٤) ووعدنا أن تكون العاقبة لنا قال تعالى : « **والعاقبة للمتقين** »(٥) وقــال : « **وعــد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كمــا استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعــد خوفهم أمنا ، يعبدوننى لا يشركون بى شــيئا ، ومن كفــر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون** »(٦) وقال : « **هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله** »(٧) ونحن مبشرون من رسولنا عليه الســلام بأن دولة اسلامية عالمية ستقوم وان كل ما يجــرى فى هــذا العالم ليدل على ذلك والذين يحسبون أن ما يجرى حولنا نهائى مخطئون وتفصيل ذلك فى غير هــذا

---

(١) النور : ٥٧ . (٢) الأنفال : ٥٩ .
(٣) محمد : ٤ . (٤) محمد : ٣١ .
(٥) الأعراف : ١٢٨ . (٦) النور : ٥٥ .
(٧) التوبة : ٣٣ ، الفتح : ٢٨ ، الصف : ٩ .

المكان وعلينا أن نبدأ السير فى الطريق ملاحظين وضع أمة الأنبيـــاء وعلى ضوء ذلك يجب أن نخطو خطواتنا الأولى والثانية والثالثة •

ولا شك أن خطواتنا هذه يجب أن تكون على الطريق الى الصـــحة ثم على الطريق الى النصر لتحقيق دعــوة الأنبياء لصالح هذه البشرية التائهة والمنحرفة •

وليكن الكلام فى الباب القادم عن الطريق الى الصحة والنصر •

***

الباب الرابع

الطريق الى الصحة والنصر باذن الله

عندما يصادف الناس أوضاع صعبة قاسية فان مواقفهم تختلف فنجد بعضهم ييأس ويستسلم ونجد بعضهم يتصرف برد فعـل عفوى فقد يكسر الطوق وقد يفشـل ونجد بعضهم يفكر ويتأمل وعلى ضوء الفكر والتأمل يتخذ قراره • وعندما تصادف الناس أوضاع معقدة تحتـاج الى حلول فان كثيرين من الناس يمتلكون امكانية السير فى الحلول البسيطة ولكنهم لا يستطيعون أن يستوعبوا الحلول المعقـدة فضلا عن أن يسيروا فيها • وعندما يكون هدف ضرورى التحقيق نجد الناس أقساما فمنهم من يتكل على غيره ومنهم من يعتبر نفسـه هو المسـئول عن ذلك ولو فرط الناس جميعا فى قضية الهدف وهكذا شأن الناس فى كل العصـور وهذا شأن المسلمين حتى فى شأن دعوة الأنبياء مع أن المفروض أن تكون معالجة هـذا الموضوع مختلفة عن أى موضوع آخـر فههنا واجبات ربانية نحن مكلفون بها والمسـلم فى هذه الحالة له موقف واحد وهو العمل والتدبير من أجل تحقيق الهدف ولكن الواقع أن الأمر لم يكن كذلك وذلك لأن شـأن الناس فى كل الأمـور كذلك والمسلمون من هذا الناس ، وقد يكون هذا الشىء من مظاهر حكمة الله بأن جعل من سنته أن يبعث لهـذه الأمة على رأس كل قرن من يجـدد لها أمر دينها اذ ليس كل الناس يتصرفون التصرف اللازم وليس كل الناس يستوعبون ما يلزم •

دعونا الآن نتصور ما هو الموقف السليم من هـذا الموضوع الذى نحن فيه موقفنا كمسلمين ملتزمين بالاسـلام يأخذون أنفسهم بحكم الله فكيف نفكر فى هذا الشأن ؟ •

لا شك أن الواحد منا ملكف تكليفا شرعيا بأن يتخلص من أمراضه وأن يؤدى حق الله عليه ، ولا شك أن جماعة المسـلمين ملكفة بتجاوز

أمراضها ومكلفة بتحقيق الأهداف التى فرضها الله عليها من اقامة حكم الله ومحاولة أن تكون كلمة الله هى العليـــا فى العالمين ولا شك أن جماعة المسلمين ستفكر فى كل ما يلزم لمجموع هذه العمليـــات من البداية من نقطة تكوين الشخصية الاسلامية حتى اقامة دولة الاسلام العالمية ثم يبدأ السير لذلك ، ولا شك أن العملية ليست ســـهلة والاجابة على كل الأسئلة اللازمة لذلك لا يستطيعها كل انســـان كما أن البدء الصحيح الموصل لذلك لا يستطيعه كل انســـان لأن هذه القضية تحتاج الى شروط كثيرة وآفاق عالمية ودأب طويل وصبر عظيم واستيعاب شامل ودقائق كثيرة ان فى الفكر الذى يجمع المســـلمين وان فى تربيتهم اللازمة والمكافئة ، وان فى النظرية التنظيمية وان فى الاستراتيجية العامة وان فى الخطـــة وان فيما يلزم الحركة فى كل قطر وان فيمـــا يلزم من خطط ، ولا شك أن نقطة البداية هى صناعة الرجال الذين يأخذون على عواتقهم السير فى هذا الطريق .

ولو أنك تأملت وفتشت وبحثت بانصـــاف لمـــا وجدت أحدا وضع قدم المسلمين فى الطريق اللازم لذلك كله غير حسن البنا رحمه الله فكان بحق مجدد هذا العصر — والله أعلم — .

أما الناس كل الناس فانهم أقســـام فمنهم من كان يائسا نتيجـــة لفهمه بعض النصوص خطأ ومنهم من كان يائســـا لأنه لا حيلة له وبعضهم تخيل ولم يصـــل خياله الى حد التعبير عنه ، وبعضهم عبر ولم يعمل وبعضهم عمل ولم يعمل العمل اللازم والمكافىء ولم يكن عمله أصـــلا جهادا فى سبيل الله ، وبعضهم جاهد ولكن بروح رد الفعـــل دون أن يعطى الاعداد لكل ما يلزم حقه والأستاذ البنا تجاوز هـــذا كله وهو القائل : « أيها الاخوان المسلمون .. ان ميدان القول غير ميدان الخيال وميدان العمـــل غير ميدان القول وميدان الجهاد غير ميدان العمل ، وميدان الجهاد الحق غير ميدان الجهاد الخاطىء ، يســـهل على كثير أن يتخيلوا ولكن ليس كل خيال يدور بالبال يستطاع تصويره أقـــوالا باللسان وان كثيرين يستطيعون أن يقولوا ولكن قليلين من هذا الكثير يثبتون عند العمـــل وكثير من هـــذا القليـــل يستطيعون أن يعمـــلوا ولكن قليلا منهم يقـــدرون على حمل أعباء الجهاد الشاق والعمل العنيف وهؤلاء المجاهدون هم الصفوة القلائل من الأنصار قد يخطأون الطريق

ولا يصيبون الهدف ان لم تتداركهم عناية الله ، وفى قصة طالوت بيان لما أقول » .

ونحن لا نريد فى هذه الرسالة أن نقول كل شىء بل نريدها أن تكون من أجل خطوة الى الأمام فقط ولذلك فاننا سنتكلم فيها ضمن هذه الحدود فما لم نقله هنا قلناه فى بقية أجزاء هذه السلسلة « سلسلة فى البناء » .

ان نقطة البداية فى السير نحو الصحة ونحو تحقيق الأهداف أى نحو انتصار دعوة الأنبياء محليا وعالميا هو نموذج الصحة الأول المتمثل بالمجدد ثم النماذج المتكررة عن شخصه والمتمثلة بالوراث الكاملين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمنطلقين على هدى صوت المجدد واجتهاداته المكافئة للعصر ثم قيام هؤلاء كلهم بنقل الأمة من حال الى حال والسير من خلال جماعة المسلمين من نصر الى نصر ومن موقع الى موقع وكل ذلك يحتاج الى زمن ويحتاج الى خطوة لاحقة بعد خطوة سابقة على طريق واضح مستقيم وقد فعل الأستاذ البنا واخوانه ذلك كله وأدرك أعداء الأنبياء خطورة السير وعرف آخوان البنا أنه لابد من تحمل جراح المرحلة فتحملوها ولا يزالون ، وهم على الطريق بفضل الله سائرون ، ولن تقف مسيرتهم حتى تقوم دولة الاسلام العالمية تحقيقا لبشارات رسولهم الحبيب عليه الصلاة والسلام ودع المعوقون يعوقون ما شاء لهم التعويق فخطواتنا متلاحق على الطريق باذن الله وقعها الى الله جل جلاله ، متحملين مرحلة الخوف كلها تلك التى تسبق مرحلة الاستخلاف عادة **« وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا »**(١) ورؤوسنا يا رب فوق أكفنا .

* * *

قبل أن نتكلم كلمة تخدم الى حد ما موضوع عنوان هذا الباب نحب أن نصحح خطأ قد يقع فيه بعض العلماء فى فهم بعض النصوص وقد ناقشنا بعض هذه المفاهيم الخاطئة فى أواخر كتابنا « جند الله ثقافة وأخلاقا » وهو أحد أجزاء هذه السلسلة وقد برهنا هناك على أن الأحاديث الصحيحة تبشر بدولة اسلامية عالمية يخضع لها العالم كله وأنه عليه السلام بشرنا بفتح روما وأن ذلك كله قادم وآت باذن الله .

وهنا نريد أن ننبه على خطأ سببه قيام دولة اليهود فى فلسطين

---

(١) النور : ٥٥ .

فبعض المسلمين يظن أن النصوص الواردة فى شأن المسيح ابن مريم وقتل المسلمين اليهود فى فلسطين يوما ما ان بعضهم يفهم من هذه النصوص أن وجود اليهود الحالى سيستمر الى تلك الأيام وهذا خطأ لأن اليهود الذين يقتلون يومذاك يكونون قادمين الى فلسطين مع المسيح الدجال أما فلسطين فانها تكون بيد المسلمين بل تكون القدس عاصمة الخلافة الاسلامية والمسيح يدخل القدس وامام المسلمين فيها وكل ذلك تشهد له النصوص الصحيحة ، فالنصوص اذن تفيد أن هذا الكابوس العارض على فلسطين سينتهى ولا شك أن هذا أحد الأهداف الكبرى والعظمى التى على الحركة الاسلامية أن تحققها على صعوبة ما تحتاجه وعلى كثرة ما يلزم لذلك .

فاذا اتضح هذا كله فقد آن لنا أن نقول كلمة تخدم موضوع هذه الرسالة وتناسب عنوان الباب وخاصة قضية الطريق الى الصحة لأن ذلك فى الحقيقة هو طريق النصر الربانى : **« أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »**(١) .

ما عليه وضع الأمة الاسلامية بشعوبها كلها هو وضع مرضى شامل يبلغ أعماق النفوس هذا الوضع المرضى لم تصل اليه الأمة الاسلامية دفعة واحدة بل جاء على مدى طويل والعوامل المؤثرة فيه لم تكن عوامل واحدة بل هى عوامل كثيرة منها الداخلى ومنها الخارجى وكما أن المرض يبدأ بأفراد ثم يتوسع فان الشفاء كذلك يبدأ بأفراد ثم يتوسع . ومن ثم نقول ان نقطة البداية فيما نحن فيه هو وجود النموذج الصحى الذى تنتقل منه عوامل الصحة وتمتد منه الى غيره وبقدر ما تتوسع دائرة الصحة تكون الأمة فى عملية انتقال صالح حتى يتماثل جزء منها الى الشفاء يكون هذا الجزء قادرا على تطبيب القسم الآخر عندئذ تبدأ الأمة الاسلامية مسيرتها السياسية المتوازية مع رسالتها فى أبواب العقائد والأخلاق والتشريع والسلوك وغير ذلك .

ولا شك أن البنا رحمه الله كان هذا النموذج وخطا فى الطريق لايجاد نماذج الصحة فى هذه الأمة من خلال ايجاده طبقة النواب الذين هم وراث الأنبياء ومن خلال طبقة النقباء الذين هم أركان الحركة

---

(١) الرعد : ١١ .

فى دعوته ومن خلال طبقة المجاهدين العاملين الذين هم صف الجماعة السليم ومن خلال القاعدة العريضة التى يستقطبها هؤلاء كعملية نقل لهذه الأمة والطاقة انطلقت من عقالها ولن يحول أحد — باذن الله — دون وصولها الى مستقرها وعلى اخوان البنا أن يفهموا تماما ماذا تعنى كلمة النائب أو النقيب أو المجاهد أو العامل أو ما دون ذلك فى مصطلحات البنا وأن يعطوها مضمونها الصحيح كنقطة بداية صحيحة فالعمل بدونها لا يكون شىء •

ولنعد من جديد الى عرض المسألة من بدايتها •

١ — مر معنا الحديث الشريف الذى يقول : « يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة الى قصعتها » قالوا : من قلة نحن يومئذ ؟ قال : « بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل •• » •

لا شك أن هذا الحديث ينطبق على عصرنا انطباقا تاما بل ينطبق على أوضاعنا منذ أطلقت أوروبا على الدولة العثمانية اسم الرجل المريض وبدأت تتدارس أمر توزيع تركة الرجل المريض والعلة كما وصفها الرسول صلى الله عليه وسلم أننا غثاء كغثاء السيل أى لا ثقل ولا وزن ولا ثبات لنا بل فقاعات هواء لا تلبث أن توجد حتى تنتهى يصنعها التيار وهو ينهيها ويجرفها حيث يشاء •

ولعل أصدق وصف للمسلم فى هذه الحالة أنه امعة وهى حالة نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « لا تكونوا امعة تقولون ان أحسن الناس أحسنا وان أساءوا ظلمنا • ولكن وطنوا أنفسكم ان أحسن الناس أن تحسنوا وان أساءوا فلا تظلموا » أو كما قال عليه السلام • ان المسلم عندما يكون امعة يكون كغثاء السيل لا وزن له ولا قيمة ويجرفه التيار حيث يشاء •

واذن فنقطة البداية فى الطريق الى الصحة هى أن يعود للمسلم وزنه وثقله وتفكيره المستقل ومحاكمته لكل ما أمامه والمشاركة المتعلقة فى الحسن ، النابعة عن المحاكمة الاسلامية الصرف ، والرفض المطلق للسير مع التيار الخاطىء الظالم المسىء وان كان العالم كله ذلك التيار : **« قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا**

بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده »(١)
ان نقطة البداية فى الطريق الى الصحة هى أن يستشعر المسلم مكانه ومكانته وأن يعرف نفسه وقيمته ومحله بالنسبة للعالم وأن يعرف قيمة ما خصه الله عز وجل به وقيمة ما عليه غيره على حقيقتها ثم أن يأخذ حظه على حسب استعداده من هذا الاسلام وأن يأخذ مكانه فى الصف الاسلامى على حسب كفاءته وخصائصه : **« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات »**(٢) فبالايمان تكون الرفعة وبالعلم بعد الايمان يكون الارتقاء .

٢ — وقد مر معنا من قبل أن التصنيف داخل المجتمع الاسلامى انما يكون بحسب الخصائص ، والقيادة تنبثق بعد توفر الخصائص من الشورى فهناك الوارث الكامل وهناك النقيب وهناك المجاهد وهناك النصير وهناك العامة بعد ذلك وفوق ذلك كله أمير المسلمين وامامهم ، والجماعة تضم هؤلاء جميعا وانما نكون غثاء عندما نكون جميعا عامة ورعاعا ودهماء ولا نتحقق فيما فوق ذلك من خصائص النصير أو المجاهد أو النقيب أو الوارث الكامل أو ما فوق ذلك من خلال العلم والالتزام ومن خلال الخصائص والثقل فى الاختصاص .

٣ — وبقدر ما ينجح المسلمون فى ايجاد ناس منهم أصحاب ثقل فى العمل السياسى ، وبقدر ما ينجحون فى ايجاد ناس منهم أصحاب ثقل فى العمل العسكرى وبقدر ما ينجحون فى ايجاد ناس منهم أصحاب ثقل فى العمل التربوى والتعليمى وبقدر ما ينجحون فى ايجاد ناس منهم أصحاب ثقل فى الشئون المالية والاقتصادية ، وبقدر ما ينجحون فى ايجاد ناس منهم أصحاب ثقل فى كل اختصاص بقدر ما ينجحون بهذا كله يكون ثقلهم حقيقيا وبقدر ما يخفقون فى هذا كله أو شىء منه فان الغثائية فيهم ستستمر ، ونقطة البداية فى هذا كله هو وجود النموذج الصحى الذى تحرر من أمراض الانسان ومن أمراض أمته وكان قادرا على نقل الصحة للآخرين . والأمراض قسمان : أمراض فردية وأمراض جماعية ، والنموذج الصحى الذى نتحدث عنه هو القادر — باذن الله — على شفاء الأمراض الفردية والجماعية والأمراض المتعلقة بالانسان كفرد والأمراض المتعلقة بالانسان كجزء

---

(١) الممتحنة : ٤ .
(٢) المجادلة : ١١

من جماعة هـذا النموذج الصحى هو الذى نسميه الوارث الكامل وقد وعدت هذه الأمة على لســان رسولها عليه الصلاة والسلام أن يبعث لها على رأس كل قرن من يجـدد لها أمر دينها واننا لنرجو أن يكون حسن البنا ــ رحمه الله ــ مجدد هذا القرن •

٤ ــ ان الوارث الكامل تقع عليه مســئولية نقل الأمة الى صحتها من خلال نقــل كل انســان الى سقفه الأعلى والهدف الأعلى عنده أن يجعل الناس كلهم وراثا كاملين مثله لأن الله عز وجل خاطب جميع المســلمين بقوله : « **لقد كان لكم فى رســول الله أسوة حسنة** »[1] ولكن من الناحية العملية لا يستطيع كل المســلمين أن يصــلوا الى هذه القمة السامقة ومن ثم يصــل بعضهم الى هذه الرتبة وآخــرون الى رتبة النقباء وآخــرون الى رتبة المجاهدين وآخــرون الى رتبة الأنصــار وعلى هؤلاء جميعا أن يستقطبوا عامة المســلمين وانما يرتفع انســان ما الى رتبته من خلال الخصائص لا من خلال خلع الألقاب لأن المهم أن يكون الانســان عند الله كما سمى ، لأن المسلم الحق لا يجــوز أن يخطــر بباله أصلا طلب الجاه والعلو فى الأرض قال تعــالى : « **تلك الدار الآخــرة نجعلهــا للذين لا يريدون عــلوا فى الأرض ولا فســادا ، والعــاقبة للمتقين** »[2] • ان للمســلم أدبين : الأدب الأول أن يجمع همته على أن يصــل الى أعلى درجات الكمال والأدب الثانى ألا يطلب بذلك العــلو فى الأرض لنفسه ومن ثم كانت القاعدة العامة فى الاســلام أن طالب الولاية لا يولى ، وانمــا الذى يقــدم للولاية شــورى المسلمين فاذا ما قدمت الشورى انسانا الى أمر فعليه أن يؤدى الواجب فيه على أرقى ما يكون الأداء ولا يستطيع ذلك الا من خلال استكماله كمالاته قال يوسف عليه السلام : « **اجعلنى على خزائن الأرض انى حفيظ عليم** »[3] • وقالت بنت شيخ مدين لأبيها عن موسى : « **يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القــوى الأمين** »[4] فالحفظ والعلم والقوة والأمانة هى سمات للمسلم حيث كلف بأمر •

٥ ــ مما مر ندرك أن الأمة الاسلامية تبدأ صحتها عندما يبدأ وجود مســلمين تحققوا بصفات الأنصــار والمجاهدين والنقباء والورات

---

(١) الأحزاب : ٢١ •
(٢) القصص : ٨٣ •
(٣) يوسف : ٥٥ •
(٤) القصص : ٢٦ •

وأن نقطة البداية فى ذلك هى وجود الوراث الكاملين وأن أداة ذلك كله العلم ، فبدون علم لا يكون شىء أبدا والعلم وحده لا يكفى واذ كان لوجود الوراث الكاملين هذه الأهمية فلنبدأ الحديث باختصار عنهم ٠

* * *

لقد دعا ابراهيم عليه السلام لذريته من أبناء اسماعيل بقوله : **« ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، انك أنت العزيز الحكيم »**[1] ٠ ولقد أمرنا الله عز وجل بالذكر والشكر فى مقابل ما من علينا برسول منا — صلى الله عليه وسلم — هو تحقيق دعوة ابراهيم فقال : **« كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ٠ فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون »**[2] ٠ لقد دعا الله عز وجل ابراهيم لهذه الأمة بما يصلحها ولقد استجاب الله عز وجل له فبعث لها رسولا منها يصلحها ويصلح العالمين اذ جعله الله عز وجل رسولا للعالمين ، وكما أن نقطة البداية كانت بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم فان نقطة البداية الحالية هى وجود الوارث الكامل للرسول صلى الله عليه وسلم الذى ينوب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أداء مهماته عليه الصلاة والسلام تلاوة آيات الله فى الكون وفى التاريخ وتعليم الكتاب والسنة وتطهير النفس البشرية وتعليم الناس كل ما يلزمهم فى أمور الحياة على منهج الله عز وجل ٠

ان نقطة البداية هى وجود هذا النوع من الرجال على حالة تسع هذه الأمة ، فبقدر ما يوجد من هذا النوع عدد يسع هذه الأمة ويقوم هذا النوع بمهمته كاملة شاملة على النحو الذى حددته دعوة الأنبياء تكون الأمة قد بدأت سيرها نحو الصحة ، فكما أن ما بنا كان نتيجة لتغير أنفسنا فان ما بنا لا يتغير حتى تتغير أنفسنا : **« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »**[3] وتغير الأنفس لا يتم الا بسلوك طريق ذلك ووجود أدواته ٠

* * *

---

(١) البقرة : ١٢٩ ٠
(٢) البقرة : ١٥١ ، ١٥٢ ٠
(٣) الرعد : ١١ ٠

٦ — ان وجود الوراث الكاملين الذين يستطيعون أن يصـلوا الى كل فـرد فى هذه الأمة فيعلموه ويزكوه هو نقطة البداية وهو احدى الفرائض الكبيرة فى هـذا الدين « **وما كان المؤمنـون لينفروا كافة ، فلولا نفـر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون** »(١) •

ان الوارث الكامل لرسول الله صلى الله عليه وسـلم هو النموذج الصحى فى الانسـانية وهو النموذج الصحى فى هـذه الأمة وهو البداية الصحيحة لارتقاء هذه الأمة وقديما قال قائل : « لا يصـلح آخـر هذا الأمر الا بما صلح به أوله » • والوارث الكامل صفة يجب أن يتحقق بها أعـداد كثيرون من البشر حتى يؤتى وجودهم ثماره اذ ما لم يصـل تأثيرهم الى كل فـرد فى هـذه الأمة بحيث ينقله الى أعلى حالات الصـحة فان القضية لا تؤتى ثمارها وقديما قالوا : « زهرة واحـدة لا تشـكل ربيعا » • ونحب هنا أن نشير الى معنى مهم : ان الوراثة الكاملة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كانت فى أفـراد كثيرين قد تكون سـببا من أسباب تفرقة الأمة اذا لم يكن هؤلاء الوراث تجمعهم معرفة أن المسلمين جسـد واحد ويجب أن يكون لهم رأس واحـد منبثق عن شوراهم • فهـذا جزء من التراث النبوى وجـزء من التوجيهات القرآنية فالوراثة الكاملة لكثيرين تقتضى من هؤلاء الكثيرين أن يجتمعـوا على واحد منهم ذلك عمل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاته عليه السلام •

واذا كان للوارث الكامل هـذا الشأن فى بعث الأمة الاسـلامية فلنتحدث باختصار عنه :

(أ) الصفات الرئيسية للرسل عليهم الصـلاة والسلام هى : الأمانة والصدق والفطانة والتبليغ ، والوراثة الكاملة للرسل عليهم السـلام تعنى الأخذ بحظ وافـر من هذه الصفات : من الأمانة فيكون مظهرا للتطبيق الكامل للشريعة ويكون صادقا يثق بصـدقه الجميع ويكون فطنا بحيث يستطيع اقامة الحجة على كل انسـان بدعوة الله وأن يقوم بتبليغ دعوة الله عز وجل فيكون التبليغ همه الأول •

---

(١) التوبة : ١٢٢ •

(ب) الوارث الكامل يجب أن يقـــوم بالمهمات الرئيسية للرسول عليه السلام :

١ ـــ تلاوة آيات الله فى الكون والتاريخ •

٢ ـــ تعليم الكتاب والسنة •

٣ ـــ تطهير النفس البشرية من أمراضها •

٤ ـــ تعليم الناس ما يزيل جهالاتهم فى أى شأن من شئون الحياة •

(جـ) متى وجد الوارث والدعـــوة الى الله وجد العداء قال تعـــالى : **« وكذلك جعلنـــا لكل نبى عـــدوا شياطين الانس والجن »**[1] • **« وكذلك جعلنـــا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون »**[2] •

وهذا يقتضى ملكات خاصة وقدرات خاصة وبصرا خاصا فى الصراع وأساليبه وفى التطويق والاحاطة • من تأملنا للفقـــرات السابقة نعرف ضخامة ومعنى الوراثة الكاملة لرســـول الله صلى الله عليه وسلم وندرك بالتـــالى الاحتياجات الكبيرة للتحقق فمثلا : القيام بالتبليغ يقتضى حالا معينة مع الله قال تعالى : **« الذين يبلغون رسالات الله ويخشـــونه ولا يخشـــون أحدا الا الله »**[3] فمتى كان فى قلب انســـان خشية من غير الله فانه لا يستطيع أن يقوم بواجب التبليغ • والفطانة فى عصرنا تقتضى احاطة بثقافة العصر ليستطيع الانسان أن يقيم الحجة على أبناء العصر من خلال معارفهم والصراع مع الكفر والنفاق وأهلهما فى هذا العصر يقتضى ادراكا دقيقا لأســـلحة هؤلاء الخصـــوم وشبكات العمالة الداخلية والخارجية التى تربط بينهم وتأثير ذلك على طريقة الصراع ومجموع الأســـلحة التى يمكن أن تستعمل ومعرفته بطريقة تفويت عمل هذه الأسلحة ، والعصر الذى نحن فيه يقتضى قدرة خاصة على رفع امكانيات الأمة وطاقاتها الى مستوى مدنية العصر ، هـــذا كله بجانب القـــدرة على التعليم والتربية الاسلاميتين مع الوعى العام وحسن التصرف مع غير المســـلمين فاذا أدركنا هـــذا عرفنا عبء الوصول الى أن يكون الانســـان وارثا نبويا وعرفنا ثقل البدايات التى هى ايجاد طبقة كبيرة عريضة واسعة تغطى احتياجات الأمة للارتقاء •

---

(١) الانعام : ١١٢ •
(٢) الانعام : ١٢٣ •
(٣) الأحزاب : ٣٩ •

ولا شك أن وجود هـذا الوارث لا يتم الا ببذل جهد كبير من أناس أصحاب همة عالية يرغبون فى الوصول الى هذه المقامات ويؤدون ثمن ذلك قال تعـالى : « **لقد كان لكم فى رسـول الله أسـوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخـر وذكر الله كثيرا** »[1] وقال تعالى : « **وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لمـا صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون** »[2]. وقال تعالى : « **واذ ابتـلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن ، قال انى جاعلك للناس اماما ، قال ومن ذريتى ، قال لا ينال عهدى الظالمين** »[3]. وقال تعـالى : « **وما كان المؤمنون لينفـروا كافة ، فلولا نفـر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعـوا اليهم لعـلهم يحذرون** »[4] . وقال تعـالى : « **ومن يؤت الحكمة فقـد أوتى خيرا كثيرا** »[5] فالصبر والذكر والقيام بأوامر الله تامة غير منقوصة والفقه فى دين الله والتوفيق من الله ليكون الانسـان حكيما ، كل هذه المعانى شروط للوصول الى صفة الوارث الكامل وباختصار :

ان الطريق لوجود الوارث الكامل يبدأ بانبعاث همة انسـان فيترك كل شىء وراءه ويعطى الوصول الى هذه الرتبة لوازمها وتتهيأ له ظروف الوصول من أساتذة يربون ويعلمون ومن مطالعة شـاملة ومن عمل صالح وذكر ومن دأب وصبر يتحمل به لأواء الطريق فاذا وجد الوارث الكامل فانه من بعض واجباته :

١ ــ توجيه الأمة فى طريق يتعـلم فيه كل انسـان فروضـه العينية ويكون رجل قمة فى اختصاص ما فالاسلام قد جعـل العلوم قسمين ، فرض عين وفرض كفاية . وكما أن الوارث مهمته أن يعـلم الناس فروض العين فان مهمته كذلك أن يدفع الناس فى طريق فروض الكفاية وأن تكون لديه الفراسـة الكاملة لتوجيه كل انسان فى الاختصاص الذى يناسبه بحيث تسـع مجموع الاختصاصات مجموع ما يلزم للأمة **وهذا موضوع واسع اذ فرض العين يختلف من انسان الى انسان** وفرض الكفاية أوسع مدى من مجـرد ما يراه النظر البادى ويدخل فى فروض العين التى عليه أن يعلمها الفهم الصحيح للاسـلام ومعرفة العقائد والعبادات والأخلاق والآداب وكثير من أحكام الاسلام فى

---

(١) الأحزاب : ٢١ .
(٢) السـجدة : ٢٤
(٣) البقرة : ١٢٤
(٤) التوبة : ١٢٢ .
(٥) البقرة : ٢٦٩ .

المعاملات ، ويدخل فى فروض العين معرفة الأمور المعلومة من الدين بالضرورة ومعرفة ترتيل القرآن ومعرفة شيء من السنة والسيرة وكثير من قضايا العصر وموقف الاسلام منها لتكون عنده مناعة عن الضلال ويدخل فى فروض العين أدب الحياة والتعامل والوعى العام على قضايا الاسلام والمسلمين ومن ثم فالأمر أوسع مما يتصوره الكثير ، ومن ثم فتربية المسلم على فروض العين ودفعه ليكون رجل قمة فى اختصاص ما عمل دقيق مهم .

٢ — الارتفاع بالمسلم الى سقفه الأعلى عقلا وقلبا وجسدا ، وروحا وهذا لا يكون الا اذا كان الوارث كاملا علما وعملا وحالا قد ورث عن الرسول صلى الله عليه وسلم علمه وعمله وحاله ضمن الحدود التى تمكن وراثتها وما أكثر العاجزين عن الارتقاء بالمسلم فى هذا كله بل ما أكثر الذين يجعلون المسلم فى متناقضات ما بين عقله وقلبه أو جسده وروحه .

٣ — الجمع بين التعليم والتربية والوعظ والدعوة ، فهو يدعو ويعظ ويعلم ويربى ودعوته ووعظه فيها الحكمة والبلاغة وتعليمه فيه معنى الشمول للكتاب والسنة والفقه وما يلزم من علوم لها صلة بهذه الأمور وتربية شاملة للنفس البشرية فى ارتقاء بها من حال الى حال ومن خلق الى خلق .

٤ — تربية الشخصية القوية والمستقلة والقادرة على الحياة الجماعية الصحيحة ، والحياة الجماعية الصحيحة تقتضى تنظيما وترتيبا فالله عز وجل ذكر الرسل عليهم السلام وذكر النقباء وذكر المجاهدين وذكر الأنصار ، والوارث جزء من مهمته أن يربى النصير والمجاهد والنقيب وأن يدمج هؤلاء جميعا فى حياة مشتركة يفجر فيها طاقاتهم جميعا نحو تحقيق الأهداف الاسلامية وهذا لا يتم الا بتربية عالية على آداب التعامل الاسلامية وبتربية عالية للنفس البشرية ، ولا يتم الا بتوفيق ربانى واستعداد عال ، ولابد أن يكون ذلك كله ضمن نظرية واضحة فى التربية والتعليم تسع طبقات الناس وتعطى كل انسان حسب استعداده وتأخذ بيد كل انسان الى ما يستأهل أن يصل اليه .

وثم واجبات أخرى للوارث الكامل يعرفها مطالع هذه الرسالة ومطالع بقية سلسلتنا « فى البناء » تعمدنا ألا نذكرها هنا لتبقى

هذه الرســالة جزءا من كل فان الأوضاع العامة للمســلمين لا تسع أن يقال كل شيء ولا تسع أن يجمع ما يجب قوله في مكان واحد •

ان من أهم واجبات الوارث هو ايجاد مجموعة النقبــاء الذين يغطون جوانب العمل الاســلامي ، ويغطون العمل في كل طبقــات الأمة من الصغار الى الكبار ومن النســاء الى الرجال ومن العمال الى الموظفين ومن المدنيين الى العسكريين ومن العامة الى المثقفين والذين هم مع تخصص كل واحد منهم في العمل ضمن طبقة من الناس فان كل واحد منهم متخصص في جانب من جوانب العمل الاسلامي بشكل أخص من الدعوة الى السياسة الى غير ذلك•

الا أن طبقة النقباء لا تأتي الا من خلال طبقة المجاهدين ، وطبقة المجاهدين لا تأتي الا من خلال طبقة الأنصــار ، ان الاحتراق بخصائص المرحلة الدنيا هو الذي يفرز الى مرحلة أعلى وقديما قالوا : من لم تكن له بداية محرقة فلن تكون لها نهاية مشرقة • ان المســألة ما لم تكن كذلك فان القمة قــد يتســلقها الجامدون العاجزون عن أن يتحركوا أو يحركوا ، وان المســألة ليست أن تسمى انسانا نقيبا ولكن المسألة أن يوجد النقيب فعلا ولا نقيب اذا لم يكن الانســان عند الله نقيبا •

وأحب في هــذا المقام أن أســجل كلمة لغرض في نفسي : ان كثيرين من اخواني يلومونني على كتاباتي بعضهم يلومني خوفا علي وبعضهم يلومني لأنني أذكر ما لا ينبغي ذكره لأنه ممــا لا ينبغي أن يعرفه أحد وهذه الكتابات معرضة لأن تقع في أيدي الكثيرين وأقول : انني رجل مريض ان لم يمت قتلا فسيموت مرضا ونحن مســلمون نؤمن أن القتل في سبيل الله أكرم وأطيب ، ثم انني لا أجــد طريقا أقول للمسلمين كل ما ينبغي الا هــذا الطريق وكوني قلته ونشرته لا يعني أنه معمول به حتى يتحمل أحد مسئوليته غيري لأنه لو كان موجودا ما احتجت أن أكتب فيه وأما أن ما أكتبه قد يسبب ضررا لأنه يجعل الآخــرين يفتحون أعينهم على المسلمين فالجواب عليه : ان أي مســلم يستطيع أن يتبرأ مني متى رأى ضرورة ذلك وأنا أبيح له من نفسي ذلك وبهذه المناسبة أقول : ان أي عمل سياسي في العــالم اذا لم يملك غطــاء عالميــا يغطيه فانه معرض للزوال ونحن المسلمين لا يجوز لنا اطلاقا أن نفكر في غطاء عالمي ، ان الغطــاء الرباني وحده هو غطاؤنا ومن ثم

فعلينا أن نستبدل بالغطاء العالمى كل ما يحتاجه العمـل من تمويه وطروح وأن يكون ذلك فى الله ولله وهـذا كله بدون توكل على الله لا يؤتى ثماره ولنعد الى سياق البحث •

٧ ـــ قد يكون مناسبا أن أتحدث بعـد الاجمال السابق عن شىء من عمل الدعاة الى الله عز وجل وما أذكره لا يخـرج عن كونه مثالا يقاس عليه ولا يتجمد بسببه : افترض أنه وجـد الداعية الى الله أى الوارث أى العالم العامل فماذا عليه أن يعمل ؟ •

لقـد قال الله عز وجل : « **ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتـاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبـادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسـون** »(١) فلنتأمل قوله تعـالى : « **ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون** » لندرك أن تعليم الكتاب ودرأسته ودراسة ما يلزم لفهمه هو الربانية ومن ثم فالعـالم لا يستحق الربانية اذا لم يكن معلما لكتاب الله عز وجل ، وقد جرت سنة التربية النبوية أن يعـلم رسول الله صلى الله عليه وسـلم الايمـان قبل القـرآن كما قال ابن عمر رضى الله عنه : « لقد عشـنا برهة وان أحدنا يؤتى الايمـان قبل القرآن ••• » ومن ثم فالعالم الربانى اذ يربى على الايمـان قبل القرآن ومن خلال التربية على الايمـان والقرآن تظهر لديه استعدادات الناس للارتقـاء من طور الى طور • ومن ثم فهـذا سقفه أن يكون نصيرا وهذا سقفه أن يكون مجاهدا وهـذا سقفه أن يكون نقيبا وهـذا سقفه أن يكون وارثا مرشـدا وهـذا استعداده أن يعمل فى الحقل السياسى وهذا استعداده أن يعمل فى الحقـل التعليمى وهذا استعداده أن يعمل فى حقـل الدعـوة المفتوحة الى الله عز وجل وهذا استـعداده أن يعمـل فى باب الجهـاد فى سبيل الله وهـذا استعداده أن يخدم فى الاطار المـالى لخدمة الاسلام والمسلمين ، وهذا استعداده أن يخـدم فى حقـل التربية • والداعيـة يعـلم ويربى ويفـرز ويوجـه ويرقى • ومن الظـلم أن يعطـل طاقة ومن الظـلم أن يعـطى لانسـان خـلاف اسـتعداده ومن الظـلم ألا يوجـه انسـانا لمـا يحسنه أو أن يوسد الى انسان ما لا يحسنه وفى الحديث :

---

(١) آل عمران : ٧٩ •

« واذا ضيعت الأمانة فانتظر الســاعة قيل : وكيف تضييعها قال : اذا وسد الأمر الى غير أهله ... » أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

وهذا كله يمكن أن يتم من خلال الحلقات العامة والمغلقة ومن خلال التربية الفردية على طريقة الذكر والعلم قال عليه الصلاة والسلام : « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه أو عالمـا ومتعلما » وذلك كله ينبغى أن يتم ضمن منهاج معين محدود على ضوء موازين دقيقة واضحة الاستمداد من الكتاب والسنة ومتى كان المنهاج معروفا والموازين معلومة والهدف عند المربى واضحا فلا يضر أن يبدأ المربى من حيث يمكن البدء ليصـل الى ما ينبغى أن يصـل اليه وقد جرت عادة الصوفية أن يبدأوا بالذكر ، وجرت عادة العلمـاء أن يبدأوا بالعلم . والبداية بالعلم والذكر هى الأجود والأكمل والأخصر طريقا .

* * *

والابتـداء بفرد أو مجموعة كل ذلك فيه خير ولكن التربيـة والدعوة من خلال حلقات العلم والذكر مع التربية الخاصـة لكل فرد منتسب للحلقات هى الطريق الأجـود مردودا واذا تعذر فكل طريق يحقق الهدف يكون طيبا . والابتـداء فى حلقة فى مسجد طيب فان لم يكن ففى بيت واذا تعـذر ذلك فكل طريق يحقق الهدف يكون طيبا . قد تستطيع أن تقـدم الكثير ضمن حلقة ، ويبقى القليل طريقه التفهيم المباشر والكلمة التى لابد منها اذا كان أداؤها بطريق يسبب ضررا وأداؤها بطريق آخـر لا يسبب ضررا فالأحمق وحده هو الذى يختـار الطريق الضار ، أما اذا كان هناك عمل لابد منه ولا يصلح له الا طريق محدد فعندئذ لابد من سلوك هـذا الطريق المحدد .

* * *

ان ابراز الاعجاز القرآنى أو أنواع من الاعجاز القرآنى قـد يكون بداية صالحة ، فاذا سـار الانسان فى طريق اتقان تلاوة القرآن فان ذلك يكون أجـود بداية على الاطلاق لأنه من خلال ذلك يصـل الانسـان الى كل شىء بحكم أن القرآن فيه بيان كل شىء ، فاذا رافق ذلك كله التركيز على سنن من الذكر كالاستغفار اليومى والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والاكثار معه من ذكر « لا اله الا الله » وأمثال ذلك ممـا وردت فيه أحاديث خاصة ثابتة تكون البداية أجـود ما تكون وكل ذلك ينبغى أن يقدم من خلال النصوص ، فاذا

رافق ذلك فقه الصلاة والانفاق فى سبيل الله مع فقه الايمان وتحرر ولاء المسلم من كل ولاء للطاغوت ليصبح صافيا لله ورسوله والمؤمنين فان نجاحا ما قد تم لأن الله عز وجل وصف أنصار حزب الله بقوله : « **انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون • ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون** »(١) • ان هذه المرحلة هى عتبة السير وهى الأساس فيه وبقدر نضج المسلم فى هذه المرحلة يكون استعداده للسير فى مرحلة أخرى أجود ، ان المرحلة الأولى هى مرحلة التربية على الايمان والصلاة والزكاة وتحرير الولاء لجماعة المسلمين ، وهذه قضايا تعتبر من أخطر القضايا الاسلامية والانضاج فيها ليس سهلا فقد يقتضى الانضاج مجموعة من الظروف ومجموعة من الدراسات وكل ذلك ينبغى أن يؤمنه الداعية الى الله عز وجل وفى كثير من الأحيان قد يكون الانضاج يحتاج الى دراسات عليا هى فى الأصل من برنامج المجاهد أو برنامج النقيب أو من برنامج الوارث وكل ذلك ينبغى أن يعطى لأن أخذ هذه المعانى فى الابتداء ان كان ضروريا لانضاج المرحلة الأولى فهو يسرع فى الانضاج فى بقية المراحل • وعلى كل الأحوال يبقى ميزان هذه المرحلة هو تحرير الولاء وكمال الايمان وأداء الصلاة والزكاة •

أما المرحلة الثانية : فميزانها قوله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله واسع عليم** »(٢) • وعلامة النضج فيها التحقق بمحبة الله عز وجل بأن يسير الانسان فى طريق ذلك ، والتحقق بالذلة على المؤمنين بأن يتخلق الانسان بمجموعة أخلاق المعاملة الاسلامية مع المسلمين والتحقق بالعزة على الكافرين شعورا وسلوكا بأن يطبق المسلم أحكام الاسلام مع أنواع الكافرين والتحقق بالجهاد كله بممارسته عمليا •

أما المرحلة الثالثة : فميزانها كون النقيب نائبا عن الوارث ومن ثم فينبغى أن يأخذ حظا ما من كل جانب من جوانب الثقافة الاسلامية

---

(١) المائدة : ٥٥ ، ٥٦ • (٢) المائدة : ٥٤ •

يحدد على ضوء الكتاب والسنة وقد رأينا جوانب هذه الثقافة فى كتاب « جند الله ثقافة وأخلاقا » أيضا •

أما المرحلة الرابعة : وهى مرحلة الوارث الكامل فميزانها ما رأيناه فى فقرات هذا البحث ، وأن يأخذ الانســان حظا عاليا من كل جوانب الثقافة الاسلامية وأن يتربى على أيدى وراث كاملين وأن يجيزوه فى الدعوة والارشــاد والتعليم وما أندر الذين يستأهلون أن يجيزوا بجدارة •

* * *

ومن الخيانة أن يستأهل الانســان رتبة ولا يعطاها ومن الخيانة أن يعطى الانســان رتبة ولا يستأهلها وفى الحديث : « من استعمل رجــلا على عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه فقــد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين » ومن الخيانة أن يكون عند انســان استعداد لمقام ثم لا ننهض به الى هذا المقام •

* * *

ولا شك أن ادراكات الناس تتفاوت وثقافتهم تتفاوت ويبقى مع هذا الارتقاء بكل مسلم هو الأساس من خلال تعليمه وتربيته ولكنا لا نحلم أن يستطيع كل مســلم أن يقــرأ البرامج الضخمة التى كتبت كعلاج لأقصى الحالات ولاعطاء أبعد الكمالات فى مرحلة ما ومن ثم فالعبرة للتحقيق بالمعانى وخاصة فى المرحلتين : الأولى والثانية أما المرحلتان : الثالثة والرابعة فلا شك أن العلم والتوسع فيه شىء لابد منه •

وقد تجــد انســانا تحقق فى معــان مع قلة دراسة ، وقد تجــد انسانا لم يتحقق بمعان على ســعة دراسة والميزان دقيق ، ويبقى هضم برنامج المرحلة الدراسى مع التحقق بالمعانى هو الضمانة الوحيدة لعدم تقلب الآراء لقوله عليه السلام : « تكون فتن لا ينجــو منها الا من أحيــا الله قلبه بالعــلم » • ولقوله عليه السلام : « مثل الذى ليس فى جوفه شىء من القرآن كالبيت الخرب » ولقوله عليه السلام : « مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه كمثل الحى والميت » ولكن اذا فات كثير العــلم فان كثير العبــادة والعمل والمذاكرة الدائمة قد تعوض •

ولا شىء كالحركة واطلاق الطاقات يكون الشخصية الاسلامية ومن فاته أن يربى المســلم من خلال الحركة واطلاق طاقاته كلها فانه

عاجز ولا شيء كربط المسلم بالقرآن والذكر والاجتماع بأهل الخير والصلاح •

ولكن كان الشيخ خالد الحضرة وهو من أعظم أولياء وعلماء بلاد الشام يقول لخلفائه وهم علماء أولياء : « انكم تخربون أكثر مما تعمرون • ان كثيرين ممن لا نشك بصلاحهم لجهلهم أو لقلة وعيهم يخربون أكثر مما يعمرون » •

***

ان عملية الانضاج فى أى شىء تجعل الناضج فى هذا الشىء مساعدا فى نقل هذا النضج الى الآخرين ، وبقدر وجود الناضجين فى كل شىء يمكن انضاج الأمة بشكل عام وهناك قضيا يحتاج النضج فيها الى أزمنة كالايمان وهناك قضايا يحتاج النضج فيها الى جهد زائد فبقدر بذل الجهد يمكن النضج السريع اذا وجد الاستعداد ونحن نحرص على أن نوزع بعض الأمور على جلسات متطاولة فتؤخذ شيئا فشيئا • فمثلا : اتقان تلاوة القرآن يحتاج الى مجموعة أمور :

(١) معرفة أمهات الأحكام مع التطبيق فى التلاوة •

(٢) دراسة رسالة فى علم التجويد لنعرف دقائق العلم مع التطبيق ثم بعد ذلك ختم القرآن مرة واحدة على الأقل مع التطبيق الدقيق للأحكام والتذكير الدائم فيها هذا كله من أجل أن ينضج الانسان فى احسان تلاوة القرآن ولكن التفاعل مع القرآن وفهم آياته ونصوصه وادراك علومه بحر لا نهاية له ، ونحن نختار أن تبدأ دعوة المسلم الى أن يعطى جزءا من وقته لهذا القرآن وحبذا لو ذكر بالأحاديث الواردة فى ذلك من مثل قوله عليه السلام : « وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده » •

ولتبدأ الجلسة القرآنية بعرض نموذج أو نموذجين من اعجاز القرآن مما ذكرنا بعضا منه فى كتابنا « الرسول » ثم يبدأ أخذ دروس التلاوة لمريد قراءة القرآن وليحرص المربى على أن يركز على قضايا الايمان فى كل جلسة بعد تبيان السنة النبوية فى باب التربية بأن يسبق الايمان القرآن •

ففى جلسة يذكر بأن الصلاة ايمان بدليل قوله تعالى : « وما كان

الله ليضيع ايمانكم»(1) اذ جاء هذا جوابا للسائلين عن صلاة من ماتوا قبل أن تتحول القبلة ويركز بهذه المناسبة على الصلاة فرائضها ونوافلها وأذكارها ..

وفى جلسة يركز على الايمـان الذوقى أخذا من قوله عليه السلام : « ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا » ويركز خلال ذلك على دراسة سلسلة الأصول الثلاثة .

وفى جلسة يركز على حلاوة الايمـان أخذا من قوله عليه السلام : « ثلاث من كن فيه وجد بهن طعم الايمـان من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ومن أحب عبدا لا يحبه الا لله ومن يكره أن يعود فى الكفـر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى فى النار » رواه البخارى ومسلم والترمذى وأبو داوود . ويركز خلال ذلك على محبة الله ورسوله بسـلوك طريق المحبة من توبة وطهارة وغير ذلك . ويركز على سنة الاسـتغفار اليومية بعد الصـلوات وبشكل مطلق وأن تكون محبته فى الله ولله فلا يصادق الا مسـلما وأن يكره الكفـر وأهله . وفى جلسة يركز على قضية القلوب وأنواعها أخـذا من قوله عليه السلام : « القلوب أربعة : قلب أجـرد فيه مثل السراج يزهر وقلب أغلف مربوط على غلافه ، وقلب منكوس وقلب مصفح فأما القلب الأجـرد فقلب المؤمن سراجه فيه نوره ، وأما القلب الأغلف فقلب الكافر وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر ، وأما القلب المصفح فقلب فيه ايمان ونفاق ومثل الايمـان فيه كمثل البقلة يمـدها المـاء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها الدم والقيح فأى المـادتين غلبت على الأخرى غلبت عليه » ويركز على ضرورة الامـداد الايمانى للقلب ويركز بشكل خاص على الصـلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف أنها أقرب طريق للخـروج من الظلمة الى النور جمعا بين قوله عليه السلام : « من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا » وبين قول الله جل جلاله : « **هو الذى يصـلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمـات الى النـور** »(2) وفى جلسة يركز على تجديد الايمـان أخذا من قوله عليه السلام : « جددوا ايمانكم . قيل : كيف نجـدد ايماننا يا رسول الله ؟ قال : « أكثروا من قول لا اله الا الله » ويركز هنا على الدوام على :

---

(1) البقرة : ١٤٣ .   (2) الأحزاب : ٤٣ .

« لا اله الا الله » عامة وعلى الالتزام بما ورد فى الحديث الصحيح التالى خاصة : « من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير فى يوم مئة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مئة حسنة ومحيت عنه مئة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يوم ذاك حتى يمسى ولم يأت أحد بأفضـل مما جاء به الا رجل عمل أكثر منه ومن قال سبحان الله وبحمده فى يوم مئة مرة حطت عنه خطاياه وان كانت مثل زبد البحـر » للشيخين والموطأ والترمذى .

وفى جلسة يركز على الزكاة والانفاق أخذا من قوله عليه السلام : « والصدقة برهان » أى برهان على الايمـان قال تعالى : **« الذى يؤتى ماله يتزكى »**(١) فالانفاق طريق الى تزكية النفس . وفى جلسة يركز على تلاوة القرآن كمذكر ومرب على قضية الايمـان أخذا من قوله تعـالى : **« واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا »**(٢) ويركز خاصة على ورد يومى من القـرآن أقله جزء أخذا من قوله عليه السـلام لابن عمرو بن العاص عن القرآن : « **اختمه فى شهر** » .

وفى جلسة يركز على ضرورة الالتزام اليومى بما مر كله لابقاء حياة الايمـان ومن أجل نموه كذلك فيستمر المسـلم على ورد يومى : يؤدى فيه فروض الصلاة وشيئا من نوافلها ويؤدى أذكارها ويؤدى فيه وردا يوميا من الاستغفار والصلاة على الرسـول صلى الله عليه وسلم ولا اله الا الله بما لا يقل عن مئة مرة ويتلوا جزءا من القرآن يوميا .

وفى جلسة يركز على ضرورة أذكار الأوقات والمناسبات وفى جلسه يركز على تحرير الولاء الخالص لله عز وجل أخذا من قوله تعالى : **« بشر المنافقين بأن لهم عذابا اليمـا . الذين يتخـذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين »**(٣) . وكل ذلك مع الاستمرار فى التلاوة . ثم يجمع مع التلاوة شيئا من فقه الصلاة والزكاة ويبدأ لفت النظـر الى بعض الكتب والدراسات كدراسة السيرة النبوية ودراسة بعض الرسائل فى العقائد والأذكار وكل ذلك على حسب الاستعداد والامكان .

* * *

---

(١) الليـل : ١٨ .   (٢) الأنفال : ٢

(٣) النسـاء : ١٣٨ ، ١٣٩ .

وخلال ذلك يمكن أن تقام دورات يومية يمكن أن تستغرق يوما أو ثلاثة أو أكثر للاسراع فى أخذ بعض المعانى وخلال ذلك يمكن أن يطلب من الانســـان أن يتفرغ بعض أيامه للاسراع فى عملية تنوير القلب من خلال الخلوات والاعتكافات فيطلب منه فيها أداء بعض سنن الذكر والفكر •

وبهذا كله وأمثاله يمكن أن ينضج الانســـان فى خلال سنة واحدة فى برامج المرحلة الأولى وتطبيقاتها والسنة ضرورية لأنه تمر فيها كل مناسبة تحتاج الى علم وفقه فاذا كان المربى حكيما ومحيطا بما يلزم المرحلة من كتب ومناهج ومعـــان فان المســـلم ينضج فى هذه المرحلة غاية فى النضج ، كما أنه تكتشف خلال هذه السنة استعداداته وسلبياته ويعرف ما اذا كان أهلا ليتحمل أعباء مرحلة قادمة أو يبقى فى اطار الدراسة وحدها حتى يأتى يوم يتم فيه استعداده فيكون جاهزا ومجهـــزا بكثير من أدوات المرحلة القادمة ونكتفى بهذا القـــدر هنا لأنه فى رسالتنا « فقه التكوين والعمل » قد تحدثنا عن رحلة التكوين كاملة فلتراجع •

* * *

٨ ـــ مما مر ندرك تصـــورا عاما عن قضية الصحة بدايتها وطريقها وشروطها ولوازمها وينبغى أن نقول كلمة عن علامة الصحة :

لقد رأينا من قبل الحديث الذى يذكر تداعى الأمم علينـــا وكيف أننا حينئذ نكون غثاء كغثاء السيل وأن عقوبة ذلك عند الله أن يقذف الله فى قلوبنا الوهن وهو حب الدنيا وكراهية الموت ، وما ذكرناه انمـــا هو لارجاع الوزن للمســـلم وعلامة الصحة أن يرفع الله عز وجل ما عاقبنا فيه فيعـــود الينا حب الموت والزهد فى الدنيـــا ، ولأمر فى غاية الحكمة جعل حسن البنا شعار اخوانه « الله غايتنا والرسول قدوتنا والقرآن دستورنا والجهاد سبيلنا والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا » وانه ما لم يوجد الرجل الذى يحب الموت ويزهد فى الدنيا فان النموذج الصحى فى أمتنا لم يوجـــد بعد ، وما لم يصبح المســـلمون كلهم كذلك فان المسلمين سيبقون غثاء كغثاء السيل •

* * *

٩ ـــ وبمناسبة الكلام عن ميزان الصحة نحب أن نقول كلمة عن الصراع بيننا وبين « أعداء الاسلام » •

ان البداية التى لا بداية غيرها ، هى وجود الجيل الذى يحب الموت • لأن مثل هــذا الجيل وحده الذى يجعل « أعداء الاسلام » فى كل مكان •• يعيدون حساباتهم ملايين المرات قبل أن يقـــدموا على « أى عدوان » على بلاد الاســـلام

ولا يمنع « أعداء الاسلام » من « الاعتداء » الا وجود مثل هذا الجيل ••

* * *

١٠ — وفى عملية السير من المرض الى الصحة ستكون الآلام كثيرة وسيكون المخاض عسيرا ولكن جرت سنة الله عز وجل أن يجعل بعد عسر يسرا ، وجرت سنته أنه من يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب قال تعالى : **« ومن يتق الله يجعل له مخرجا • ويرزقه من حيث لا يحتسب »**[١] •• **« ومن يتق الله يجعـــل له من أمره يسرا »**[٢] • وقال تعـــالى : **« واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين »**[٣] •

ونحن مبشرون بالنصر وعلينا أن نحسن السير ، واذا كان وجود المجـــدد فى الجيل هو بداية انطلاقة العمل الصحيح ، واذا كانت طبقة الوراث فى كل قطـــر هى البداية الصحيحة فى العمل فان شعبا ما لابد أن يتحمل تضحيات المرحلة الأولى ان فى اقامة دولة الله ثم فى تحمل ما يلزم لذلك فليكن هذا موضوع الباب التالى •

* * *

---

(١) الطلاق : ٢ ، ٣ •
(٢) الطلاق : ٤ •
(٣) البقرة : ١٩٤ •

الباب الخامس

دعوة الأنبياء لواء شرف لمن يحمله

قال تعالى : « **واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم أذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين** »(١) وقال تعالى مخاطبا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم : « **وانه** » أى هذا القرآن « **لذكر لك ولقومك** » أى لشرف « **وسوف تسئلون** »(٢) عن هذا الشرف وهذا القرآن ، كل ذلك يدل على أن من نعم الله الكبرى على أمة أن ينزل عليها وحيا ويبعث منها رسولا. قال تعالى : « **هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين** »(٣) ومن هذه الآية الأخيرة نستشعر كم منة لله عز وجل على العرب أن بعث فيهم محمدا صلى الله عليه وسلم فلنتذكر هذه المعانى مجتمعة متأملين معها المعانى التالية :

قلنا من قبل ان الصيغة النهائية والخاتمة والشاملة والمكلفة بها الانسانية كلها هى الاسلام الذى أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم والذى مصدراه الرئيسيان هما الكتاب والسنة ، هذا الاسلام شرف الله بحمله العرب أول مرة ومن ثم قال عمر بن الخطاب : « نحن قوم أعزنا الله عز وجل بالاسلام فمهما ابتغينا العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله » وفى هذه الكلمة ادراك دقيق عميق من عمر رضى الله عنه لارتباط مجد العرب بهذا الاسلام ومن ثم نلاحظ أن العرب منذ أنزل الله عز وجل عليهم الاسلام لا تجد موقف شرف لهم الا وهو

---

(١) المائدة : ٢٠ .
(٢) الزخرف : ٤٤ .
(٣) الجمعة : ٢ .

مربوط بهـذا الدين ولا تجد موقف خزى أو ذلة لهم الا بسبب بعـدهم عن هـذا الدين فى الوقت الذى نلاحظ فيه أن ذلة العرب لا تعنى ذلة الاسلام بل اننا نجـد أن لواء الاسـلام عندما تخلى عنه العرب رفعته شعوب أخـرى فعزت به ومن ثم نجـد أعلام عز ارتفعت للسلاجقة والبويهيين والمرابطين والعثمانيين وذلك مصداق قوله تعالى : **« وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم »**(١) وقد استبدل الله عز وجل بالعرب شعوبا أخرى نالت شرفا عجيبا وأقرب مثال الينـا الدولة العثمانية التى كانت خلال خمسة قرون أعظم دولة فى العـالم بحملها هـذا الدين ولو أننـا تتبعنا بدايات انهيارها فاننا نراه متناسبا مع زيادة الانحراف عن أمر الله عز وجل ومع ذلك فانه بسقوط الخلافة العثمانية سقط السلطان السياسى للاسلام ولا يزال هذا السقوط مستمرا ومن ثم فان لواء الاسـلام وهو لواء الشرف الوحيـد فى هـذا العالم ينتظر شعبا يحمله ليشرف به ويتصدر لهذا الحمل ويتحمل مسئولياته ، فهل يثوب العرب الى رشدهم فى هـذا الشأن أو لا ؟ ويبدو أننا بحاجة الى الكلام عن مجموعة قضايا فى هذا المقام .

١ — ان هـذا الاسلام فى كل العصور يقيض الله عز وجل له من يحمله قال تعالى : **« أولئك الذين آتيناهم الكتـاب والحكم والنبوة ، فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين »**(٢) وقال عليه السلام : « يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله ينفـون عنه تحريف من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتى أمر الله » . وروى عنه عليه السلام : « يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله ينفـون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » واذ يحمل أحد هـذا الدين شعبا كان أو فردا فان لله المنة عليه فلا من لأحد على الاسـلام بل لله المن على كل أحد حمل هذا الدين **« يمنون عليك أن أسـلموا ، قل لا تمنوا على اسلامكم ، بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين »**(٣) .

٢ — انه ما من أحد حمل هـذا الدين حملا صحيحا الا كانت بركات ذلك عائدة عليه سـواء أكان ذلك فردا أو أمة أو قبيلة أو أسرة فهؤلاء العرب كشعب عادت بركات حمل الاسلام عليهم بما لا يحصى ،

---

(١) محمد : ٣٨ .
(٢) الأنعام : ٨٩ .
(٣) الحجرات : ١٧ .

فمن الناحية الاقتصادية انصبت خزائن العالم فى أرضهم ومن الناحية السياسية سادوا أكثر العالم القديم ومن الناحية المعنوية كانوا حملة رسالة نقلوا فيها الكثيرين من الظلمات الى النور ومن الناحية الحضارية استلموا مشعل المدنية العالمية فزادوه ضياء وأعطوه لشعوب العالم .

واذا درست حال الجيل الأول الذى حمل الاسـلام وقارنت بين ما كان وما يمكن أن يكون لولا الاسلام وبين ما كان وآل اليه أمره بعد الاسلام لرأيت عجبا . واذا درست ما آل اليه أمر قبائل الصحراء الغربية جدالة وملطة ولمتونة بعـد اذ حملت الاسلام حق الحمـل فكان من آثار ذلك دولة المرابطين التى حكمت المغرب والأندلس سنين طويلة فانك ترى بركات ذلك عليهم واضحة .

والأمثلة فى التاريخ قديما وحديثا كثيرة جدا ولا عبرة بجـزء مرحلة بل العبرة فى مرحلة متكاملة ولسنا هنا فى معرض التفصيل بل فى معرض التقعيد والتذكير .

ان بركات حمل الاسلام على الفرد طمأنينة قلب لا حدود لها وسعادة نفس لا مثيل لها وهذه وحدها لا يعدلها شىء . قال تعالى : **« من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حيـاة طيبة ، ولنجزينهم أجـرهم باحسـن ما كانوا يعمـلون »**(١) وقال تعـالى : **« فمن اتبع هداى فلا يضـل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى »**(٢) ان بركات حمل الاسلام شىء لا نهاية له على حامليه والأمور بخواتيمها ولا عبرة كما قلنا بجزء حياة ولا بجـزء مرحلة قال تعـالى : **« والعـاقبة للتقـوى »**(٣) .. **« والعاقبة للمتقين »**(٤) .

٣ــ عندما نقول حمل الاسلام فينبغى أن يعرف ماذا يراد بهـذا الحمل ؟ اننا نريد بهـذا الحمل الحمل الكامل الشامل الذى لا احتراس معه ولا احتراز ولا خلط له بغيره ولا نقصان منه ولا زيادة عليه .

أما الحمل المحترس أو المحترز أو الحمل المخلوط أو الحمل الناقص أو الحمل الزائد فكل ذلك لا يعتبر حملا ولا تترتب عليه آثاره التى وعد الله عز وجل بها حملة دينه .

---

(١) النحل : ٩٧ .
(٢) طه : ١٢٣ ، ١٢٤ .
(٣) طه : ١٣٢ .
(٤) الاعراف : ١٢٨

فالحمل الناقص يدخلنا فى قوله تعالى : « **أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، فمـا جــزاء من يفعل ذلك منكم الا خــزى فى الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب** »(١) ٠

والزيادة فى الاسلام غلو فيه ويدخلنا فى قوله تعالى : « **قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضــلوا من قبل وأضلوا كثيرا** »(٢) ٠

والاحتراس أصلا لا يرشحنا لحمل دين الله فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنى شيبان لمـا احترسوا : « ان دين الله لا يقيمه الا من حاطه من جميع جوانبه » ان شعبا ما أو دولة ما تحمل الاسلام حق الحمل يعطيها الله عز وجل من نصره وتأييده ما لا يدخل فى الحسبان ٠ « **ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز ٠ الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهــوا عن المنكر ، ولله عاقبة الامور** »(٣) ٠٠ « **ان ينصركم الله فلا غالب لكم** »(٤) ٠

٤ ــ ولكن هل قضية حمل الاسلام هى من قضايا الخيارات بالنسبة للانســان أو الشعوب أو البشرية حتى تنظــر اليها بمقدار ما تقدمه من فوائد أو ترتبه من مضار دنيوية ؟ ان حمل الاسلام هو نفع خالص فى الميزان الشــامل الذى يشمل الدنيا والآخــرة ومع هــذا فان حمل الاسلام مفروض على الانســان والشعوب أولا وأخيرا ٠ فالانســان مكلف بحمل هذا الاسلام والشعوب مكلفة بحمل هذا الاسلام والانسانية كلها مكلفة من الله عز وجل بحمل هــذا الدين ٠ « **قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا** »(٥) ٠

وقد رتب الله عز وجل على رفض التكليف أمورا فى الدنيا والآخرة ، وقد رتب الله عز وجل على الانحــراف عن التكليف أمورا فى الدنيــا والآخرة ، فليس أمام أحد خيار فى القبول أو الرفض وليس أمام شعوب العالم خيار وليس أمام الانسانية خيار فى موضوع حمل الاسلام ٠

٥ ــ وفى كل زمان ومكان تبقى شبهات الكافرين وطروحهم واحدة وقد سجل القــرآن كل طرح وكل شبهة ورد عليها ومن طروح الكافرين

---

(١) البقرة : ٨٥ ٠
(٢) المـائدة : ٧٧ ٠
(٣) الحج : ٤٠ ، ٤١ ٠
(٤) آل عمران : ١٦٠ ٠
(٥) الأعراف : ١٥٨ ٠

فى زمن النبوة طرح يطرحه الكافرون حديثا : **« وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا »**(١) نفس منطق الكافرين حديثا اذ يقولون : اننا اذا حملنا الاسلام تكالبت علينا أمم الأرض كلها قال تعالى رادا على أولئك : **« أو لم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شىء رزقا من لدنا ولكن اكثرهم لا يعلمون »**(٢) لقد مكن الله لهم حرما آمنا وهم كافرون • فكل شىء فعله • أفيخافون على أنفسهم بعد أن يسلموا لله رب العالمين ، انه الجهل بالله هو الذى يجعلهم يقولون ما يقولون وهى العلة نفسها التى تجعل هؤلاء يقولون ما يقولون •

٦ — وقد يكون مناسبا فى هذا السياق ونحن نذكر الانسان كل انسان بوجوب حمل الاسلام ، ونذكر الشعوب كل الشعوب بوجوب حمل الاسلام ، ونذكر الانسانية كلها بذلك أن نقول كلمة للعرب وعن العرب وأن نذكر بعض العرب الذين هم مظنة خير تشهد لذلك الآثار الا أننا ونحن نتحدث هذا الحديث لا نحب أن يفهم فاهم أننا نتعصب لغير الاسلام أو أن كلامنا عن العرب أو تخصيصهم بالذكر اهمال لغيرهم أو انتقاص لدور شعوب العالم الاسلامى • ان الأمر ليس كذلك وانما نخص العرب بالذكر والتذكير لأنهم الحملة الأولون لهذا الدين ولأن هذا الدين بلغتهم ومن ثم فهم مطالبون به ومكلفون بحمله تكليفا أوليا قائمة الحجة عليهم فيه أكثر من غيرهم فتخصيصهم بالذكر من هذا الباب وهى خصوصية لا تنقص من قدر غيرهم بل لتحملهم مسئولية خاصة ، واذا اتضح هذا نقول :

(١) ان رقعة العالم العربى الممتدة هذا الامتداد الكبير فى أفريقيا وآسيا ما كانت لتكون كذلك لولا الاسلام بل ان أجزاء من الأرض العربية كانت ستصبح رومانية أو فارسية لغة وعادات وتقاليد لولا الاسلام •

(٢) ان كثيرا من الأرض العربية كانت تابعة لدول أخرى والاسلام هو الذى غير ذلك الوضع •

(٣) ان الاسلام هو الذى جعل اللغة العربية لغة عالمية اذ أن كل مسلم فى العالم ينظر الى هذه اللغة بتقديس ويحب أن يتعلمها •

---

(١) القصص : ٥٧ •   (٢) القصص : ٥٧ •

(٤) ان الاسلام جعل العرب أصحاب رسالة لشعوب العالم مركزهم فيها مركز المعلم .

هذه بعض بركات الاسلام على الشعب العربى فبالله ما أكبر كفر الكافرين من العرب بهذا الدين وما أكثرهم وما أجرأهم على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ودينه ، وانها لجاهلية أعتى من الجاهلية الأولى .

٧ — لقد اصطفى الله عز وجل محمدا صلى الله عليه وسلم من بين البشر واختار العرب من بين الشعوب واللغة العربية من بين اللغات وفى ذلك كله حكم كثيرة فالله عز وجل يقول : « **الله أعلم حيث يجعل رسالته** »(١) ومن دراسة شاملة لفقه اللغة العربية ومقارنتها ببقية اللغات تجد لها خصائص لا تتوافر الا فى هذه اللغة ، وللعرب كشعب خصائصهم النفسية ، فالعربى يملك طاقة نفسية ضخمة هذه الطاقة النفسية تعبر عن ذاتها بفردية العربى وكرمه وشجاعته ووفائه ودفاعه عن كرامته واعتزازه بشرفه ورفضه الضيم وغير ذلك من معان لا نقول انها غير موجودة عند الآخرين ولكنها ملحوظة بشكل واضح فى النفسية العربية ، هذه الطاقة النفسية الضخمة عند العربى اما أن تعبر عن ذاتها بشكل خاطىء وعندئذ تكون أداة تدمير ، واما أن تعبر عن ذاتها بشكل صحيح فتكون أداة تعمير ، فهى تشبه السيل الضخم الكبير ان ترك وشأنه دمر كل ما أمامه واذا ضبط بالسدود وأحسنت الاستفادة منه كان أداة احياء كبيرة ، وكذلك النفسية العربية ، اذا ضبطت وأطلقت فى مسارها الصحيح ظهر على يدها من الآثار الكبير الكثير ، واذا لم تضبط وتطلق فى المسار الصحيح كانت أداة شقاء لنفسها ومن حولها .

٨ — من شعر العرب قول عمرو بن كلثوم مفتخرا بنسبه وقومه :

بغاة ظالمين وما ظلمنا ... ولكنا سنبدأ ظالمينا

ومن شعرهم :

نغير على الذوائب من معد ... وضبة انه ان حان حانا
وأحيانا على بكر أخينا ... اذا ما لم نجد الا أخانا

ومن شعرهم :

أتيه على جن البلاد وانسها ... ولو لم أجد خلقا لتهت على نفسى

---

(١) الأنعام : ١٢٤ .

من مثل هـذه المعانى نجد الطاقة النفسية الضخمة عند العـرب عندما تعبر عن نفسـها تعبيرا خاطئا • ادرس نتائج مثل هـذا التعبير الخاطىء عن النفس لترى كم يمكن أن يخلقه من تمزق وآلام ، وادرس بعد ذلك وضع النفسية العربية المسـلمة فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم اذ قيدها العدل وحكمها الحق وهذبها خوف الله ثم ادرس نتائج ذلك لترى هذه الطاقة النفسية الهائلة عند العرب عندما توجه فى اطارها الصحيح كم يظهر نتيجة لذلك من آثار عظيمة ان فى علاقات الانسان مع الله أو فى معاملة الانسان للانسان سلما أو حربا داخليا أو خارجيا •

٩ — والاسلام بالنسبة لكل انسان هو الضابط الوحيد الصحيح لنفسه وهو وحده الذى يطلقها فى اطارها السليم • ان تجارب العالم تشير الى أنه يمكن أن تعتـاد شعوب العالم على ضوابط معينة تجـد فيها مصلحة دنيوية تلتزم بها وتأبى الخـروج عليها ، أما العـرب فلم يعرف اطلاقا أن هناك ضابطا ضبط أنفسهم ضبطا محكما الا الاسلام ، خذ مثلا على ذلك قضية الطاعة والانضباط فقد استطاعت شـعوب وجيوش أن تصل الى ذروة فى الطاعة والنظام والانضباط بشكل عجيب ولكن العـرب فى تاريخهم كله لم يؤثر عنهم انضـباط ولم تعـرف عندهم طاعة أو نظام على مستوى شامل — أى زائد على مسـتوى القبيلة — الا باسلام كامل ، وهذه تجربة العرب المعاصرة فقد ظهرت عشرات الاتجاهات السياسية وعشرات المدارس التربوية وبذل الكثير من أجل ايجاد جيوش نظامية منضبطة وكان حصيلة ذلك كله انقلابات متوالية ومذابح بين أبناء الاتجـاه الواحد ونزعات لا نهاية لها بين الأحزاب وكل حزب ينشق على نفسه مرة ومرة ومرة •

قارن هـذا كله بالانضباط الكامل الذى انضبط به العرب المسلمون فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو فى عهد أبى بكر أو فى عهـد عمر وقارن هـذا بالطاعة والانضباط اللذين تجدهما فى الحركات الصوفية الناضجة أو الحركات الدينية التى تقوم على فهم ناضج وتربية سليمة وقيادة حكيمة تجد دقة ما قلناه وصحته •

١٠ — ومن ثم نقول : ان العرب لا قيـام لهم أصلا الا بالاسلام • فاذا حملوا الاسلام فان آثار ذلك على الاسلام وعلى أنفسـهم وعلى المسلمين تكون كبيرة وستكون •

(١) ان العالم العربى بحكم توسطه فى قلب العالم الاسلامى فانه يتحمل هذا العالم الاسلامى كله ، وسيلتف العالم الاسلامى كله حوله فيكون بمثابة أجنحة له •

(٢) ان كل شعوب العالم الاسلامى لن تجد مشقة فى الالتفاف حول الجسم العربى بسبب الشعور الفطرى عند كل مسلم أن الشعب العربى هو القيادة الطبيعية للمسلمين •

(٣) ان تلاحما بين الشعب العربى والشعوب الاسلامية سيغير موازين الحياة السياسية والاقتصادية والعسكرية فى العالم لصالح كل الشعوب الاسلامية ولصالح علاقات أكثر عدلا فى العالم •

وهكذا نجد أن شيئا جديدا وسريعا سيحدث فى العالم كله اذا حمل العرب الاسلام حق الحمل ، ومن ثم فنحن كمسلمين أولا وقبل كل شىء نتمنى للعرب أن يعوا حقيقة وضعهم ويقوموا بدورهم قياما بحق الله أولا وانقاذا لأنفسهم ثانيا وانعاشا للشرف الذى شرفهم الله عز وجل به ، ونرى أن جهدا اسلاميا كبيرا ينبغى أن يبذل على الأرض العربية من أجل نقل العرب من حال الجفاء مع الاسلام الى حالة العشق انحار الجرىء معه •

١١ — واذ بينا دواعى الكلام عن العرب وللعرب فى موضوع حمل رسالة الاسلام فقد يكون مناسبا أن نخص بالذكر أقطارا أو أقواما من العرب وغيرهم ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرا خاصا فلعل ذلك يكون فيه زيادة بعث لهؤلاء على العمل والحمل :

أولا — الشام :

(أ) فى الحديث الصحيح : « اذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم » فهذا الحديث يدل على أن مقياس الخيرية فى هذه الأمة الشام فبمقدار الخير فى الشام يكون الخير فى هذه الأمة فاذا فسد أهل الشام فتلك علامة فساد عامة فى هذه الأمة كلها ، والشام يدخل فيها سورية والأردن وفلسطين ولبنان ، ومن رأى الفساد فى هذه البلاد عرف حال هذه الأمة ، ومن ثم فان جهادا فى هذه المنطقة ليس كجهاد فى غيرها اذ تعميق الخير فى هذه الأرض تنعكس آثاره على مجموع الأمة الاسلامية •

(ب) فى احدى الروايات الصحيحة للحديث : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم الى

قيام الساعة » رواية صحيحة تقول : « وهم فى الشام » وفى تلك بشارة لاستمرار الدعوة الاسلامية الصافية فى الشام الى قيام الساعة وفى ذلك بعث لكل مسلم فى أرض الشام أن يكون من هذه الطائفة .

(ج) فى قوله تعالى : « **ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون . ان فى هذا لبلاغا لقوم عابدين** »(١)

يقول النسفى : ان المراد بالأرض هنا الشام ، ونحن نرى أن النص عام لكن يشهد للنسفى أن الزبور كان فيه خطاب لبنى اسرائيل ومقرهم ومحل عملهم وسكناهم الشام أو بعضها وعلى كل ففى الآيتين بعث على العبادة والايمان والعمل الصالح وبشارة لأهل ذلك بالنصر .

(د) فى ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أن عيسى عليه السلام ينزل قبل قيام الساعة فى المنارة البيضاء شرقى دمشق اشارة وبشارة بأن دمشق عاصمة للاسلام الى قيام الساعة لأن الرسل عليهم السلام يكون مركزهم فى العواصم .

من كل ما مر ندرك الدور المرشحة له الشام وندرك أهمية تكريس الجهود للشام وندرك كم الآمال معقودة على الشام أقول هذا مع أننى أقول :

ان أثقل وضع على الاطلاق فى العالم الاسلامى هو وضع الشام وأعقد وضع على الاطلاق هو وضع الشام وان وضع الشام الآن يحتاج الى حكمة الحكماء وجرأة الأبطال ليمكن اقتحامه ، وأظن أن اقتحام هذا الوضع يحتاج الى مجموعة أمور كلها صعب وضرورى ليمكن تجاوز هذا الوضع الصعب والمعقد .

وقد روى الامام أحمد حديثا صحيحا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بينا أنا نائم رأيت عمود الكتاب احتمل تحت رأسى فظننت أنه مذهوب به فأتبعته بصرى فعمد به الى الشام ألا وان الايمان حين تقع الفتن بالشام » . وفى الحديث الآخر « معقل المسلمين أيام الملاحم دمشق » وفى الحديث الصحيح : كنا يوما عند النبى صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع فقال : « طوبى للشام » فقلت : لم ذاك يا رسول الله ؟ قال : لأن الملائكة باسطة أجنحتها عليه » . وفى الحديث الحسن : « سيصير الأمر الى أن تكونوا أجنادا مجندة »

---

(١) الأنبياء : ١٠٥ ، ١٠٦ .

جند بالشـــام ، وجند باليمن ، وجند بالعراق • فقلت : خر لى يا رسول الله ان أدركت ذلك فقال : عليك بالشام فانها خيرة الله من أرضه يجتبى اليها خيرته من عباده ، فأما ان أبيتم فعليكم بيمنكم فاسقوا من غدركم ، فان الله توكل لى بالشام وأهله » واقليم توكل الله عز وجل به ، أموره كلها الى خير •

ثانيـــا ـــ اليمـــــن :

(أ) فى الحديث الذى رواه الشـــيخان عن رسول الله صـــلى الله عليه وسلم أنه قال : « أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبا • الايمـــان يمان والحكمة يمانية ، ورأس الكفر قبل المشرق ، والفخـــر والخيلاء فى أصحاب الابل ، والسكينة والوقار فى أهل الغنم » وفى رواية : « والفقه يمان » •

(ب) فى الحديث للشيخين أن رســـول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الايمـــان هاهنا ـــ وأشار بيده الى اليمن ـــ والقســـوة وغلظ القلوب فى الفدادين عند أصول أذناب الابل حيث يطلع قرنا الشيطان فى ربيعة ومضر » •

(جـ) ورى الطبرانى فى الأوسط باسناد حسن عن جابر قال : « سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى : **((فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه))**(١) قال : هؤلاء قوم من اليمن ثم من كندة ثم من السكون ثم من تجيب » • من هذه الأحاديث الثلاثة ندرك محل اليمن فى قضية الاســـلام وندرك محلهم فى انهـــاء الردة ودورهم فيها ومما يبشر بخير أن اليمن لا تزال جوانب الخير فيها قائمة ، من ذلك أن شعبها وحده من بين شعوب الأمة الاسلامية ما يزال حتى كتابة هذه السطور يحتفظ بسلاحه فتربيته اذن أفضل من تربية النعاج التى يرغب حكام العالم الاسلامى أن يربوا عليها شعوبهم ، ان وجود السلاح فى أيدى الشـــعوب هو الطريقة الوحيدة ليجعل الحكام يفكرون كثيرا وهم يتآمرون على عقيدة هذه الأمة وشرفها ودينها ورسالتها وتاريخها وتراثها ، ثم ان اليمن بعيدة نوعا ما عن مركز الضغوط العالمية الأكبر وهو الشـــام ومصر وهـــذا يعطيها فرصة ما لتبنى وتربى •

---

(١) المـائدة : ٥٤ •

ثالثا ـ عمـــــان :

روى الامام مسلم عن أبى ذر : أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث رجلا الى حى من أحياء العرب فسبوه وضربوه ، فجاء الى النبى صلى الله عليه وســلم فأخبره ، فقال صلى الله عليه وسلم : « لو أن أهل عمـــان أتيت ما سبوك ولا ضربوك » • وروى الامام أحمـــد عن عمر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « انى لأعلم أرضــا يقال لها عمان ينضح بناحيتها البحـــر لو أتاهم رسولى ما رموه بسهم ولا حجر » •

وان الايجابيات فى عمان ما زالت كثيرة وانها لمظنة خير حتى الآن وكما كانت فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم •

رابعــا ــ الحجــاز :

روى الترمذى باسناد حسن عن عمرو بن عوف عن رسول الله صلى الله عليه وســلم : « ان الدين ليأرز الى الحجاز كما تأرز الحية الى جحرها وليعقلن الدين من الحجاز معقل الأروية من رأس الجبل • ان الدين بدأ غريبا ويرجع غريبا فطوبى للغرباء الذين يصــلحون ما أفسد الناس من بعدى من سنتى » • وروى الامام مسلم عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ وهو يأرز بين المســجدين كما تأرز الحية فى جحرها » من هذين الحديثين ندرك محل الحجاز ومحل مكة والمدينة وما بينهما فى بقاء الاسلام واستمراريته واعادة تجديده بعد غربته •

خامســا ــ المغـــرب :

روى الامام مسلم عن سعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يزال أهل المغـــرب ظاهرين على الحق حتى تقـــوم الساعة » وفى هـــذا بشارة عظيمة للأمة الاسلامية بأهل المغرب وبشـــارة لأهل المغرب ، واننا لنرجو أن تتجدد همم أهل المغرب عامة لتجديد الاسلام واحيائه •

١٢ــ وكما ذكرت أقطار وأهلها ذكرت قبائل بعينها :

(أ) قريش وآل البيت • (ب) الأنصـــار •

(ج) جهينة ومزينة وأسلم وغفار •

(د) الأســد والأشعريون • (هـ) بنو تميم •

(و) قيـــس • (ز) عنـــزة •

فلنر بعض هذه الأحاديث فى اختصار :

(أ) روى الشيخان والترمذى : « قريش والأنصـــار وجهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار موالى ليس لهم مولى دون الله ورسوله » •

(ب) أخرج الترمذى باسناد حســن غريب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : « انى تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلــوا بعدى أحدهما أعظم من الآخــر وهو كتاب الله حبل ممدود من الســماء الى الأرض وعترتى أهل بيتى ، لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفونى فيهما » •

(جـ) روى الترمذى عن أبى عامر الأشــعرى مرفوعا قال : « نعـــم الحى الأسد والأشعريون لا يفرون فى القتال ولا يغلون ، هم منى وأنا منهم » ، قال عامر ابنه : فحدثت به معاوية فقال : ليس كذا قال صلى الله عليه وسلم قال : « هم منى والى » ، فقلت : ليس كذا حدثنى أبى ، ولكنه حدثنى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « هم منى وأنا منهم » ، قال فأنت أعلم بحديث أبيك •

(د) روى الشيخان عن أبى هريرة : لا أزال أحب بنى تميم بعد ثلاث سمعتها من النبى صلى الله عليه وســلم يقولها فيهم ، سمعته يقول : « هم أشــد أمتى على الدجال » ، وجاءت صدقاتهم فقال صلى الله عليه وسلم : « هذه صدقات قومنا » ، وكانت سبية منهم عند عائشة فقال صلى الله عليه وسلم : « أعتقيها فانها من ولد اسماعيل » وعنه أيضـــا قال : ان رجلا من قيس جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : العن حمير ، فأعرض عنه ، فأعاد عليه فقال : « رحم الله حمير أفواههم ســـلام ، وأيديهم طعام ، وهم أهل أمن وايمـــان » • وروى البزار بلين عن أبى هريرة مرفوعا ، وذكر بنى تميم فقال : « ضخام الهام ثبت الأقدام نصــار الحق فى آخــر الزمان أشد قوما على الدجال » •

(هـ) روى الترمذى عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الأزد أزد الله فى الأرض يريد الناس أن يضعوهم ويأبى الله الا أن يرفعهم وليأتين على الناس زمان يقول الرجل فيه : يا ليت أبى كان أزديا ويا ليت أمى كانت أزدية » • وروى أحمد عن أبى هريرة مرفوعا قال : « نعم القوم الأزد • طيبة أفواههم ، برة أيمانهم ، نقية قلوبهم » •

(و) روى رجال الصحيح عن طارق بن شــهاب عن النبى صلى الله عليه وسلم : قدم وفد بجيلة على النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « اكتبوا البجيليين وابدأوا بالأحمسيين » وفى رواية : قــدم وفد أحمس ووفد قيس على النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « أبدأوا بالأحمسيين قبل القيسيين » ثم دعا لأحمس : « اللهم بارك فى أحمس وخيلها ورجالها » سبع مرات . لأحمد والكبير .

أخرج الطبرانى فى الكبير والأوسط عن غالب بن أبجر قال : ذكرت قيس عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « رحم الله قيسا » قيل : يا رسول الله .. ترحم على قيس ؟ قال : « نعم .. انه كان على دين أبينا ابراهيم خليل الله . يا قيس حى يمنا ، يا يمن حى قيســا . ان قيسا فرسان الله فى الأرض ، والذى نفسى بيده ليأتين على الناس زمان ليس لهذا الدين ناصر غير قيس ، انما قيس بيضة فغلقت عنا أهل البيت ، ان قيسا ضراء الله » . يعنى : أسد الله .

(ز) روى الموصلى والبزار والأوسط وأحمد عن عمر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم ذكر عنزة ذات يوم فقال أصحابه : يا رسول الله .. وما عنزة ؟ فأشار بيده نحو المشرق ، فقال : « حى من هاهنا مبغى عليهم منصورون » .

١٣— ولئن ذكرنا ما ذكرنا ونقلنا ما نقلنا فاننا لم نرد الاستقصاء فالعرب كلهم مظنة حمل لهــذا الدين وشعوب الأمة الاسلامية تعطى العرب اذا حمــلوا هذا الدين محبة ومودة وقيادة طوعية ، ففى الحديث الذى رواه الترمذى وقال عنه : حديث حسن غريب قوله عليه الســلام لســلمان الفارسى : « لا تبغضنى فتفارق دينك » ، قلت : يا رسول الله.. كيف أبغضــك وبك هدانى الله ؟ قال : « تبغض العرب فتبغضنى » هــذا للعرب الذين حمــلوا الاسلام أو يحملونه أما العرب الذين يبغضون رسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه ورسالته فهؤلاء شأنهم شأن كل كافر ليس له الا ما للكافرين ولقد رأينــا أن شرف حمل الاسلام مرشحة له كل الشــعوب اذا أدت ثمن ذلك ورأينــا أن كل الشعوب مكلفة بحمل هذا الدين والمســلمون كلهم بخير والى خير وهذه الأمة الاسلامية كلها مظنة خير ، وفى الحديث الذى رواه الترمذى وغيره بأسانيد قوى بعضها بعضا « مثل أمتى كالمطر لا يدرى آخره أو أوله » .

١٤ — ولئن مرت ظروف صعبة على هذه الأمة فان أمامها آفاقا واسعة كبيرة فهذه الأمة مبشرة من رسولها صلى الله عليه وسلم بقيام دولتها العالمية وغلبتها على العـــالم كله وفى كتابنا « جند الله ثقافة وأخلاقا » كلام فى ذلك فليراجع ، فعلينا أن نبـــدأ وأن نحسن البدء والعمل تربية وتنظيما وتخطيطا وتنفيذا والله معنا وقد أعد لنا جنة عرضها السموات والأرض فلنبع لله أنفسنا وأموالنا ولنصـــدق البيع والثمن الجنة والجنة غالية والطريق اليها صعب « ألا ان سلعة الله غالية ألا ان سلعة الله الجنة » ولا شك أن أعداء الله ورسله كثيرون ولا شك أن الواقع المريض ثقيل ولكن اذا أحسنا السير فى الطريق الصحيح الى الصـــحة فان النتيجة ستكون طيبة باذن الله .

* * *

الباب السادس

خاتمة

وأخيرا يا اخوتى :

يناقشكم أعداء الأنبيـــاء فى أمور كثيرة ويطالبونكم بأمور كثيرة وتخجلون أحيانا فلا تقولون كل ما ينبغى أن تقولوه • يسألكم أعداء الأنبيـــاء مثلا عن الحرية السياسية فى دولتكم وهل ستعطونهم حرية سياسية ؟ هل ستعطون غيركم حرية سياسية ؟ • وطبعا بامكانكم أن تســألوا عن ماهية الحرية السياسية التى يريدونها وبامكانكم أن تجيبوا عن حكم الاســلام بتجــرد ولكن بامكانكم كذلك أن تســألوا كل العالم هل أعطاكم حرية سياسية ؟ فلو وجهتم هــذا السؤال الى أمريكا لكان الجواب : لا بل خططت لسلبنا حياتنا فضـــلا عن حرياتنا ، ولو وجهتم الســؤال الى الاتحاد السوفييتى وكل الأحزاب الشيوعية فى العالم لكان الجواب : لا بل قدم الاتحــاد السوفييتى والشيوعيون فى العالم لأمثالنا الســحق والقتل وكتمان الأنفاس بدلا من أن يعطينا حرية سياسية وسلوا الأحزاب القومية على اختلاف اتجاهاتها هل أعطتنا حرية سياسية وسلوا الأحزاب التى تدعى الديمقراطية كيف تعاملت معنا ؟ فاذا كان هــذا موقف الجميع منا قبل السلطة ألا فليعلم الجميع أن أحدا لا يستطيع أن يطالبنا الا بمبادئنا ، ومبادؤنا عادلة رحيمة لأنها حكم الله ، فمن سألكم عن هذه القضية أو غيرها فقولوا له : نحن سنطبق شريعة الله وشريعة الله هى الحق الخالص والعدل الخالص أن الله قد كلفنا وشرفنا بتكليفه ولن نتردد فى تنفيــذ أوامره وأنتم جميعا تستطيعون أن تحاكمونا الى مبادئنا وتطالبونا بها وستجدوننا ملتزمين بها خاضعين لأحكامها سينصفكم قضاؤنا حتى لو كان الظالم أميرنا وخليفتنا •

لن نعاملكم بمثل ما عاملتمونا به مع أن ذلك من حقنـــا ولكن لا يحق لكم أن تطالبونا بســـوى شريعتنا أما أن تحرمونا حق الحيـــاة ثم تطالبونا بأن نعطيكم فرصة أخـــرى لتذبحونا ولتفســـدوا فى أرض الله من جديد فهذا ما لن نفعله • ان لغة واحـــد فقط من بين كل لغات العالم تستطيعون أن تطالبونا بها هى عندما تقولون : طبقوا فينا حكم الله ، وتستطيعون أن تناقشونا تماما فى كوننا نطبق فيكم حكم الله حقا وصدقا أو لا ، انكم تستطيعون أن تطالبونا بكل التزام التزمناه لكم وســـتجدون كل قضاتنا يحكمون لكم اذا أخللنا بالتزام ، أما اذا لم نلتزم لكم بشىء فلا تطالبونا الا بمنطق شريعتنا •

انكم ســـلبتمونا كل شىء وأفســـدتم كل شىء وصورتم لأنفسكم صورا من الأفكار والمبادىء والموازين فعبدتموها من دون الله ، ولكنكم لن تستطيعوا أن تحملونا على عبادتها أو الخضوع لها ، وانكم مخطئون اذ تصورتم أننا سنتعبد لها أو نأبه لنباحكم اياها أو فيها •

ثقوا ان أمرنا الله أن نسترقكم فسنسترقكم وذلك هو العدل ، وان سمح لنا أن لا نسترقكم فلن نسترقكم لأننا لن نعاملكم بالقول الأشـــد بل بالقول الأخف من شريعتنا لأننا لن نتعامل بمنطق الحقـــد • ولو أننا تعاملنا بمنطق الحقد فعاملناكم بمثل ما عاملتمونا به فان شيئا لا يكون كبيرا فى حقكم لأنكم تجاوزتم كل حد فى تطبيق الحقد •

يا اخوتى •• لا تأبهوا لنباح الكلاب ولا لزئير الأسود ولا لخداع الثعالب ولا لشىء ما ممـــا فى هـــذا العالم • شىء واحد فقط : كلمة الله : فهما والتزاما هـــذا هو واجبكم على ضوئها ناقشوا ، ومن طالبكم بغيرها من أصنام الهوى فأفهموه أن أجيالا من المســـلمين قد خدعت مرة ولن تخدع هذه الأجيال مرة ثانية : **« وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله »**(١) •

❋ ❋ ❋

لقد خدع المسلمون كثيرا وغرر بهم كثيرا حتى نسوا البديهيات وتعاملوا مع غيرهم ببلاهة قاسية حتى ذاقوا ما ذاقوا ورأوا حصيلة ذلك ضياعا للعباد والبلاد وضياعا للكرامة والشرف ، واستعلاء عليهم فى كل شىء واذلالا فى كل شىء وقتلا لأبنائهم ونســـائهم واستئثارا وأثرة

---

(١) الأنفال : ٣٩ •

فى المؤسسات والوظائف والأرض والمـال وكل ذلك تحت شعارات خائبة أنستهم الحق والحقائق فتخلوا عن المستقبل ، ولقد استطاع الكافرون أن يدحرجوهم ويسخروهم ويشتروهم ويستعبدوهم ويحكموا من خلالهم وكان حصيلة ذلك جيلا ضائعا مستعبدا لا قيمة عنده للوقت ولا اعتزاز عنده بتاريخ صحيح ولا معرفة عنده بلغة ، قديرا على الاستعراض مستغرقا فى اللعب والشهوة فالى متى ؟ والى أين ؟ .

لم يعـد شىء يشرف فى تاريخنا الا ثورة الزط والزنج ودعوة القرامطة وحركة الشـطارين والعيارين وما عدا ذلك فكله خزى وذلة ! أن تكون دمشـق عاصمة العالم فى زمن الأمويين خزى وذلة ! وأن تكون بغـداد عاصمة العالم فى زمن العباسيين خزى وذلة ، وأن تكون اسلامبول عاصمة العالم فى زمن العثمانيين خزى وذلة ، وحملنـا لواء الحضارة والمدنية قرونا طويلة خزى وذلة ، والشىء الوحيد المشرف فى تاريخنا هو المخزى حقا . فالى متى يستمر هذا الهذر ؟ .

ولغتنا الحبيبة لغة القرآن ولغة الشعر الموزون المقفى ولغة التعبير العظيمة عن أدق خلجات النفس ، هذه اللغة لم يعـد فيها شىء : أدبنا تافه ، ونحونا بشـع ، وشعرنا سخيف ، واملاؤنا غير علمى ، وصرفنا يحتاج الى تبديل ولسـاننا أعوج وغيرنا أى كل شعوب العـالم تملك لسـانا مستقيما واملاء صحيحا وشعرا عذبا ونحوا سـهلا وأدبا عظيما ، لقد استطاع اليهود احياء لغتهم الميتة الى أن نالوا بها جائزة نوبل للآداب .. ونحن نستجيب لكل دعوة مريبة مشبوهة تهدف الى القضـاء على لغتنا وأدبنا وشعرنا وطرائقنا الراقية فى التعبير فالى متى يستمر هذا العبث وهل سنسمح له أن يتكرر ؟ .

ان وعيك وفهمك وحدهما بهما ينقطع هذا الهذر وينقطع هذا الهراء .

لقد جعلونا منخفضا للهواء الفاسد ومستنقعا لكل قاذورات العالم وما ندرى بعد ذلك ماذا سنعطى للعالم ونحن الآخـذون لكل هـذا الشر والعاجزون عن عطاء أى شىء فالى متى يستمر هـذا الهذر وهذا الهراء ومتى نعود لنقدم رسالتنا الاسلام الى العالم فتصبح عطاء خالصا يحتاج اليه والينا الانسـان كل انسـان .

لقد دمروا كل شىء فى أمتنا تحت وطأة شعارات التقدمية وغيرها من شـعارات تخدع ولا تغنى ، فالى متى يبقى هـذا الخداع ويستمر

والى متى نفر من الحق والحقيقة والى متى يخيفنا رفع علم الجهاد مع أن الله عز وجل وصف حزبه بقوله : « **يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم** »[1] .

ان علينا أن نرفع لواء الجهاد لتحرير الانسان الذى لا أحد سوانا مؤتمن عليه وعلى انسانيته وحتى على أديانه التى تخالف ديننا ، ان علينا أن نرفع لواء الجهاد لتحرير أنفسنا وتحرير غيرنا من الظلم والعسف لأنه قد ثبت بالتجربة والرؤية البصيرة أن غيرنا لا يؤتمن على أرض ولا على عرض ولا على شعب ولا على قيم ولا على خلق ولامال ، ولا حتى على حاضر أو مستقبل ، ناهيك عن أن الماضى يشوهونه ويمسخونه ويحرفونه .

ان علينا أن نتقدم ولا نلتفت الى الوراء الا بالوصول الى السلطان السياسى للاسلام والمسلمين على أرضنا وعلى كل أرض . والرأى العام الظالم والضجيج العالمى والهراء المتصاعد من كل قلب منتن ومن كل لسان قذر ، كل ذلك علينا أن لا نلتفت اليه .

والذين يرغبون أن يعطونا دروسا فى الوطنية والقومية والانسانية وغير ذلك من الدروس عليهم أن يخرسوا وأن يسمعوا صوتنا فقط لأننا وحدنا الذين نملك أن نعطى للعالمين دروس الحق فى كل شىء .

والذين تمسكنوا كثيرا حتى تمكنوا ثم أصبحوا يتلذذون بذلتنا وتعذيبنا علينا أن نرحم ذرياتنا وحفدتنا من أن يقعوا تحت أسرهم مرة ثانية .

ان العالم لا يعرف حقا الا لمن يملك القوة ، ونحن وحدنا الذين اذا ملكنا القوة فسنبقى محكومين للحق ونحكم بالحق ، فمن أجل تحرير الانسان من كل عبودية لغير الله عز وجل ، ومن أجل أن يسود الحق على أنفسنا وعلى العالم علينا أن نملك القوة القادرة الواعية التى تعرف متى تضرب وتعرف كذلك متى ومن ترحم .

اننا جند الله ونحن حزبه وعلينا أن ننفذ أوامر الله عز وجل متحررين من كل عقدة ومن كل خوف ومن كل وجل ، ان طاعتنا لله

---

(١) المائدة : ٥٤ .

رب العالمين هى شرفنا الذى لا يستطيع أن ينال منه أحد لأن كل الكافرين فى العالم أخس من أن يكون لهم ذرة شرف فضلا عن أن يعطوا أمثالنا لقب شرف .

ان علينا أن نعمل بجرأة وحكمة معطين التربية حقها والعلم حقه والتكوين حقه والتنفيذ حقه كذلك .

والله الموفق .

والحمد لله رب العالمين .

❀ ❀ ❀

محتويات الكتاب

رقم الايداع : ٣٧٤٢ / ٧٩
الترقيم الدولى ٩ ـ ٨٥ ـ ٧٢٣٦